القافلة

مجلة ثقافية تصدر
كل شهرين • مارس - أبريل 2009



ملف العدد

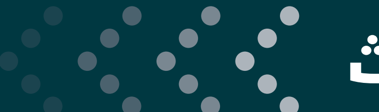
الملاكم

مسيرة الفن التشكيلي السعودي

الجنادرية في الفاصل المصور

العدد 2
المجلد 58

قافلة الأبحاث



تنظِّم مجلة **القافلة** نشاطاً بحثياً غرضه إشراك الباحثين الراغبين، لا سيما طلاب الجامعات وطالباتها، بأبحاث ميدانية معمقة في موضوعات تقترحها المجلة أو يقترحها المتقدمون أنفسهم. هدف هذه الخطوة هو كتابة موضوعات تتجاوز المقال العادي وتحقق الشمول والإحاطة بزوايا الموضوع المطروح كافة، لتقديمها في النهاية على شكل مواد صحافية جادة تتمتع بعناصر الجذب والتشويق الصحفي .

للمشاركة في هذا النشاط البحثي يرجى مراسلة فريق تحرير القافلة على العنوان الإلكتروني التالي:
qresearch@qafilah.com

وذلك من أجل

- الاطلاع على قائمة الأبحاث المقترحة من المجلة.
- معرفة شروط اعتماد البحث وصلاحيته للنشر.
- الاتفاق على الموضوع وتبادل الرأي حول محتوياته وآفاقه.
- تحديد عدد الكلمات وملحقات البحث.
- تعيين المهلة الزمنية للبحث والاتفاق على موعد التسليم.

بعد اعتماد البحث للنشر من هيئة تحرير المجلة، ستصرف مكافأة الباحث حسب سلم المكافآت المعتمد لدى المجلة لكتَّابها.

صورة الغلاف

تفصيل من صورة للفنان طارق عبد الله في استوديو الفنان عبد العزيز عاشور، يرمز فيها جمع أدوات الرسم الزيتي وطيف النخلة إلى هوية الفن التشكيلي السعودي الذي تخصه القافلة بعرض موسع في هذا العدد.

القافلة



أرامكو السعودية
Saudi Aramco

الناشر
شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)، الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين
خالد بن عبدالعزيز الفالح

المدير التنفيذي لشؤون أرامكو السعودية
خالد عبدالله البريك

رئيس التحرير
صالح محمد السبتي

مدير التحرير الفني
كميل حوَّا

مدير التحرير
محمد أبو المكارم

سكرتير التحرير
عبود عطية

سكرتير تحرير مساعد
د. فكتور سحاب

قافلة الأبحاث ومكتب جدة
فاطمة الجفري

مكتب بيروت
رولان قطان

مكتب القاهرة
ليلى أمل

أمريكا الشمالية
أشرف إحسان فقيه

الإنتاج والموقع الإلكتروني
طوني بيروتي

المخرج المنفذ
حسام نصر

الصور الفوتوغرافية
أنور الخليفة

تصميم وإنتاج
المحترف السعودي

طباعة
مطابع التريكي

ردمد ISSN 1319-0547

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
- ما ينشر في القافلة لا يعبر بالضرورة عن رأيها
- لا يجوز إعادة نشر أي من موضوعات أو صور «القافلة» إلا بإذن خطي من إدارة التحرير
- لا تقبل «القافلة» إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها

محطات العدد

مارس - أبريل 2009
ربيع الأول - ربيع الآخر 1430

توزع مجاناً للمشتركين

- **العنوان:** أرامكو السعودية
ص . ب 1389، الظهران 31311 المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: alqafilah@aramco.com.sa
الموقع الإلكتروني: www.qafilah.com

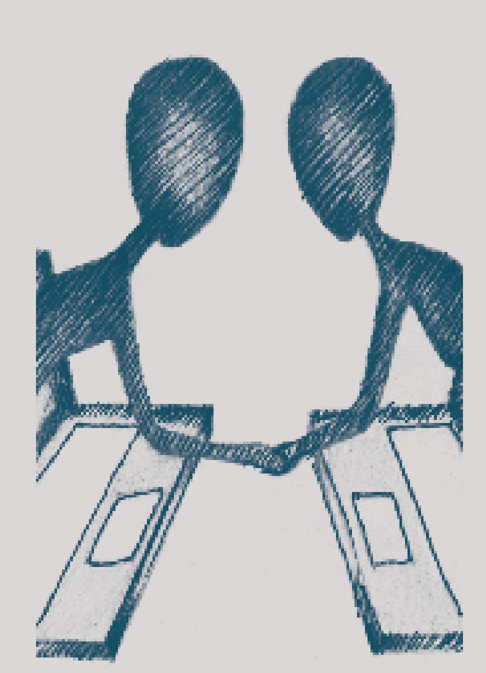
- **الهواتف:** فريق التحرير 0607 897 3 966+
الاشتراكات 6948 874 3 966+
فاكس 3336 873 3 966+

رسالة المحرر

1 قضايا

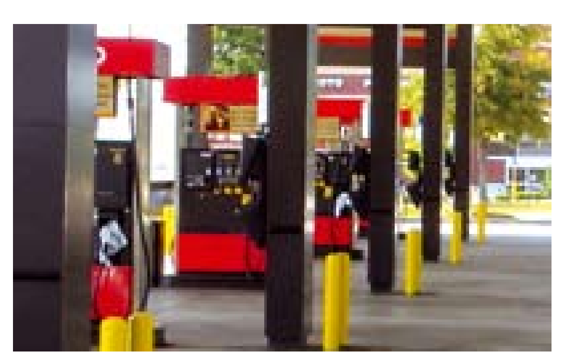
يشكِّل التحول الذي طرأ على مفهوم الشراكة في الأعمال قضية جديدة، تبدأ القافلة رحلتها في هذا العدد بتناولها.

فبعدما كان مفهوم «الشراكة» يعني تقليدياً المشاركة في رأس المال، ظهرت شركات عملاقة على المستوى العالمي، تدين بنجاحها إلى المشاركة في الأفكار. ففي «اقتصاد الشبكات» بشكل خاص، يبدو تضافر الأفكار شرطاً لا غنى عنه. بحيث يكون المؤسس «مؤسسين» اثنين على الأقل، يجمعان أفكارهما، ويتقاسمان المسؤوليات والعوائد بالتساوي.





ويبقى باب «قول في مقال» قريباً من عالم الشبكات. وتحديداً من عالم «الفيسبوك» فيعرض لما يمكن أن تواجهه الخصوصية الفردية على المواقع الاجتماعية على شبكة الإنترنت. وهو الموضوع الذي كانت القافلة قد أثارته في عددها السابق.



2 طاقة واقتصاد

ويتضمن مناخ الطاقة والاقتصاد موضوعين: أولهما بحث حول صناعة النفط في الدول غير المنتمية إلى منظمة أوبك، واستشراف مستقبلها، مقارنة بما هو حال هذه الصناعة في دول المنظمة وآفاقها المستقبلية.

أما الموضوع الثاني فيأتي ضمن إطار باب جديد قررت أسرة القافلة ضمه إلى أبواب المجلة، وهو عرض لكتاب بارز في الشأن الإداري أو الاقتصادي بمعناه الواسع. والكتاب الذي تعرضه القافلة في هذا العدد هو بعنوان «الأفذاذ» للكاتب مالكوم غلادويل، الذي يبحث في العوامل المؤدية إلى التفوق وحالات النجاح القصوى.



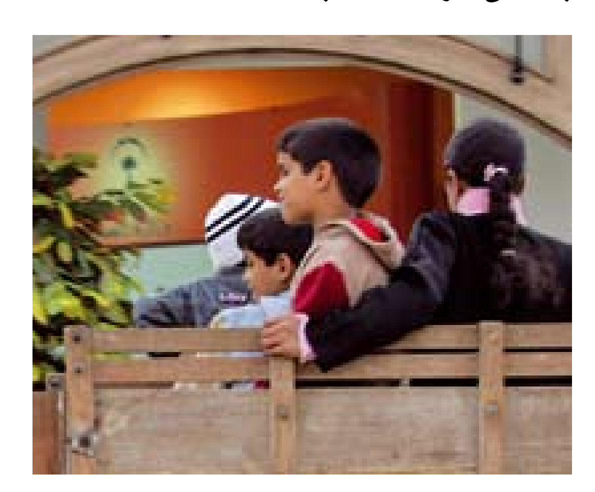
3 علوم وبيئة



وبدوره يتضمن مناخ البيئة والعلوم موضوعين: أولهما حول الأشياء المستخدمة لمرة واحدة، وموازنة سلبياتها البيئية مع إيجابياتها على الصعيد الصحي. وثانيهما يتناول «المماطلة»، هذا السلوك الاجتماعي المزعج حتى حدود الإيذاء، الذي أصبح مادة للدراسة العلمية على الصعيدين الفسيولوجي والنفسي، بعدما تبين للباحثين أن جذور المشكلة هي فسيولوجية وجينية، ولسيت عادة مكتسبة فقط.

الفاصل المصور

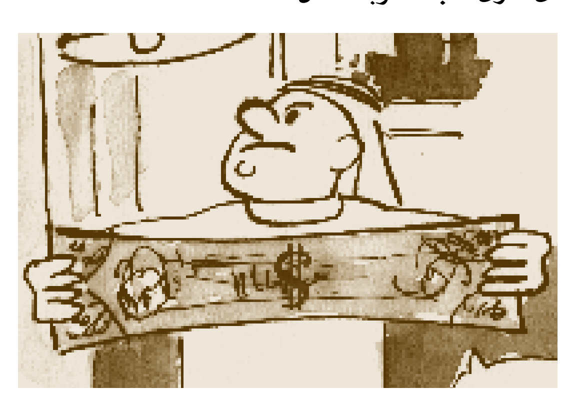
ولمناسبة تزامن صدور هذا العدد مع انقضاء المهرجان الوطني للتراث والثقافة الرابع والعشرين في الجنادرية، تخصِّص القافلة الفاصل المصوَّر لأعمال مختارة من أعمال أربعة مصورين هم: فيصل المالكي ويوسف الدبيس وماجد المالكي وأحمد كناش، الذين جالوا بعدساتهم في الجنادرية وزوارها وعادوا بعدد من اللوحات الخلاَّبة.





4 الحياة اليومية

وبالوصول إلى مناخ الحياة اليومية، ثمة بحث في موضوع قلَّما يُبْحَث بصراحة وبصوت عال: مال العائلة ومصروفها ومن يتولاه: الزوج أم الزوجة؟ وعلى الرغم من أن البحث لا يخلص إلى قاعدة عامة يمكن تطبيقها في كل الأحوال، فإنه يحذر من مخاطر الأخطاء المرتكبة في هذا المجال، ودلالاتها على صعيد الثقة التي يجب أن تكون متبادلة وباعتدال.

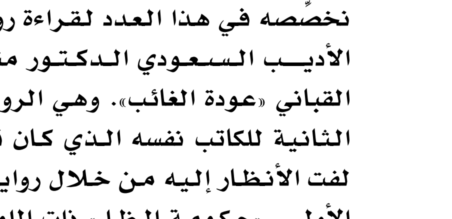




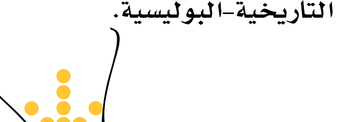


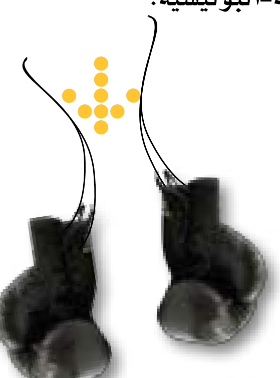
5 الثقافة والأدب

وفي مناخ الثقافة والأدب، عرض مسهب لمسيرة الفن التشكيلي في المملكة، والرعاية التي حظي بها منذ ظهوره قبل نحو نصف قرن وحتى اليوم، مع التوقف بقدر مايسمح به المجال أمام رموزه وألمع الأسماء فيه.



ويأتي بعد ذلك الباب الأدبي، الذي نخصِّصه في هذا العدد لقراءة رواية الأديب السعودي الدكتور منذر القباني «عودة الغائب». وهي الرواية الثانية للكاتب نفسه الذي كان قد لفت الأنظار إليه من خلال روايته الأولى «حكومة الظل» ذات اللون المميَّز ضمن إطار الرواية العربية الحديثة، بنكهتها التاريخية-البوليسية.







6 ملف العدد

أما الختام، كما هو الحال مع كل عدد، فمع الملف. والملف مخصَّص هذه المرة للملاكم، وللأسئلة الاجتماعية التي يثيرها الاصطفاف من خلفه، ولدوره الذي لا مثيل له حجماً وعمقاً في الرياضات الأخرى على الثقافة والفنون في القرن العشرين.

الرحلة معاً

الصحافة الإلكترونية تهدِّد الصحافة المطبوعة

تطالعنا الصحافة بين الحين والآخر بتحول بعض الصحف والدوريات إلى صحف ودوريات إلكترونية. ومن ذلك ما أعلن في شهر مارس 2009م من تحول صحيفة «سياتل بوست انتلجنسر» إلى صحيفة إلكترونية. وبذلك يبقى في تلك المدينة صحيفة مطبوعة واحدة هي صحيفة «سياتل تايمز». وقبل ذلك أعلنت صحيفة «ذا كريستيان ساينس مونيتور»، التي تصدر من مدينة بوسطن الأمريكية، أنها تحوَّلت إلى صحيفة إلكترونية، ولم تعد تطبع من أعدادها إلا عدد يوم الأحد.

كما أننا نلاحظ أن نفس التوجه بدأ يظهر في مجتمعنا العربي، فعلى سبيل المثال أعلنت المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق تحويل مطبوعتها مجلة «المجلة» إلى مطبوعة إلكترونية، مشيرة إلى أن صناعة النشر، إقليمياً وعالمياً، مقبلة على تحولات تتطلب الاستعداد من الناشرين، حيث تتجه الصناعة للاستثمار في المحتوى عبر تحويله إلى وسائط عديدة، مثل الإنترنت والجوال والتلفزيون والإذاعة.

فالواضح هو أن الصحافة التقليدية تواجه ضغوطاً اقتصادية تجعلها مشاريع مكلفة قد لا تستطيع الاستمرار معتمدة على دخلها الذاتي فقط، الذي يأتي بشكل رئيس من الإعلان والتوزيع. فمن أين تأتي بالضبط هذه الضغوط؟

يبدو أن الصحافة التقليدية المطبوعة تواجه صعوبات في مواكبة عصر المعلومات الذي نعيشه، وما يطرأ فيه بشكل متسارع من تقنيات حديثة، وأساليب وأشكال لإيصال المعلومات للمتلقين، مما يؤثر على توزيع الصحف والمجلات وبالتالي على دخلها الإعلاني.

بدأت الضغوط على الصحافة المطبوعة بانتشار المحطات التلفزيونية عن طريق الأقمار الصناعية التي تصل إلى المنازل في كل أنحاء العالم. تلي ذلك انتشار المحطات الإخبارية المتخصِّصة التي تبث على مدار الساعة. كانت البداية عالمياً من محطة «سي إن إن» الأمريكية ثم لحقتها محطات أخرى. وفي عالمنا العربي انتشرت محطات مشابهة مثل «الجزيرة» و«العربية» وغيرهما.

يضاف إلى ذلك أن محطات التلفزيون التي تبث عبر الأقمار الصناعية أصبحت تغطي كثيراً من الموضوعات، فبعضها يتخصَّص في عرض الأفلام، وبعضها في الرياضة، وبعضها في البرامج السياسية، وما إلى ذلك. وانتشار تلك المحطات في مختلف أصقاع العالم أمرٌ مشاهد ومعروف. والكثير منها غير (مُشفَّر) وغير مكلِّف والقليل منها يتطلب رسوماً.

ومن الضغوط التي تواجهها الصحافة التقليدية انتشار الصحافة الإلكترونية بعد ظهور شبكة الإنترنت في أواخر القرن الماضي، حيث تقدَّر الإحصاءات أن هناك الآن ما يزيد على عشرة آلاف صحيفة إلكترونية في العالم. والأغلبية العظمى من تلك الصحف الإلكترونية توجَّه للمتلقين دون مقابل.



كما أن شبكة الإنترنت العالمية فتحت أبواباً وأساليب أخرى للاتصال وتبادل المعلومات والأخبار والآراء والحوار بين الناس في مختلف المجالات، مما جعل حاجتهم لشراء الصحف والمجلات أقل مما كانت عليه.

ومن المشاهد أيضاً أن المؤسسات التي تصدر الصحف التقليدية بدأت أيضاً بالضغط على تلك الصحف بإصدارها نسخاً إلكترونية منها، فأصبح البعض يستغني بالنسخة الإلكترونية عن النسخة المطبوعة. ومن الغريب هنا أن عدم إصدار الصحيفة لنسخة إلكترونية يجعلها في مؤخرة الركب ويظهرها صحيفة غير مواكبة للعصر، كما أن إصدارها لنسخة إلكترونية يؤثر سلباً على توزيع نسختها المطبوعة.

ولاشك أن من العوامل المؤثِّرة هنا اتجاه الشباب إلى الصحافة الإلكترونية والتقنيات الحديثة الأخرى للحصول على المعلومات، مثل الهواتف المتنقلة وما تعج به شبكة الإنترنت العالمية من وسائط. وإذا افترضنا صحة ذلك، فإننا لا بد أن نتوقع أن تتزايد الضغوط على الصحافة التقليدية، مع تزايد عدد الشباب وتناقص عدد كبار السن.

كما أن من المُشاهد أيضاً أن تأثير الضغوط الاقتصادية الناشئة عن ثورة الاتصالات، التي أشرت إلى بعض تداعياتها، يختلف من مجتمع إلى آخر، ومن صحيفة إلى أخرى. ولكن الحقيقة هي أن الصحافة الإلكترونية تتوسع وتنتشر على حساب الصحافة التقليدية. فما هو الفرق بين الصحافتين، وماذا يكسب القراء ويخسرون من تحول صحيفة تقليدية إلى إلكترونية؟

ذلك الموضوع يحتاج إلى بحث مستفيض، ولكن من الملاحظ، على سبيل المثال، أن الصحافة الإلكترونية أسرع في نشر الأخبار، وأقدر على تحديثها، وتصحيح أي أخطاء فيها. كما أن تلك الصحافة تتيح للقرَّاء فرصة أكبر للتواصل مع الصحيفة وبشكل أسرع من التواصل مع الصحافة المطبوعة. كما أن تلك الصحافة تتيح للقرَّاء إرسال بعض ما يقرأونه، أحياناً مع آرائهم، إلى الغير بسهولة ويسر.

كما أن من مزايا الصحافة الإلكترونية أنها تساعد على المحافظة على البيئة، فكل المواد التي تدخل في العملية الطباعية، وخاصة الورق، تستنزف البيئة، وتؤثر سلباً عليها.

ولكن الصحافة التقليدية المطبوعة لها مزاياها هي الأخرى، بالإضافة إلى ارتباطنا التاريخي بها منذ أن نشأت الصحافة الدورية في العالم الصناعي، وارتباطنا العاطفي بالورق منذ بدأ استخدامه في الكتابة.

فمن تلك المزايا أن النسخة المطبوعة تحتوي على مواد أكثر مما تحتويه النسخة الإلكترونية، رغم أن البعض يظن غير ذلك. والحال قد تختلف من مطبوعة إلى أخرى.

كما أن بعض المواد، وخاصة الإعلانية (في بعض المجتمعات كالمجتمع السعودي) توجَّه إلى قرَّاء النسخة المطبوعة وليس الإلكترونية. ويدخل في ذلك بعض الإعلانات، مثل إعلانات العزاء، والتهاني، والإسهامات العقارية، وما إلى ذلك.

والنسخة المطبوعة أكثر مرونة في يد القارئ، فهو يستطيع أن يقرأها في الحل والترحال، في البيت والمكتب، في السيارة والقطار والطائرة. فما يحتاجه القارئ ليقرأ صحيفة مطبوعة هو الصحيفة نفسها والإضاءة إذا حل الظلام. بينما يحتاج قارئ الصحيفة الإلكترونية إلى جهاز كمبيوتر، واشتراك في شبكة الإنترنت، ومصدر طاقة كهربائي أو بالبطارية، وهذا ما لا يتوافر دائماً وفي كل مكان.

ومن أهم مزايا الصحافة التقليدية المطبوعة، التي يمكن أن تضاف إلى ارتباطنا التاريخي بها، تميزها الإخراجي، الذي يصعب على النسخة الإلكترونية أن ترقى إليه، وتعبير إخراجها عن أهمية الأخبار والمقالات المنشورة فيها بشكل أفضل.

يضاف إلى ذلك أن الصحافة التقليدية تتميز بسهولة تناولها وتقليب صفحاتها في وقت قصير، بينما تعتمد سرعة تقليب الصحيفة الإلكترونية على مواصفات موقع الصحيفة، وهي في كل الأحوال لا تصل إلى سرعة تقليب الصحيفة التقليدية.

وعلى أية حال فهذه مقارنة غير مستفيضة بين الصحافتين، وتقنيات عصر المعلومات ستستمر في الضغط على الصحافة التقليدية، التي لا يتوقع أن تختفي، ولكن أعدادها ستتناقص بناءً على عوامل اقتصادية لا يمكن تجاهلها لوقت طويل.

رئيس التحرير



قافلة القرّاء

إلى.. رئيس التحرير

ترحّب القافلة برسائل قرائها وتعقيبهم على موضوعاتها، وتحتفظ بحق اختصار الرسائل أو إعادة تحريرها إذا تطلب الأمر ذلك.

مكتبة الجامعة

تحرص مكتبة مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، على اقتناء نسخة كاملة من مجلتكم الموقرة (مجلة القافلة)، وذلك بهدف تحقيق الاستفادة الكاملة مما تحتويه من معلومات تُعدُّ مصدراً متجدداً من مصادر المكتبة.
ونتيجة لأهمية هذا الجانب العلمي نأمل من سعادتكم التكرم بإهداء مكتبتنا ما استجدَّ لديكم من أعداد، لكي يكتمل عقد مجلتكم بمكتبة المركز.
كما نأمل بوضع اسم مكتبة المركز على قائمة الإهداء والتبادل الخاصة بمجلتكم.
وتفضلوا بقبول أطيب تحياتي وتقديري.

عبدالله قربان تركستاني
مدير مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جدة

القافلة: تعتز القافلة بحرص مكتبتكم على اقتنائها. وستصلكم أعدادها تباعاً -إن شاء الله-.

من أجمل المبادرات

بداية، أود تسجيل الشكر والتقدير والامتنان لشركة الزيت العربية السعودية «أرامكو السعودية» لما تقدِّمه من جهود متميزة في سبيل نهضة وتنمية هذا البلد الطيب، المملكة العربية السعودية.
ومن أجمل المبادرات التي تقوم بها الشركة في سبيل تنمية المجتمع والرقي بأفراده هو إصدارها للمجلة الرصينة المتنوعة الجامعة «مجلة القافلة».
في الواقع، أحرص كثيراً على أن أقضي وقتاً مع المجلة في أي مكان أصادفها فيه، وتكون سعادتي بالغة بذلك.
لذلك أتقدَّم إليكم برجاء قبول طلبي بالرغبة في الاشتراك بالمجلة، حتى يتسنَّى لي الاستمتاع بمطالعتها بشكل مستمر وبدون انقطاع.

المهندس علي بن عبدالرزاق الضويلع
الرياض

القافلة: شكراً على عاطفتك، وقد أحلنا اسمك وعنوانك إلى قسم الاشتراكات.

أناشيد الأطفال

رداً على موضوع قول في مقال «أناشيد الأطفال.. براءة مثيرة للجدل» المنشور في القافلة عدد سبتمبر/أكتوبر 2008م، أقول للأخ خالد العوض:
بالنسبة للأنشودة «ذاكر دروسك أول بأول، تنجح وتصير الأول»، إن المنافسة مطلوبة سواءً بين الطلاب أو الموظفين أو غيرهم.
وليس كل منافسة تؤدي حكماً إلى عدوانية وكراهية. فلا ينبغي تحميل كلمات الأنشودة ما لا تحتمل، وتفسير كلماتها تفسيرات خاصة. فالكاتب أراد حثَّ الأطفال على المذاكرة فحسب. أما ما يحدث نتيجة المذاكرة فمتروك لخيال كل إنسان ليتخيَّل ما يحلو له. وإذا كانت وزارة التربية ألغت الاختبارات فهل التقويم المستمر لا يحتاج إلى مذاكرة؟!
ولو أتينا إلى أنشودة: «يا أطفال يا حلوين اشربوا الحليب.. للصحة والقوة اسألوا الطبيب..»، فهل نقول إن الطفل إذا شرب الحليب ستكون لديه قوة فيعمد إلى إيذاء الآخرين بهذه القوة؟ طبعاً هذا غير منطقي.
ولا يجب أن نحث على النظافة! لماذا؟ لأن ذلك سيوجد نوعاً من العدوانية بين النظيفين وغير النظيفين!
ولا يجب أن نحث على الإخلاص في العمل، لأن ذلك سيجعل الآخرين يحقدون عليك (الآخرين غير المخلصين طبعاً).
الخلاصة: لا يجب ترك الحث على الخير بحجة أن ذلك سيوجد عدوانية وكراهية بين أهل الخير وأهل الشر.
فعلى الطالب أن يذاكر ويذاكر ويذاكر وليعاديه من يعاديه وليكرهه من يكرهه.
وعلى الطالب أن يحقق كل تفوق ونجاح ضارباً عرض الحائط بكل مهمل وكسول.

حسين الحجي
الأحساء

موضوعات للناشئة

يسعدني أن أبعث إليكم بهذا الخطاب مبدياً لكم شكري وتقديري على ما تبذلونه من جهود طيبة في سبيل إصدار هذه المجلة المحترمة، وذلك لما تحويه من موضوعات وعلوم طيبة ومفيدة.
وآمل منكم أن تكثروا من نشر الموضوعات الخفيفة التي تناسب الناشئة، مثل باب زاد العلوم، وقصة ابتكار ومبتكر، حيث إن لديَّ أبناء يحبون الاطلاع على مثل هذه الموضوعات القصيرة.
وآمل منكم أيضاً التكرم بإضافة اسمي واسمَيْ ابنيْ أخي اللذين يدرسان في الثانوية، إلى قائمة المشتركين، حيث إنهما في حاجة إلى هذه المجلة لمساعدتهما في دراستهما الجامعية.

حبيب أحمد الحبرتي
الأحساء

القافلة: يسعدنا أن نضمكم إلى قائمة المشتركين. أما بالنسبة لاقتراحك، فإن كل أبواب المجلة سهلة على الاستيعاب عند الناشئة فوق عمر معيَّن. وقد يكون من الأفضل تعويد أبنائك على قراءة الموضوعات الطويلة شيئاً فشيئاً. لأنه لا بد وأن يأتي يوم يصبح الأمر فيه ضرورياً لهم ولثقافتهم.

بستان يانع الاخضرار

نتصفح يومياً الكثير من المجلات، وتداعب أصابعنا وريقات عديدة، ولكن ما بين يدي الآن بستان يانع الاخضرار، تزيِّن صفحاته أزهار متعددة الألوان.

تجولت في هذا البستان للمرة الأولى في شهري نوفمبر وديسمبر من عام 2007م، وتلتها جولات أخرى.. كل شهرين.

توقفت أمام محطة الشعر.. لست شاعرة، ولم أكتب يوماً شعراً. لكني أحسد هؤلاء الشعراء لأنهم يعبِّرون عن ذواتهم بأشعارهم.

وصرت أسرع إلى زاد العلوم، أغرف منه ما يشبعني.. هكذا يزيل الصابون الأوساخ، وهذا ما تسببه البقرة على مستوى الاحتباس الحراري، وأفرح لأن ميزان الولادة يتأرجح لصالح الفتيات. وعندما آخذ رشفة من مشروب غازي وجدته أمامي، أتذكَّر ما يسببه المشروب الغازي من هشاشة في العظام.

وما يزيد متعة الرحلة بين الكلمات هي هذه الوقفة مع لحظة قصة ابتكار ومبتكر. فأمسك بمشبك الورق متأملة صغره.. مقدرة فائدته.

أعود إلى حياتنا اليومية مع كميل حوا، فتجرفني الوحدة. ولكن أية وحدة؟ إنها وحدة مع العالم. وتجذبني صور في غاية الجمال التقطها ببراعة عوض الهمداني. فأستأذنه كي أنتزعها من المجلة، وأضعها ضمن إطار يزيِّن جدار غرفتي. ففيها ما يشبه السحر الذي يشد البصر ويحرِّك الأشجان.

لن أطيل عليكم، ولكنني سأظل أجول بين روابي القافلة.. إذ تعجبني فكرة تصور هذا العالم من دون إنسان كما بدت في إحدى مقالاتها العلمية.

أختم رحلتي بالملف. أمسك بيدي مصباح علاء الدين متمنية أن أرى وجهه.. فأسأل من الذي شدني إلى هذه القافلة لأجول معها على كل هذه المحطات المفيدة والمثيرة؟

أستودعكم الله، متمنية لكم ولكل من يدعم هذا التألق مزيداً من الإبداع.

انتصار سعيد
طرابلس، ليبيا

المشتركون الجدد

العميد الطيار الركن عبدالله عايض الشمراني، الرياض - عبداللطيف مولوي أبو القاسم، المدينة المنورة - عبدالعزيز سعود عبيد التميمي، حائل - حمد بن فهد العنقري، الرياض - سيد مهدي عباس المرزوق، البحرين - محمد توفيق محمود عمر، مصر - نورة حمد القاضي، الدمام - إبراهيم أحمد الخباز، سيهات - علي محمد عبدالعزيز الحمين، الدمام - محمد عبدالعزيز الجعراني، مصر - داهم جابر، الجزائر - قوادرية محفوظ، الجزائر - آمنة سعود التميمي، حائل - سحر عبدالمطلب جبر، اليمن - سالم بن سلمان حمد الرهيمان، الهفوف - د. محمد عرابي نخلة، الأردن - نوال الأغبري، اليمن - رويدا صالح ناشر، اليمن - د، زارا إبراهيم، سوريا - محمود محمد مصطفى درويش، مصر - جورج صومي كورية، سوريا - مدرسة مؤتة، القطيف - خالد بن محمد ابن خالد العبدلي، عمان - حامد شيخ موسى عباس، سوريا - زهير إبراهيم أحمد الحياك، الهفوف.

القافلة: وصلتنا عناوينكم وما طرأ على بعضها من تعديل، ونرحِّب بكم أصدقاءً لـ «القافلة» التي ستصلكم أعدادها بانتظام من الآن فصاعداً -إن شاء الله-.



قصائد قصيرة.. جداً

حرية..

أعطني حريتي..
أعطِك شعراً

خلاص

أسائل الزمان والمكان
أدور في أروقة النسيان
أفتش المرايا وأنبش الزوايا
أطير في الآفاق
أمر في أوردة الأوراق
أغوص في الأحداق
أبحث عن خلاص

بكاء..

حين تهاجر النجوم من سمائنا
وتدفن البسمة في شفاهنا
وتنحني أعلامنا
يطلُ من شرفته..
البكاء

رحيل!

ماذا بعدُ؟
قل لي ماذا بعدُ؟
رحلتْ كل معاني الأنس..
بقينا آهات تمتدُ
موجة آلام حائرة أغرقها المدُ
سقطتْ نخلتنا الزهراء..
سقطنا -يا للبؤس- بقاع اليأس..
فماذا بعدُ؟
قل لي ماذا بعدُ؟
ماذا بعدُ؟

محمد البردويل
الأحساء

قافلة القرّاء

نافذة جديدة في بريد القافلة لكتابات تناقش موضوعات طُرحت في أعداد المجلة فتكون أكثر من رسالة وأقل من مقال.

قرّاء القافلة مدعوون إلى الإسهام في هذا النقاش على أن تكون كلمات المشاركة بين 300 و600 كلمة، مع احتفاظ فريق التحرير بحق الاختصار إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

حول

الأزمة الاقتصادية العالمية.. صورة يستحيل رسمها

بداية، أتوجَّه إلى القافلة وأسرة تحريرها بتحية التقدير على ما تبذله من جهود في سبيل تقديم المادة الصحافية والثقافية رفيعة المستوى في كل مجالات المعرفة. بدءاً بالعلوم وانتهاءً بالأدب والشعر.

كنت قد طالعت في العدد ما قبل الأخير مقالاً مطولاً كتبه الأستاذان خالد ابن عبدالرحمن الغشيري وبهاء الرملي حول الأزمة المالية العالمية. وجاء المقال ممتازاً. إذ عرض لنا ببساطة وبالجملة كل عوامل الأزمة الاقتصادية التي تشغل العالم، وما كنا نملك صورة واضحة عنها، لأن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة (بما فيها القنوات الفضائية المتخصصة في الاقتصاد) كانت تعرض لنا هذه المشكلة بالتجزئة من خلال خبر من هنا وتصريح من هناك.

10 مليارات زيادة أو نقصان!!

والحقيقة، هي أن هذه الأزمة الاقتصادية العالمية بلغت من العمق (والخطورة) ما بات يستعصي على الفهم والاستيعاب. فما هذه الأرقام التي نسمع بها؟ انتابنا الهلع أولاً، عندما سمعنا أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش طلبت تخصيص 750 مليار دولار لإنقاذ المؤسسات المتعثرة. ولكن بمرور الوقت تبينت الحاجة إلى 800 مليار دولار أخرى، ومن ثم إلى «تريليون» (أي إلى ألف مليار دولار) لشراء الأصول والقروض المتعثرة، وإنقاذ النظام المصرفي. وأرجو المعذرة إذا كانت الأرقام كما أوردها هي تقريبية (عشر مليارات زيادة أو نقصان لم تعد أمراً مهماً).

وسارعت الدول الأوروبية والآسيوية وحتى الإفريقية إلى الإدلاء بدلوها، كل حسب قدراته لإنقاذ صناعة السيارات، أو النظام المصرفي هنا، أو شركات التأمين هناك. وارتفعت معدلات البطالة إلى مستويات تاريخية تراوحت بين مليونين في بريطانيا وأربعين مليوناً في الصين.. ومن يتابع القنوات الاقتصادية يلحظ خبراً سيئاً كل ثلاثين دقيقة.. فكيف لنا أن نستوعب ما يجري على صعيد هذه الأزمة لنعرف بالتالي ما هي احتمالات المستقبل، وكيف يجب أن نتصرف؟

لا عتب على من لا يعرف

عندما يقول الرئيس الأمريكي الجديد باراك أوباما إن النظام المصرفي في أمريكا لا يزال يواجه احتمال الإفلاس المتسلسل، فهذا يعني أن صورة الأزمة بمقاييسها الحقيقية، لا تزال ضبابية حتى عند من تتوافر لديه أدق التفاصيل التي يمكن أن تتوافر لأي كان، وهو الرجل القادر على صرف مئات المليارات في هذا الاتجاه أو ذاك لمعالجة الأزمة. وبالتالي لا عتب على من يقول إنه لا يعرف ما الذي يحصل من حولنا في هذا العالم. لا بل قد يكون الإعلان عن جهل ما يجري أقل خطورة من ادعاء المعرفة، وتوقع انتهاء الأزمة في نهاية العام الجاري أو نهاية العام المقبل، أو بعد انقضاء أعمارنا التي لن تطول كثيراً، إذا استمرت هذه الأزمة على ما هي عليه.

بداية استخلاص الحقائق

ولكن كون الأزمة الحالية ذات مقاييس فلكية، والجهود المبذولة لمعالجتها ضبابية النتائج والتوقعات، فهذا لا يعني أن ما من حقائق ثابتة بات يمكن استخلاصها. وأولى هذه الحقائق هي الصفعة التي وجِّهت إلى بعض المثقفين والمفكِّرين في العالم الثالث بشكل خاص، الذين كانوا خلال السنوات الأخيرة يتحدثون عن العولمة وكأنها خشبة الخلاص لكل المشكلات الإقليمية، وفاتهم أن العولمة قد تحمل مصائب أيضاً.

فمن المؤكد أن العامل الصيني الذي صرف من العمل في مصنعه وعاد إلى الريف عاطلاً من العمل، يدفع اليوم فاتورة الأخطاء التي ارتكبها حفنة من المصرفيين في أمريكا. لا بل يمكن أن نقول أيضاً إنه يدفع الغرامة على الديْن الذي عجز الأمريكي المتوسط عن تسديده لأنه طمح بعض الوقت في العيش فوق مستوى المتوسط.. فالعولمة ربطت، من جملة ما ربطت، بين الصناعة والتجارة والرساميل، والأخطاء والفواتير. أما الحقيقة الثانية فهي ذات طابع أخلاقي، لا بل قد تكون متصلة بالمنطق الذي يسهل التوصل إلى تفاهم بشأنه، أكثر من الأخلاق الحميدة ومقاييسها غير المحددة بدقة.

فثمة ما هو قبيح في القصص التي سمعناها عن نصابين عالميين من أمثال مادوف وستانفورد. فقد بلغت الأموال التي جمعها الأول نصباً واحتيالاً نحو 60 مليار دولار.. أي ما كان يستطيع أن يقلب الأحوال رأساً على عقب في عشر دول إفريقية. والثاني أهدر على مصاريفه الشخصية نحو 250 مليون دولار من أموال المودعين الذين وثقوا بمصرفه نتيجة صورة الرخاء الذي يغرق فيه هو شخصياً.

إن قبح صورتي هذين المحتالين العالميين لا يقتصر على الجريمة فقط، بل يعود إلى ما هو أعمق من فعل الاحتيال. فقد انتابنا الشعور بالامتعاض نفسه عندما سمعنا أن مديري شركة التأمين العملاقة قرروا توزيع 195 مليون دولار مكافآت سنوية على أنفسهم، علماً بأن شركتهم احتاجت إلى نحو 80 مليار دولار لتلافي إعلان إفلاسها.. وكأن هؤلاء المديرين يكافئون أنفسهم على الخسارة التي أصابت شركتهم، أو تسببوا هم بها لشركتهم.

ما الذي نفهمه من كل هذا؟ أليس شيئاً يشبه القول إن المال خرج من كل أطر المقاييس والشروط، حتى يبدو وكأنه لم يعد شيئاً ذا قيمة إلا إذا كان بالمليارات والتريليونات؟

وتزداد الصورة إرباكاً، ونزداد امتعاضاً وحيرة عندما ننتبه إلى أننا شأن الملايين ومليارات البشر في معظم دول العالم، ما زلنا نحسب حساب الراتب الشهري. فما العمل؟

ياسين إبراهيم الترك

بيروت

تعقيباً على موضوع «الأزمة المالية العالمية»، «القافلة» عدد نوفمبر-ديسمبر 2008

حول

الأحمر في الرواية والفن

اطلعت على عدد القافلة الثقافية رقم 6 والذي اتسم في معطياته الأدبية بحضور ثقافي متميز، خاصة عندما انحاز هذا العدد إلى الأيقونة الحمراء التي تستحضر في الذهن متخيلات ثقافية واجتماعية متعددة.
لا شك في أن إطلالة اللون على القارئ تمثِّل إشارة بارزة في التعاطي مع ملفات يمكن من خلالها إثارة المزيد من الفوارق التي تتصل بالأحمر في طقوس المثقفين من جهة، وحتى أؤلئك الذين لا تعنيهم الثقافة من جهة أخرى. إذ تبقى حساسية الألوان ملكاً للنفس البشرية، ترى من خلالها عوالم هي أشد مايمكن أن يقال عنها إنها تمثل ممرات ومفترقات وربما حكايات مثل أحجية بين الناس.
ثمة أمران كنت أتمنى أن يدرجا في هذا العدد. الأول كان يمكن أن يكون على شكل استطلاع بين فئات مجتمعية من الفنانين أو الأطباء أو أصحاب مهن أو رياضيين أو من فئات أخرى من الناس لا تعنيهم جوانب الثقافة مباشرة، ويُطرح عليهم سؤال مباشر عما يعنيه لهم اللون الأحمر. فمن الأهمية بمكان أن ننصت إليهم وإلى العلاقة التي تربطهم به أو تنسج متخيلاتهم الحسية أو العاطفية أو العقلانية.
أما الأمر الثاني فقد بدا أن من الأهمية بمكان أن تكون هناك قراءة أكثر دقة عن رواية الكاتب التركي الفائز بجائزة نوبل، أورهان باموق، «اسمي أحمر». وهي الرواية التي اتسمت في طقوسها بإثارة منحنيات حول التعاطي مع الفن العربي وسياسة معلميه، وأحقيتهم في التربع على الأعمال حتى ولو كانت من إنتاج تلاميذهم، ناهيك عن ممرات لا تخلو من إثارة جدل حول التعاطي مع الفن وطقوسه المربكة.
ثمة ما يمكن أن يشار إلى الأحمر في الرواية على أنه لون القبيلة. فهو ذو ميول صريحة وحادة، لا يقبل القسمة في ذاكرتنا الاجتماعية، أو أنه لون لا يقبل ما هو أبعد من قياسه أو حدوده. وهو ما تلمح إليه الرواية في طقوسها التي تحكم شروط الفن التي تناولها باموق.
هناك أيضاً رواية «الورقة الحمراء» التي كان يمكن إدراجها في هذا العدد، وهي للروائي الإسباني ميخيل دي ليبس، الأشد إنسانية في طقوسه الروائية. وتتحدث هذه الرواية عن رجل عجوز أحيل إلى المعاش، لكنه لم يستسلم لمقولة من صديق له تؤكد أن المعاش هو بداية الموت.
لقد تغنَّى الفنانون على اختلاف مشاربهم باللون الأحمر بصرياً وجمالياً. وثمة أعمال خالدة مثل «ذات الشعر الأحمر»، العمل التأثيري المرهف بحساسيته الأنثوية للفرنسي تولوز لوتريك. و«صاحبة المروحة اليدوية الحمراء» للمصري الرائد محمد حسن. ولن يقف الأحمر عند حدود، فقد اختار الفنان المغربي محمد القاسمي أن يسمي أحد معارضه باسم «خط أحمر خط أسود». وهناك حتماً الكثير من الجماليات مثل أعلام الدول التي تتسم بالأحمر والفرق الرياضية وأفراد المجتمعات التي تتغذى طقوسها على الأحمر.
أخيراً شدني هذا العدد إلى مدى ما تتسع إليه متطلبات الثقافة الجديدة بانفتاحها على أبسط المعطيات التي تتبنى ثقافة المجاز إلى أبعد حد.

عبدالعزيز عاشور
جدة
تعقيباً على ملف «الأحمر»، «القافلة» عدد نوفمبر-ديسمبر 2008

حول

قراءتي لخبرين علميين

خبران متقابلان نشرا في باب «زاد العلوم» ضمن العدد الأخير من مجلة القافلة، يستوقفان القارئ، ويستوجبان التعليق عليهما.
الخبر الأول كان بعنوان «مهن علمية كريهة». وهو يعدد بعض المهن التي تتطلب دراية علمية معينة، ولكن ممارستها منفِّرة، مثل التخلص من النفايات الطبية، والعذاب الناجم عن التدريب التأهيلي لرواد الفضاء وما شابه ذلك.
إن هذا الخبر لا يجرنا إلى تعليق، بقدر ما يجرنا إلى استطراد. فهل نحن راضون عن المهن التي نمارسها؟ ومن منا لا يتمنى لنفسه مهنة غير المهنة التي يمارسها؟
في اليوم نفسه الذي قرأت فيه هذا الخبر، شاهدت مساءً مقابلة تلفزيونية مع أحد أشهر نجوم السينما العالمية. وعندما تطرق هذا الممثل المحبوب الذي يتقاضى ملايين الدولارات لقاء كل فلم يقوم ببطولته، إلى حياته العائلية وسألته المذيعة إذا ما كان يتمنى لأولاده أن يصبحوا ممثلين، أجاب بالنفي. وقال إنه سيرضخ لرغباتهم إذا أصروا على ذلك. ولكنه لا يتمنى ذلك لهم. ولم نعرف ما الذي يتمناه هذا الممثل لأولاده.. هل يتمنى لهم واحدة من المهن الكريهة التي عددها الخبر الذي نشرتموه في القافلة.. أم أنه يَعُد مهنة التمثيل مهنة كريهة رغم الملايين التي تُجنى منها؟ الجواب الثاني هو الصحيح على الأرجح. والصحيح أيضاً هو أن لكل عمل في هذه الدنيا متاعبه. ومهما كان العمل الذي نزاوله فإننا نطمح إلى ما هو أفضل منه، من دون أن ننتبه إلى أن هناك دائماً ما هو أفضل من هذا الأفضل.
أما الخبر الثاني، والذي يكاد لا يصدق، فهو ما جاء تحت عنوان «عقل صغير في المكوك الكبير»، ومفاده أن الكمبيوتر الذي كان على متن المكوك الفضائي طوال الثمانينيات هو ذو سعة لا تتجاوز نصف الميغابايت. ومع ذلك فقد حقق هذا المكوك أحلام العلماء ورواد الفضاء، وأنجز مهمات أقرب إلى الخيال العلمي. أما ابنك الذي لم يتجاوز المرحلة المتوسطة في دراسته فيرمي حاسوبه في وجهك قائلاً إن سعته لا تتجاوز 150 جيغابايت (علماً بأن ذلك يساوي 300 ألف مرة سعة كمبيوتر المكوك)، وهو يريد جهازاً مثل جهاز صديقه في المدرسة بسعة 500 جيغابايت على الأقل.
تقودنا هذه الملاحظة إلى ألف قضية وقضية. ولعل أبلغها هذه الجدلية بين المتوافر والحاجة، بين الممكن والذي لا بد منه.
لقد قام كمبيوتر المكوك رغم صغره وبدائيته بمهمة بالغة الأهمية. لأنه كان وليد الحاجة الماسة إليه. أما كمبيوتر ابنك وعلى الرغم من قدراته الفائقة، فهو يكاد يبقى أقرب إلى التسلية وملء وقت فراغ بين تسليتين أخريين.
ألا يقودنا هذا إلى الاعتراف بوجوب مراجعة نظرتنا إلى أدوات الإنجاز؟ بعبارة أخرى، ألا يفترض في ذلك أن يوقظنا من الوهم القائل إن مجرد «سقوط» التكنولوجيا المتطورة بين أيدينا سيؤدي إلى انتشالنا مما نحن فيه؟
بالنسبة إلى رواد الفضاء كان «لا بد» من وجود جهاز يقوم بإجراء حسابات معينة ويؤدي مهمات معينة.. ولذا كان للكمبيوتر على متنه ذا قيمة فائقة، علماً بأن ثمنه اليوم لا يزيد على عشرين دولاراً. أما كمبيوتر ابنك «فمن الممكن» أن يحمِّل أغنيات وأفلاماً سينمائية.. وقد يكون ثمنه ألف دولار.. أما قيمته الحقيقية فمما لا شك فيه أنها لن تتجاوز العشرين دولاراً.
ألا يكفي هذا لتوضيح صورة الفرق بين «ما لابد منه» و«الممكن»؟

باسم شحيطة
دمشق
تعقيباً على باب «زاد العلوم» «القافلة» عدد يناير-فبراير 2009

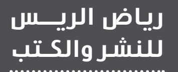
تصويب

وقع خطأ غير مقصود في العدد السابق من «القافلة» في اسم كاتب مقالة «هكذا تختار الشركات أسماءها»، إذ جاء أنه تامر حسين، والصواب هو تامر جابر محمود، الباحث المصري المعروف. فاقتضى التنويه والاعتذار.

قافلة النشر

إصدارات جديدة

رياض الريس للنشر والكتب











كلك عندي إلا أنت (شعر)
جوزف حرب

وشم المدن
خالد الحروب

حرّاس الهواء (رواية)
روزا ياسين حسن

كتب وكتاب (مقالات نقدية)
ميشال جحا

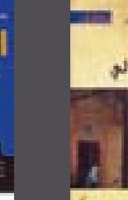
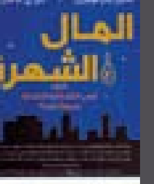
قمحة النار
جمال حسين علي

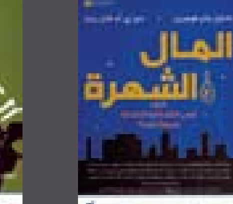
الدار العربية للعلوم ناشرون










الجدتان (أربع روايات قصيرة)
دوريس ليسينج

زيتون الشوارع (رواية)
إبراهيم نصرالله

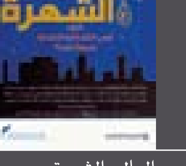
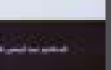
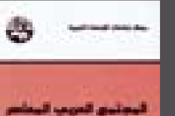
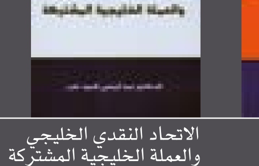
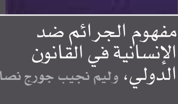
مقهى الباب العالي (حكايات)
سرقان أوزبورون

المال والشهرة
تشارلز فومبرون/سيز بي. ام. ڤان ريل

التسويق الفعَّال
ليونارد لوديش، هوارد مورغان، شلي أركاميو

مركز دراسات الوحدة العربية



مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي، وليم نجيب جورج نصار

الاتحاد النقدي الخليجي والعملة الخليجية المشتركة
د. عبدالمنعم السيد علي

المجتمع العربي المعاصر
د. حليم بركات

مكتبة جرير









المؤثر.. قوة تغيير أي شيء

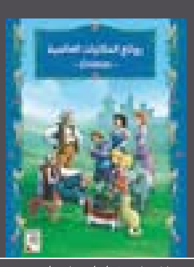
خفض ضغط الدم
معهد الإدارة - لندن

الطفل الذكي
توني بوزان

وداعاً للخجل
ليلى لونديز

دار ربيع






روائع الحكايات العالمية
جريم

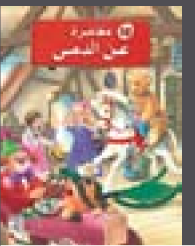


روائع الحكايات العالمية
أندرسون



أهلاً بكم في المزرعة

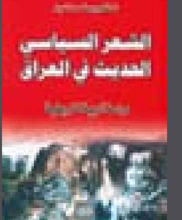
أصدقاء المزرعة



18 مغامرة عن الدمى

دار المدى



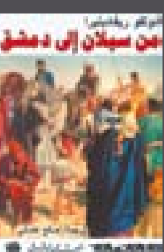
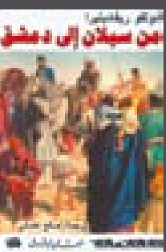
الشعر السياسي الحديث في العراق
د. يوسف عز الدين



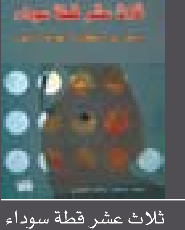
الحضور المرئي
عواد علي



الخالة تولا (رواية)
ميغيل دي أونامونو

من سيلان إلى دمشق
أدولفو ريفادينيرا



ثلاث عشر قطة سوداء
يوري دميتربيف

المؤسسة العربية للدراسات والنشر





قمر باريسي (رواية)
أحمد جمعة

لا يوجد مصور في عنيزة (رواية)
خالد البسام







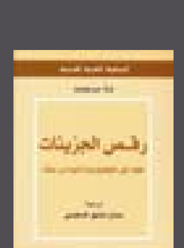
أطراس الكلام
عبدالخالق الركابي



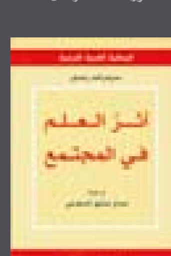
الدكتور محمد جابر الأنصاري.. المفكر والأفكار
د. منصور محمد سرحان

شخصيات من التاريخ
د. علي محافظة

المنظمة العربية للترجمة



رقص الجزيئات
تد سرجنت

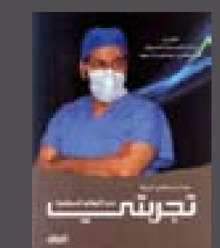



أثر العلم في المجتمع
برتراند راسل



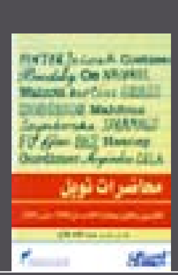

نقد العقل العلمي
إمانويل كنت

مكتبات ونشر العبيكان




تجربتي مع التوائم السيامية
د. عبدالله بن عبدالعزيز الربيعة

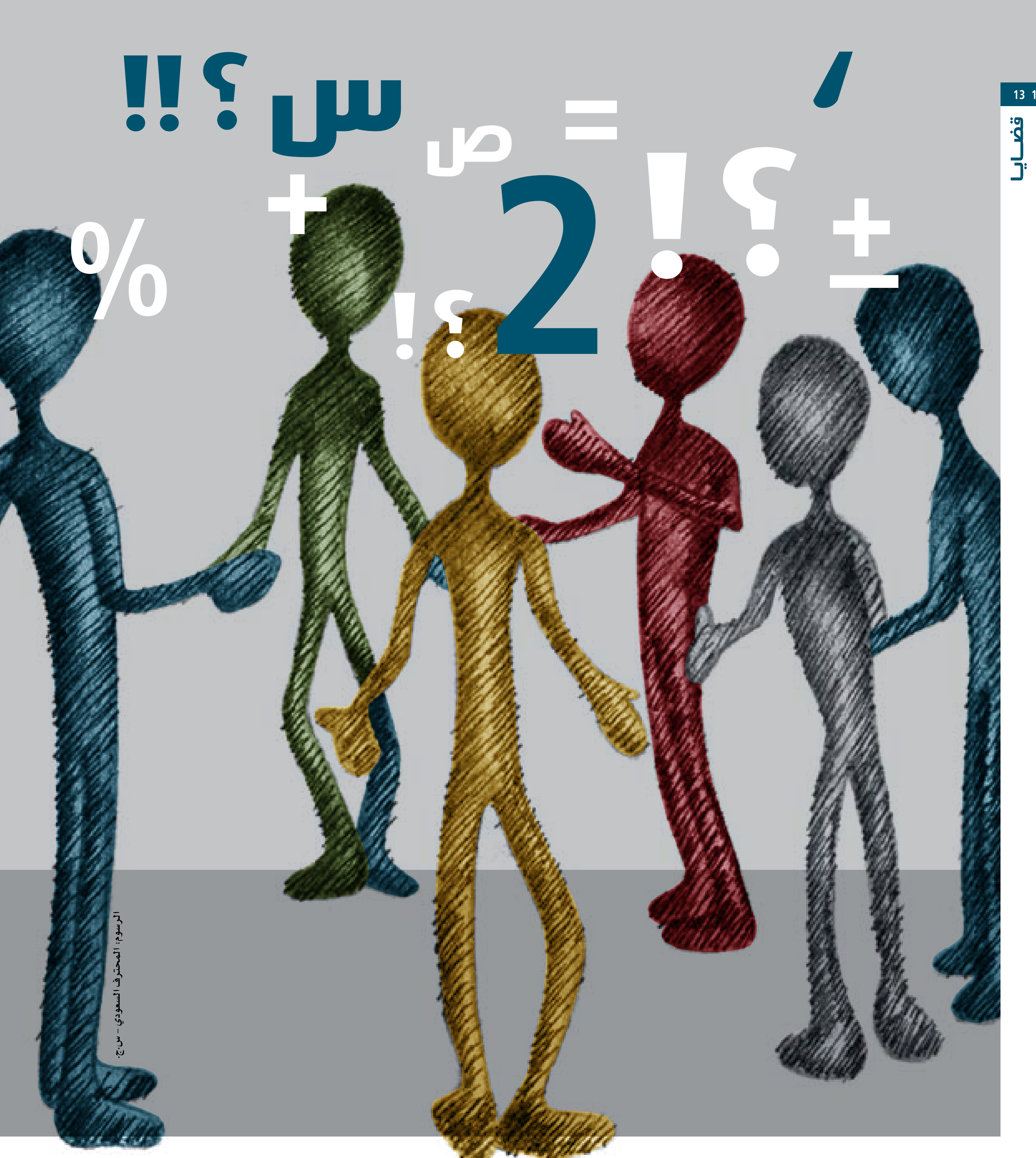
التأثير – اكتساب الالتزام إحراز النتائج
ديفيد بالدوين



محاضرات نوبل، المكرمون بالفوز بجائزة الأدب



التفنن في إخفاء الخضراوات
كارلين بالي، سالي تشايلد



الرسوم: المحترف السعودي – س.ج.

تحولات الاقتصاد الجديد

من شراكة الرساميل إلى شراكة الأفكار



بعدما كانت كلمة «شراكة» تعني في الاقتصاد التقليدي تجمع رساميل من مصادر عديدة لإقامة مشروع اقتصادي معيَّن، يبدو أن تحولاً جديداً قد طرأ على مفهوم هذه الكلمة بحيث صارت تتجاوز النطاق المالي لتشمل، وربما بالدرجة الأولى، تجمع الأفكار وتضافرها في سبيل إنشاء مشروع اقتصادي ناجح.

ليلى أمل تعرض لجوانب هذا التحول، وتؤكد أن الشراكات في الأفكار أصبحت ذات دور حاسم في نجاح المؤسسات الجديدة، حتى يمكن القول إنها باتت عموده الفقري، والسمة الأساس للمشاريع الكبرى في الاقتصاد الجديد.



في شهر سبتمبر الماضي، احتفلت «جوجل» بمرور عشرة أعوام على تأسيسها. وأثار الحدث اهتمام الإعلام فتناوله عدد كبير من الصحف والمجلات كل على طريقته الخاصة.

فقد توقَّفت مجلات الأعمال أمام الثقل الاقتصادي الذي استطاعت تلك الشركة أن تحوزه خلال سنوات عشر هي كل عمرها، وتحدثت عن أسلوبها الخاص في الإدارة الذي أدى اتباعه إلى كل هذا النجاح. وركَّزت مجلات التكنولوجيا في حديثها على النقلة الكبيرة التي أحدثتها الشركة في عالم محركات البحث، وكيف أثَّر ذلك على مسيرة شبكة الإنترنت، وما الذي يمكن أن يحدث في المستقبل إذا توقعنا منها التطور في السنوات القادمة بنفس المعدل المذهل. وحتى المطبوعات التي لا يدخل الاقتصاد ولا التكنولوجيا في دائرة اختصاصها حكت لنا كيف أصبحت منتجات هذه الشركة رمزاً من رموز الثقافة العامة في العالم كله.

تغير في عالم الأعمال بات نتيجة إعادة تشكيل المعلومات وليس نتيجة لوجودها فقط

ورغم تعدد الزوايا التي تم من خلالها تناول الحدث، فإن العنصر المشترك الذي كان يظهر دائماً هو تلك الصورة التي تجمع بين مؤسسي جوجل الشهيرين سيرجي برين ولاري بيدج. والحقيقة أنها صورة تحمل أكثر بكثير مما تعرض. فهي توضِّح «بالدليل» النموذج الذي يرسمه الاقتصاد الجديد لنجومه. فهما شابان، من الطبقة الوسطى، ذكيان، ويمتلكان تلك العصا السحرية التي تدعى التكنولوجيا، و.. اثنان. فهذه الشراكة لم تكن صدفة أو حالة خاصة تمثلها جوجل وحدها، لكنها واحدة من العناصر الأولية التي بنت عليها نجاحها، وواحدة من أهم الخصائص التي يرتكز عليها الاقتصاد الجديد الذي يعيشه العالم الآن.

الشراكة كأحد ملامح الاقتصاد الجديد

«الاقتصاد الجديد» هو المصطلح الذي يشير إلى المرحلة التي تطوَّر إليها الاقتصاد الصناعي التقليدي. وترجع الملاحظات الأولى حول هذا التطور إلى العام 1969م، حين كتب بيتر دراكر، أبو الإدارة الحديثة، عن «عمالة المعرفة». وبسبب الدور الأساسي الذي تلعبه المعلومات في خلق الثروات وتحريكها في أنظمة هذا الاقتصاد الجديد، بدلاً من الموارد ورؤس الأموال المادية التي كانت المحرك الأساسي للاقتصاد في نمطه القديم، أصبح الاسم الرسمي الذي يعرف العالم به هذا الاقتصاد الجديد هو «اقتصاد المعلومات».

لكن كيفن كيلي الكاتب الأمريكي وأحد مؤسسي مجلة «وايرد» «Wired» المتخصصة في التكنولوجيا، يقول في كتابه «قواعد جديدة لاقتصاد جديد» إن مصطلح اقتصاد الشبكات هو الأدق لوصف الاقتصاد الحالي. إذ إن المعلومات وحدها ليست كافية لتفسير التغيرات التي حدثت في عالم الأعمال.

فخلال القرن العشرين، كانت سيول من المعلومات تتدفق على العالم وتغمره. وقد حققت مؤسسات كثيرة قدراً هائلاً من النجاح اعتماداً على رأس مال معلوماتي. إلا أن التغير الذي حدث في عالم الأعمال أتى كنتيجة لعملية إعادة تشكيل هذه المعلومات، وليس كنتيجة لوجودها فقط. فعصر الكمبيوتر قد «اكتمل» بمعنى ما. ومعظم التأثيرات التي من الممكن توقعها من الكمبيوتر كآلة قد حصلت بالفعل. ومن المؤكد أن الكمبيوتر قد أضاف الكثير من السرعة إلى حياتنا، وسهَّل كثيراً التعامل مع الكلمات والأرقام والصور.

وفي المقابل، فإن معظم التكنولوجيا الواعدة التي تمثِّل العمود الفقري لاقتصاد اليوم، هي حصيلة التواصل بين أجهزة الكمبيوتر. والعالم منخرط الآن بأكمله في خطة واسعة لتقوية العلاقات والروابط والتواصل بين كل البشر ومع كل شيء ثمة مجال لنسج صلة معه. هذا التأثير القوي هو ما يعطي اقتصاد الشبكات كل هذا الثقل والقدرة على تغيير ما نعرف من الحياة، وليس من عالم الأعمال فقط.

الاقتصاد الجديد هو اقتصاد يقوم في أساسه على التواصل. وقد أصبح العالم في إطاره شبكة هائلة واسعة النطاق يرتبط فيها البشر والمؤسسات والدول والشعوب، وتتأثر بالتطور الدائم في تكنولوجيا المعلومات.

ولأن التواصل قيمة وثقافة، أكثر مما هو عنصر مادي، فإن الأمر لم يؤثر فقط على المكونات المادية لعالم الأعمال، ولكنه حمل الكثير من التأثير إلى طبيعته والثقافة السائدة التي تحكمه. وكانت فكرة الشراكة في عالم الأعمال واحدة من المفاهيم، التي تجمعت هذه التأثيرات لتصب في

صالحها وتعززهـا، فأصبحت من ناحية نتيجة طبيعية لها، ومن ناحية أخـرى نقطة قوة في عالم المؤسسات والأعمال ككل.

فقـد جعـل الاقتصـاد الجديـد التواصـل أسلـوب حيـاة المؤسسـة. سـواء أكان تواصـلاً خارجيـاً بيـن المؤسسـة وعملائهـا ومورديهـا ومؤسسـات أخـرى «حليفة» لهـا، أو تواصـلاً داخلياً بيـن إداراتها وفروعها. وهـو في الحالتين ليـس تواصلاً صوريـاً أو «ورقياً» فقط، لكنـه تواصل بشري حقيقي، رسمي أحياناً وغيـر رسمي في أحيان أكثر، يسمح بتبـادل الأفكار ووجهات النظر وتفاصيـل العمل التي كانت تختفـي عادة وسط التقارير وجـداول الأعمال. ويشكِّل هذا التواصـل في النهاية صـورة للمؤسسة ككيـان كبير تتفاعل فيه الكيانات الأصغر التي تكونه، فتتبادل الأخذ والعطاء في اتجاهات حرة ومتعددة. كما أن المؤسسات أصبحت رأسية أقـل ممـا كانت عليـه، وأكثر أفقيـة في تركيبهـا الداخلي. وأصبح فريق العمل مركز الثقل الذي تصب فيه مهارات كل أفراده وقدراتهم، وتتيح للمؤسسة رصيداً هائلاً من الأفكار الابتكارية وحلول المشكلات.

يقـول الكاتـب الأمريكـي كيفـن كيلـي: «كل مـا أعرفه عن خصائـص المعلومات أقنعني أن المعرفـة لا تنشأ بطريقة عفويـة من البيانات، لكنها تحتاج إلى قدر هائل من الطاقة والذكاء الإنسانـي الموجَّه عمداً نحو تحويـل هذه البيانات إلـى معرفـة». ويوضِّح هذا الـكلام الأهميـة الخاصة التي يملكهـا العنصـر البشري فـي الاقتصاد الجديـد باعتباره اقتصـاداً قائماً على المعرفة، يعتمد فيـه النجاح على دفع الـذكاء والمعرفة الإنسانيـة إلـى أبعـد الحـدود. فخبراء الإدارة يقولون إن «الحجم العقلي» للمؤسسة هو عامل مؤثر أكثر من الحجم المادي الذي تمثله الموارد ورؤوس الأموال الماديـة. ولو نظرنا إلى الشـركات العالمية التي أصبحت الآن كيانات اقتصادية عملاقة، نجد أن بداياتها كانت مـن الناحيـة الماديـة متواضعة للغاية بمقاييس عالم الأعمال، وأنها نشأت كأعمال صغيرة أو متوسطة الحجم، لكن رأس مال عقلي ثري كان يقف خلفها.

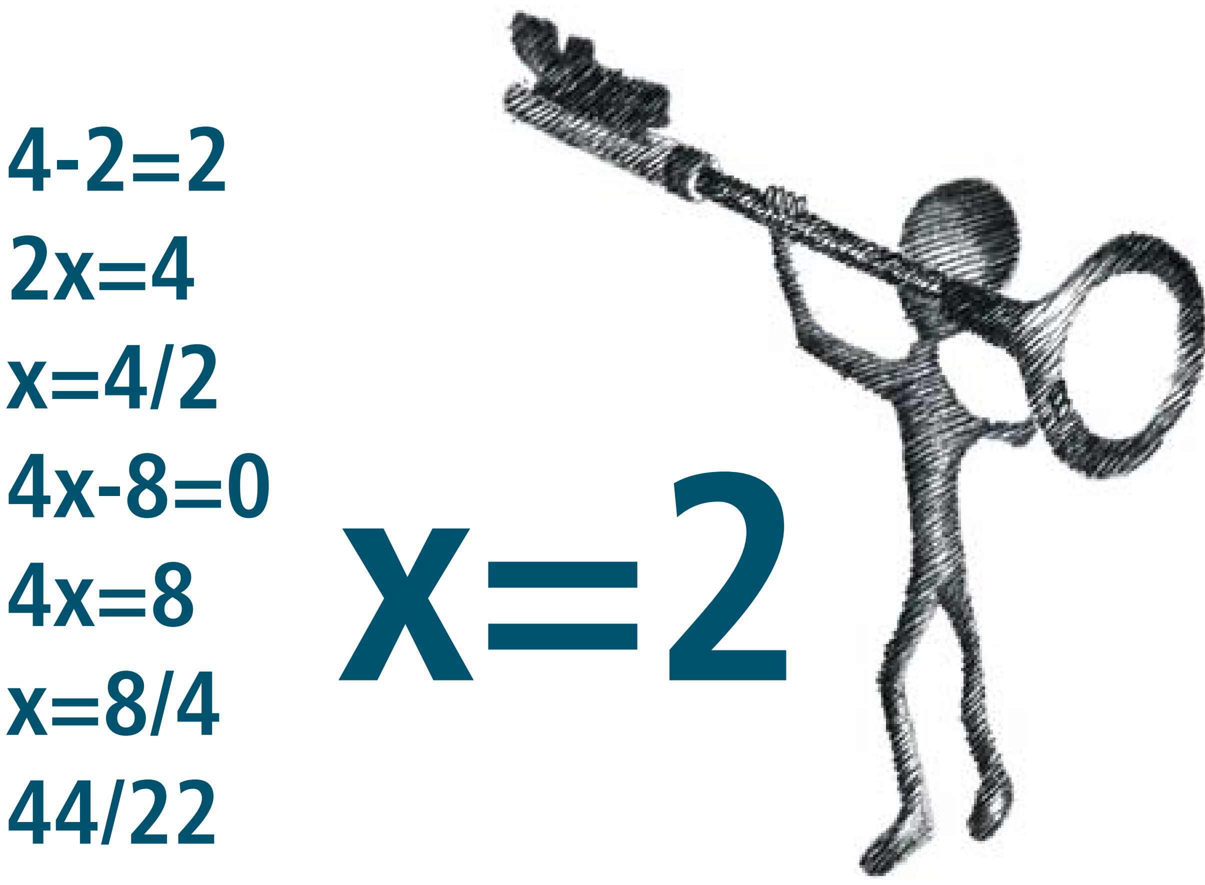
في ظـل ثقافـة كهـذه، تألقـت فكرة الشراكـة. فهـي أرقـى درجة فـي سلم التواصـل يمكن أن ترتقي إليها مؤسسة ما. فالمؤسسة التي تقوم على الشراكة، هـي مؤسسة تتبنى ثقافة التواصل منذ البدايـة، أي منذ اللحظـة الأولى لتأسيسهـا. وهي مؤسسة تعتمـد على فريـق العمل ليس فقـط ليتابـع تنميتها، ولكن ليأتي بها إلى الحياة. وهي مؤسسة قررت منذ البداية أيضاً أن تضاعف رأس المال العقلي لها، باعتباره القوة المحركة الحقيقيـة، والمايسترو الذي يقود بحركـة أصابعه مجموع الموارد المادية التي تملكها.

ما الذي تجلبه الشراكة للمؤسسة

في دراسة أجراها الباحثون في جامعة «ماركيت» الأمريكية، أثبتـت النتائج الأثر الكبير للشراكة فـي نجاح المؤسسات. فقـد شملت الدراسـة أكثر مـن ألفي شركة، تـم تقسيمها تبعـاً لنجاحها في عالـم الأعمال إلى قائمتيـن. الأولى هي الشـركات عاليـة الأداء والثانيـة هي الشـركات منخفضة الأداء. وقد وجد الباحثون أن الشركات التي قامت على كتف واحـدة، شكلت نسبة 6% فقط مـن الشركات عالية الأداء، بينمـا شكلت الشراكات نسبة 94% مـن هذه القائمة. وفي المقابـل، كان أكثر من نصف الشـركات منخفضة الأداء، تلك التي أسسها فرد واحد. وفي القائمة السنوية للشركات المئـة الأسرع نمـواً والتي تصدرها مجلـة «إنك» الأمريكية

2

0100
0101
0100
0100
0101
0100
0101



المختصة بالأعمال، تشكِّل الشراكات حوالي ثلثي القائمة، تتراوح فيها من شراكات ثنائية أو ثلاثية، إلى شراكات أكبر يدعمها فريق مؤسِس.

إذن ما الذي تقدِّمه الشراكة للمؤسسة؟ ولماذا تُعَدُّ عنصر قوة؟

تكمن قوة الشراكة في التكامل الذي تحدثه نتيجة لاتحاد تيارات مختلفة من الكفاءات والمهارات وطريقة التفكير، يضخها أفراد الفريق المؤسس إلى بنيتها الأساسية. وربما نفكر أن الشركاء الناجحين هم أكثرهم تماثلاً، لكن الواقع يؤكد أن المفتاح الحقيقي هو تكامل الشركاء وليس تماثلهم، حتى ولو افترضنا أن فكرة التماثل والتطابق التام بين شريكين فكرة يمكن تحقيقها عملياً. فهذا التماثل يعني التقدم خطوتين في الاتجاه نفسه، بينما تحتاج الشركات إلى خطوات منتظمة في اتجاهات متعددة كي تثبت أقدامها في عالم الأعمال. وهذا ما يقدِّمه التكامل حين يقوم على قاعدة مشتركة من التشابه والتوافق، ويمتد بعدها ليغطي طيفاً واسعاً من نقاط القوى التي يتفاوت الرصيد الشخصي منها عند أعضاء الفريق المؤسس.

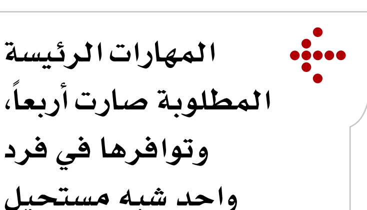
بعض المهارات المطلوبة

«الفريق المؤسس هو تلك المجموعة من البشر، الذين إذا تم إلقاؤهم معاً على جزيرة مهجورة، يكونوا قادرين على صنع مدينة كاملة». هذه هي صورة الفريق المؤسس كما يرسمها سبروتو باجشي أحد مؤسسي «شجرة العقل» وهي شركة هندية ناجحة تعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات. وفي كتابه عن المؤسسات عالية الأداء، يحكي باجشي عن قصة تأسيس شركته، التي قامت عن طريق تعاون مثمر بين عشرة من الشركاء شكلوا معاً فريقاً متكاملاً قاد الشركة في رحلة نجاح متميزة كان من ضمن محطاتها فوزها بجائزة التميز الوطني للعام 2008م.

يوضِّح باجشي أن أهم أسباب نجاح شركته هي الدرجة العالية من التكامل التي يملكها الفريق المؤسس. وبعيداً عن الأمور التقنية التي تخص تفاصيل العمل ومهامه المحددة، فإن كل واحد من المؤسسين العشرة له نطاقه الخاص من نقاط القوة الشخصية التي تميزه. وهو يقول في هذا الصدد: «نطاق قوتي الخاص هو التفكير بعيد المدى، أما نطاق كامران أوزير فهو فهم أدق تفاصيل التكنولوجيا وتعقيداتها. بارساراسي لديه تلك القدرة الخاصة على إرضاء العملاء، ورافنان هو أفضل من يعقد الصفقات. سكوت متميز في التعامل مع الأمور المالية، أما لاهيري فيعرف جيداً كيف يختبر الخطط والاستراتيجيات ويحدد إن كانت ستنجح أم لا. كريشنا كومار لديه موهبة البيع، وجاناكيرامان لديه شغف بالبحوث والتطوير. بانرجي تميزه مهارات القيادة، أما سوتا فلديه القدرة على إلهام الآخرين وبث جو مشجع من الثقة والحماس».

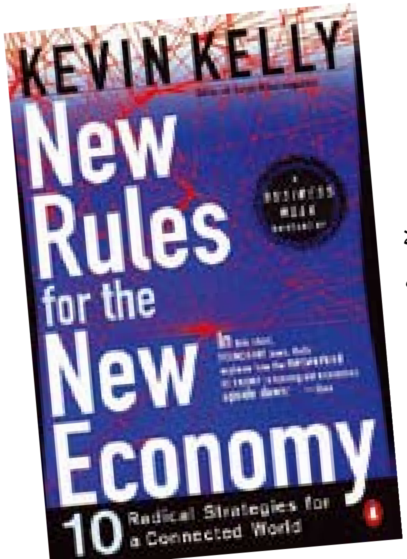
في المراحل الأولى من حياة الشركة، تكون للشراكة أهمية خاصة. فهي تعني أن تدخل المؤسسة عالم الأعمال وهي مستعدة لما سيأتي بعد ذلك، بامتلاكها مجموعة المهارات الضرورية واللازمة لنجاحها منذ اليوم الأول. فمهما اختلفت طبيعة المؤسسات أو مجال عملها، فهناك مهارات معيَّنة يجب أن تكون حاضرة فيها منذ البداية، وأن تكون أصيلة فيها وليست «مجلوبة» من الخارج.

ويمكننا تلخيص هذه المهارات في أربعة مجالات أساسية هي: القدرة على بناء شركة أو مؤسسة وتركيب «طبقاتها» المختلفة فوق بعضها، والقدرة على رؤية الفرص المناسبة للعمل أو الاستثمار، والقدرة على «قراءة» الأرقام واستيعاب دلالتها، والقدرة على التفاوض والتوصل لاتفاقات ناجحة. واختلاف طبيعة هذه المهارات يجعلنا ندرك مدى الصعوبة في أن يكون فرد واحد متميزاً فيها جميعاً، بعكس إمكانية وجودها في فريق مؤسس تتوزع فيه نقاط قوة كل فرد من أفراده عليها. وبالرغم من أن أداء الوظائف التي تعتمد على هذه المهارات سيتم توزيعه على الموظفين والمديرين المتخصصين الذين سيلتحقون بالشركة بعد تأسيسها، إلا أن غيابها في لحظة تأسيس الشركة ينقص الكثير من أسهم نجاحها في عالم الأعمال.



المهارات الرئيسة المطلوبة صارت أربعاً، وتوافرها في فرد واحد شبه مستحيل

ففي الأيام الأولى للشركة، ستكون مسؤولية هذا الفريق وحده، أن يجري عملية البيع الأولى، ويطلق المنتج الأول، ويتفاوض مع البنوك أو المستثمرين أو الموردين للمرة الأولى. ثم بعد فترة، حين تتوزع المهام على مديرين وموظفين يلتحقون بالشركة كجزء من عملية نموها، فإن الدراية بهذه المهارات والتمكن منها داخل الفريق المؤسس هو الذي يسمح للثقة بأن تسري في جو الشركة بين الفريق المؤسس من جهة، وبين بقية الموظفين من الجهة الأخرى. فيطمئن المؤسسون إلى قدرتهم على تقييم كفاءة الموظفين واختيارهم تبعاً لذلك، ثم إلى قدرتهم على متابعة أدائهم بعد انضمامهم للشركة. ويطمئن الموظفون إلى فهم المؤسسين لطبيعة العمل، وإلى واقعية النتائج المطلوب منهم تحقيقها. وسواء أكانت الشركة في بدايتها أو في مراحل متقدِّمة من عمرها، فإن وجود فريق مؤسس متمكن من هذه المهارات خلفها، شرط أساسي لاتخاذ قرارت صحيحة، مبنية على قراءة واعية لمجريات الأمور.



من ناحية أخرى، يقول عالم النفس الأمريكي دافيد جيدج إنه في الفترة الأولى من عمر الشركة، يكون للشراكة ميزة إضافية. فهي تعني وجود من يشارك الضغط النفسي المميز لهذه المرحلة، ويجعل هذا العبء أقل ثقلاً. وفي الوقت الذي تكون فيه أقدام الشركة غير مستقرة على الأرض بعد، تُشيع الشراكة جواً من الأمان والحماس للعمل، اعتماداً على فكرة «نحن في هذا معاً».

وقد أثارت فكرة الشراكة ودورها الكبير في عالم الأعمال اهتمام دافيد جيدج، فأسس شركة «بي إم سي» المتخصصة في استشارات ودعم الشراكات. ويوضِّح أنه وجد من خلال خبرته العملية التي امتدت في هذا المجال لأكثر من ثمانية عشر عاماً أن أكبر شكوى عند أصحاب الأعمال هي أنهم لا يجدون حولهم من يفهم بالضبط مقدار العبء الهائل الذي يعنيه قيام أحدهم بتأسيس شركة ودفعها خلال مراحلها الأولى. وحتى الأزواج أو الزوجات الذين يحاولون أن يكونوا متفهمين ومتعاطفين لأقصى درجة، لا يستطيعون فهم التعقيدات التي يجد أحدهم نفسه غارقاً فيها. وفي هذه المرحلة يكون دعم الشركاء لبعضهم عنصراً أساسياً من عناصر نجاح الشركة. فبناء مؤسسة هو عمل شاق للغاية، ووجود الشركاء أحد الأشياء التي تجعل صعوباته محتملة.

ملامح الشراكات الناجحة

لا يمكن أن تقوم شراكة ناجحة من دون توافر عنصر الثقة ما بين أطرافها، وفي عالم الأعمال يكون لهذه الكلمة ثقلها الخاص. فالشريك هو شخص غيرك تعطيه مفاتيح مالك وحلمك واسمك وسمعتك. ولذلك، فإن الثقة بين الشركاء هي الأساس الذي يقوم عليه باقي البناء، الثقة في أن أحداً من الشركاء لن يخالف مبادئ الأمانة مع شركائه، ويتعمد الإضرار بالمصلحة العامة تحت أي ظرف ممكن ومهما كان الأمر. وكذلك الثقة في قيمه وسلوكياته وتصرفاته كإنسان خارج حدود العمل. ففي الشراكة لا يعود الحد الفاصل بين المهني والشخصي محدداً.



يقـول سبروتو باجشي صاحـب شركة «شجـرة العقل»: «في مسألة الثقة هناك اختبار صغير ومؤكد، هو أن أسأل نفسي لو لم أكن هنا في الغد هل أستطيع أن أضع مسؤولية أبنائي في يد أحد من هؤلاء الرجال؟ وتكون الإجابة هي نعم قاطعة».

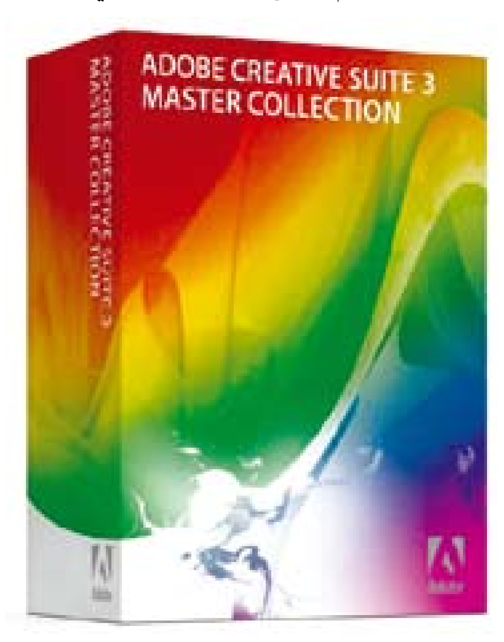
الشـراكات الناجحـة هـي تلك التـي يتحرك فيهـا الجميع فـي اتجاه الأهـداف نفسها، والتي يكون لـدى الجميع فيها الإجابـة نفسها عن سؤال «لمـاذا نحن هنا، ولماذا نفعل ما نفعلـه الآن؟». ولكي يتحقـق ذلك، يجب أن تبنـى الشراكة منـذ يومها الأول علـى رؤيـة مشتركة لحاضرهـا، وكذلك لمستقبلها. فيكون أمام الجميع صورة واضحة لما يمكن أن تكون عليه المؤسسة، وما يمكن أن يتم إنجازه في المستقبل، حيـن يكرس الفريق كل الطاقة والمـوارد المتاحة في أيدي أعضائـه، ويجتهد لأقصى حد في توقع المؤثرات الخارجية التي قد تواجهه.

تصبـح هذه الصـورة هدفاً يقـود موارد الشركـة وطاقتها لتحقيقـه، وتحفـظ تماسك الفريـق وتوحِّد جهـوده، سواء أكان ذلـك متعلقاً بأداء المهام اليوميـة العادية، أو باتخاذ القرارات الكبرى التي تشكِّل نقاط تحول في مسيرة العمل. كما تحدد طريقة الشركة في ترتيب الأولويات، وهي الدليل الـذي يعـود إليه الشـركاء حين يكـون عليهم اتخـاذ قرار تتعارض فيه مصلحتـان مرغوبتان لكن اجتماعهما معاً في هذا الوقت يكون مستحيلاً. كالاختيار بين تحقيق مكسب ما في اللحظة الحالية، أو انتظار فرصة مستقبلية تعد بمكسب أكبـر. وهي التي تحـدد موقفها من توجهـات معيَّنة كاتباع أساليب إنتاج صديقة للبيئة أو الدخول في أسواق عالمية.

يجتهـد مؤسسـو الشـركات في وضـع الخطـط المكتوبة، وفي صياغـة أهدافهـا فـي بنود علـى الـورق. ورغم أهميـة ذلك، فإنـه ليس كافياً. فالأهـم من ذلك هي الصـورة الذهنية التي يحفظونها في عقولهم. لا يكفي أن يتفق أفراد الفريق المؤسس على خطط ورقية ثنائية الأبعاد، لكن يجب أن يكونوا في داخلهم متفقيـن فعـلاً على رؤيـة حية ثلاثيـة الأبعـاد للمستقبل الذي يريدونـه لعملهم والدور الذي تلعبه شركتهم في عالم الأعمال، وفي المجتمـع بأكمله. كما يجب أن يكونوا مستعدين لتقديم ما يجب عليهم أن يقدموه مقابل تحويل هذه الرؤية إلى حقيقة.

تُعـد شركة «أبل» للكمبيوتر واحـدة من أنجح الشراكات في عالمنـا اليـوم. وكان وراء هذا النجاح رؤيـة مشتركة ولدت فـي الثمانينيـات في عقـل مؤسسيها ستيـف جوبز وستيف وزنياك حين اتفـق الاثنان على حلم كبير هو إنتاج كمبيوتر شخصي بنظام يمكن أن يفهمه ويتعامل معه أي شخص من دون أن تكـون لديه خبرة خاصة. وهو الأمر الذي كان خارج نطاق التصور في ذلك الوقت. ولأنها كانت رؤية راسخة في عقلي صاحبيها، فقـد استطاعت أن تجذب إليها فريقاً من العامليـن الذين استطاعوا أن يجعلوها حقيقة، فكرَّسوا لها كل وقتهم لمدة عامين كاملين وبرواتب أقل مما كان يحصل عليه نظراؤهم.

وحيـن توسعت الشركـة وأصبحـت اسماً ذا ثقـل في عالم التكنولوجيـا، حـددت الرؤيـة الأولى اتجاهاتهـا. فقد قرر مؤسسـاهـا أن عليهم التفرغ للجانب الابتـكاري من العمل،



والاستعانة بمدير تنفيذي جديد للشركة ليتولى الجانب الإداري فيها. وهو ما فعله ستيف جوبز حين توجه إلى جون سكالي الذي كان مديراً لإحدى شركات المشروبات الغازية، وسأله: «هل تريد أن تستمر في بيع الماء المُحلى، أم تريد فرصة لتغيير العالم؟».

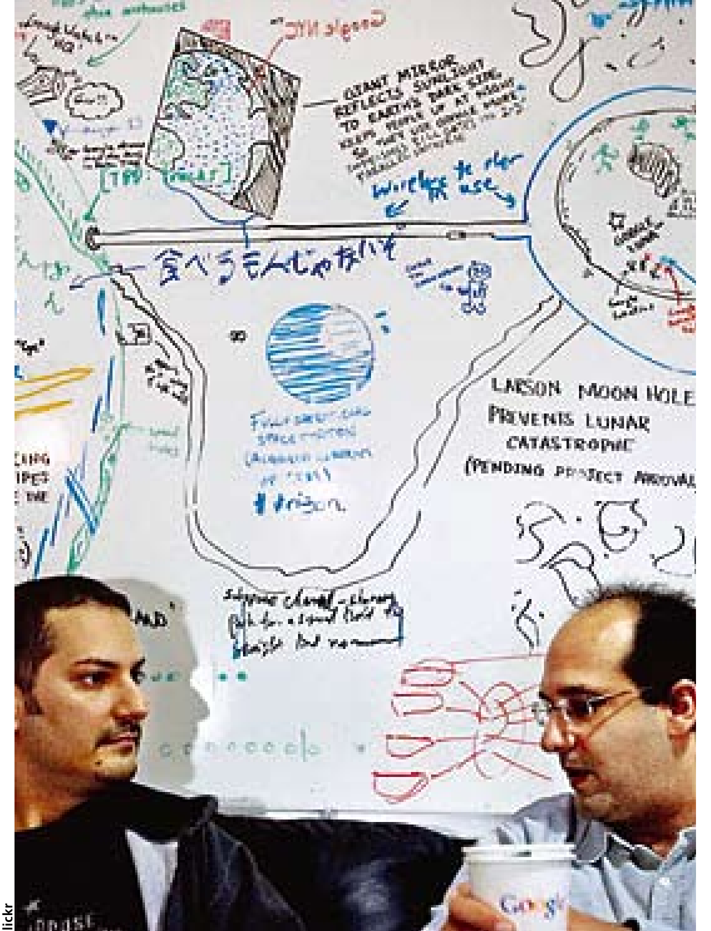
وأخيراً، فإن القدرة على الاختلاف وإدارته، قد تكون أهم من القدرة على الاتفاق. فالتفكير المشترك لا يعني التفكير بالطريقة نفسها، والوصول إلى النتائج نفسها. وفي وجود أكثر من شخص، من الطبيعي أن نتوقع وجود أكثر من طريقة للنظر إلى الأمور. هذا التعدد في وجهات النظر يحمل ثراءً لعملية اتخاذ القرار في الشركة، إذ يوسع من مساحة البدائل المطروحة، ويبقى على الفريق المؤسس أن يجد الإطار الفعَّال الذي يمكن التعامل مع الاختلاف على أساسه، وتحويله إلى عملية منتجة. ولكي يتحقق ذلك، يجب أن يتبنى الفريق أسلوباً للنقاش يكون فيه رأي كل منهم محل تقدير واحترام. بحيث تنتهي المناقشة باعتماد الخيار الذي كان محل تأييد العدد الأكبر من أعضاء الفريق، وفي الوقت نفسه، يوافق الآخرون الذين لم يؤيدوه على دعمه. فهؤلاء الذين عارضوا القرار يعلمون أنه تم الإصغاء إلى رأيهم، وأتيحت لهم كامل الفرصة في التأثير على نتيجة النقاش. إذ إن الاختلاف داخل غرفة الاجتماعات يكون فعالاً فقط إذا خرج الشركاء من الغرفة حاملين خطة عمل واحدة.

خلال ثلاثين عاماً من العمل معاً لم ندخل أبداً في منازعة..

تشارلز جيشك في حديثه عن شراكته مع جون وارنوك

«خلال ثلاثين عاماً من العمل معاً، لم ندخل أبداً في منازعة أو مشادة» هذا ما يحكيه تشارلز جيشك عن شراكته مع جون وارنوك التي قامت عليها «أدوبي» والتي تُعد واحدة من أنجح شركات البرمجيات وأشهرها في العالم. ويكمل جيشك حديثه قائلاً: «بالطبع كانت لنا آراء مختلفة حول بعض الأمور، لكننا لم نغادر الشركة غاضبين من بعضنا أبداً. كانت علاقتنا رائعة واستثنائية، وأعرف أنني محظوظ للغاية. لا يمكنني أن أتصور أنني كنت سأفعل كل ذلك وحدي».

حتى وإن كان يستطيع أن يفعلها وحده، أليست الأمور أفضل في وجود شركاء يجعلون المشكلات أخف وطأة، والانتصار أجمل؟



Flickr

«جدار الأفكار» في مقر شركة «غوغل»


Flickr

ستيف جوبز وستيف وزنياك

قول في مقال

«فيس بوك»
نهاية زمن الخصوصية الفردية

تزامن تعريب الموقع الإلكتروني «فيس بوك» قبل أسابيع قليلة، مع إعلان القيمين على الموقع عن إجراء بعض التعديلات على نظامه لجهة تأمين مزيد من الحماية لخصوصيات المشتركين، الأمر الذي يتضمن اعترافاً غير مباشر بأن هذه الخصوصيات هي في الواقع مهددة.

سكينة المشيخص* تعرض وجهة نظرها في البعد الاجتماعي لهذا الموقع، وترى أنه يمثل نهاية زمن الخصوصية الفردية.

لاتبدو في الأفق نهاية للتاريخ الإلكتروني كما هو للسياسة على سبيل المثال. فالاكتشافات العلمية المثيرة لم تعد قاصرة على العلماء وبحوث المعامل، وإنما هناك أجيال بشرية في مختلف أنحاء العالم تنتج المثير والجديد من الإبداعات والمبتكرات التقنية والعلمية، وأصبحت للكثير من الاختراعات اشتقاقات تلبي طموحات الكثيرين من غير المصنفين كعلماء أو مخترعين. ولعل الكمبيوتر من أكثر المخترعات التي تم اشتقاق كثير من الابتكارات والوظائف التقنية منها، لتسهم بدور فاعل في خدمة العولمة ومبدأ القرية الكونية لخدمتها الحيوية للتواصل بين البشرية. فظهرت محركات البحث كمراكز متجددة وثرية بكل المعلومات والمستجدات، وظهرت خدمات البريد الإلكتروني التي عززت التواصل بين الأفراد والجماعات، كما ظهرت المواقع المتخصصة التي دعمت أفكار التواصل بين شعوب العالم، وأخيراً وليس آخراً، ظهر موقع التواصل الشخصي (فيس بوك) الذي يتيح ميزات اتصالية هائلة لمستخدميه بعدد من اللغات وأصبح أحد أكبر مواقع الشبكة العنكبوتية شعبية وانتشاراً حول العالم.

* كاتبة سعودية

تطور سريع

بدأ «فيس بوك» كفكرة متواضعة لأحد طلاب جامعة هارفارد الأمريكية في العام 2004م، أراد من خلالها تصميم موقع يتيح له التواصل بين زملائه وتبادل الأخبار والصور فيما بينهم. ولم يكن هذا الطالب الذي يدعى مارك جوكربيرج (23 عاماً) يتوقع أن يحقق موقعه الشعبية الكبيرة بمجرد تدشينه، وهو رغم ولعه بالإنترنت، إلا أنه لم يكن يقصد في الأساس ابتكار موقع يحمل صفة العالمية، وبالتالي الدخول في مشروع استثماري يمكن أن يدر عليه مليارات الدولارات بفضل الإعلانات التجارية والاشتراكات التي هطلت على موقعه ودعمت تمويله وتطويره لاحقاً، بعد أن كان في إطار طلابي يخدم طلاب الجامعة والمدارس الثانوية الراغبين في معرفة الواقع الجامعي والحياة الجامعية.

استمر الوضع على ذلك لمدة سنتين، إلى أن خطا جوكربيرج خطوته الواسعة بفتح الموقع للراغبين، وفور ذلك ارتفع عدد المشتركين من 12 مليون مستخدم في خلال عام إلى أكثر من 40 مليون مستخدم، وبلغ العدد 50 مليون مستخدم بنهاية عام 2007م، وارتفع العام الجاري إلى 60 مليوناً، إذ يدخله يومياً 150 ألف مشترك. وأشارت إحصائية إلى زيادة نسبة استخدام الإناث للموقع عن الذكور بنسبة 69%. وصاحبت ذلك تطويرات جوهرية في شكل الموقع ووظائفه

وخدماته الاتصالية، حيث فتح الباب أمام المبرمجين لتقديم خدمات مبتكرة لزواره في مجال صناعة المعلومات. وكانت نتيجة ذلك أن حصل على عرض لشرائه بمبلغ مليار دولار العام الماضي، ولكنه رفض بيعه.

الثمن الغالي

رفْض جوكربيرج مبَرَّر بالاستناد إلى تقييمه لمنجزه واعتزازه به. وكان لبقاً في الدفاع عن رفضه لعرض المليار دولار بقوله في تصريحات صحافية «ربما لم يقدِّر كثيرون قيمة الشبكة التي بنيناها بما تستحق»، وأضاف: «إن عملية الاتصال بين الناس ذات أهمية بالغة، واذا استطعنا أن نحسنها قليلاً لعدد كبير من الناس فإن هذا سيكون له أثر اقتصادي هائل على العالم كله». وكان محقاً في ذلك.

فقد سعت شركة مايكروسوفت إلى شراء 5% من قيمة «فيس بوك» بمبلغ يتراوح بين 300 و500 مليون دولار، ما يعني أن قيمته الإجمالية تصل إلى ما بين ستة وعشرة مليارات، خاصة وأن شركة مايكروسوفت تحتكر إعلانات الإنترنت على موقع «فيس بوك» في الوقت الحالي.

ويسعى مؤسس الموقع إلى تحقيق كثير من التطوير في موقعه الذي اكتسب شهرة عالمية وانتشاراً غير متوقع. وإزاء ذلك فإنه يطمح إلى زيادة عدد مستخدمي الموقع بحيث يتضاعف هذا العدد كل ستة أشهر، إلى جانب تقديم المزيد من الخدمات التفاعلية في الموقع، كما يسعى إلى تطوير نظام يسمح للمعلنين باستخدام المعلومات التي يقدمها مستخدمو الموقع عن أنفسهم، ولكنه ينفي ذلك باعتبار أن مثل هذا النظام يثير تساؤلات عن مدى الخصوصية التي يتمتع بها مستخدمو الموقع.

انتقادات عالمية

رغم المزايا المتعددة لهذا الموقع واسع الانتشار إلا أن هناك عيوباً خطرة تشوب خصوصية المستخدمين وحقوقهم فيها. ومن ذلك توجيه المدعي العام في نيويورك مذكرة استدعاء لمسؤولين في «فيس بوك»، وقال في خطاب للموقع إن فحصاً أولياً أوضح وجود أوجه قصور في الحماية التي يتمتع بها مستخدمو الموقع، خاصة صغار السن، وقام أحد المحققين بالتظاهر بأنه شاب صغير السن ودخل على الموقع فتعرض لملاحقة جنسية من قبل بعض المستخدمين.

ومن جانب آخر قال المدعي العام لولاية كونيكتيكت ريتشارد بلومينثال إن مكتبه وجد ثلاثة من المدانين بجرائم جنسية ضمن شبكة مستخدمي «فيس بوك»، وأن على الشبكة القيام بالكثير من الخطوات قبل أن يشعر بالرضا الكامل تجاهها.

وقد وجدت اشتراطات الخصوصية بالموقع (Privacy policy) انتقادات عالمية بسبب تجاهل خصوصية الأعضاء واستغلال صورهم وبياناتهم ونشاطهم الاجتماعي والمتاجرة بها، وحق الموقع في بيعها لشركات تسويق عالمية أو لجهات غير معلنة، وكذلك حقه في تتبع نشاط الأعضاء في المجلات والمدونات والمجموعات.

ونتيجة لذلك، خاصة مع الاشتباه باستغلال استخبارات دولية لمعلومات الأفراد فيه، فقد قام عدد من الشركات العالمية والعربية، وكذلك الحكومات، بحظر استخدام موقع «فيس بوك»، كما أن وزارات الدفاع في بعض البلدان حظرت على جنودها وضع صورهم أو بياناتهم أو تفاصيل حياتهم عليه. إذ ترى أن هذه الصور قد تكون حساسة وتشكِّل خطراً أمنياً عليها. كما أن الموقع أفرز عدداً من المظاهر السلبية مثل إدمان الإنترنت، والكذب، والتباهي.

منافسة شرسة

وفي الواقع أثبت «فيس بوك» قدرات خارقة في كسر الحواجز وتحطيم المتاريس التي تقف بين بني الإنسان، فهذا الموقع أصبح ملاذاً للكثيرين، ويستضيف قطاعات واسعة من شعوب العالم من طلاب وجماعات سياسية ودينية واجتماعية. إلا أن قضية الخصوصية تظل أكثر القضايا حساسية في استخدام هذا الموقع لأن كل مستخدميه عبارة عن كتب مفتوحة للجميع، ولذلك فمن الضروري الانتباه لشروط الاستخدام واشتراطات الخصوصية، وقراءتها بدقة قبل الاشتراك في الموقع.

ورغم معدلات الانتشار العالية للموقع، إلا أنه ليس متفرداً بحظوة الاشتراك فيه دون غيره من المواقع المشابهة. فهناك منافسة شرسة من عدة مواقع للعلاقات الاجتماعية، في مقدمتها موقع «ماي سبيس» الذي يتوقع أن يصل عدد مستخدميه إلى أكثر من 200 مليون شخص. مما يجعله أكبر شبكة للعلاقات الاجتماعية في العالم، ويبقى الوضع على ما هو عليه إلى حين ظهور اشتقاق جديد لاستخدامات الكمبيوتر أكثر سهولة في الاستخدام ومرونة في التعامل وأكثر خصوصية وأمان.



البترول خارج أوبك

دوره، حجمه، وآفاقه خلال العقود المقبلة

Getty Images



لأسباب كثيرة، قلّما يحظى إنتاج البترول في الدول غير المنضمة إلى أوبك بالأضواء الإعلامية التي يستقطبها بترول دول المنظمة البالغ عددها 13 دولة فقط، علماً بأن عدد الدول المنتجة قليلاً أو كثيراً، يبلغ نحو 100 دولة.

الدكتور عبدالله محمد عيتاني* يعرض حال البترول خارج دول أوبك، إنتاجاً واستهلاكاً وتصديراً، ويستشرف مستقبله خلال العقود القليلة المقبلة بناءً على الأرقام المتوافرة حول إنتاجه واحتياطاته واستهلاكه، الأمر الذي يؤكد ازدياد الاعتماد على بترول أوبك في المستقبل، مشيراً إلى توافق دول المنظمة وتلك التي هي خارجها على الخطوط العامة في سياساتها النفطية، والدور الذي تلعبه المملكة في إطار الحفاظ على توازن السوق، وتأمين الإمدادات بغض النظر عن الظروف الطارئة على هذا السوق.

(اعتمدت هذه الورقة على الدراسات الإحصائية السنوية لمجلة الزيت والغاز (OGJ) والتوقعات المستقبلية على البترول للوكالة الدولية للطاقة (IEA) وإدارة معلومات الطاقة الأمريكية (EIA) ودراسات أوبك (OPEC) وأوابك).

* باحث علمي، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

بالرغم مما تشهده السوق العالمية للبترول من تقلب في الأسعار وتراجع الطلب نتيجة الركود الاقتصادي، فمن المؤكد أن يستمر البترول في الاضطلاع بدور ريادي بين مصادر الطاقة الأخرى (غاز طبيعي وفحم حجري وطاقة متجددة وغيرها) على مدى العقود المقبلة، نظراً لأن الطلب العالمي للطاقة سيعود إلى الارتفاع، وإلى توفّر الاحتياطات البترولية وقدرتها على تلبية أكثر من ثلث الاحتياجات العالمية للطاقة.

ومن أجل ذلك، تتنافس الدول والشركات العالمية المتخصصة وترصد الاستثمارات الضخمة لعمليات التنقيب وإنتاج البترول ومشتقاته وتكريره وتصديره. فمع نهاية العام 2008م، بلغت الإمدادات البترولية العالمية حوالي 85 مليون برميل يومياً، منها 73 مليون برميل من البترول و12 مليون برميل من سوائل الغاز الطبيعي وسوائل هيدروكربونية غير تقليدية مشتقة من الزيت الثقيل والرمال الزيتية والوقود الحيوي.

وبصورة عامة، يوجد أكثر من 100 دولة في مختلف بقاع العالم تنتج أكثر من 160 نوعاً مختلفاً من النفط الخام. غير أنه بالإضافة إلى الدول الثلاث عشرة المصدرة للبترول في منظمة أوبك، هناك سبع عشرة دولة «رئيسة» منتجة خارج المنظمة، ينافس البعض منها دول أوبك في الاحتياطات والإمدادات. ونظراً لدور هذه الدول في السوق العالمية للبترول، نسلط الضوء هنا على تطور الصناعة البترولية لدى بعضها.

الوضع الحالي للسوق العالمية للبترول

مع نهاية العام 2008م، وطبقاً لآخر التقديرات، بلغت الاحتياطات العالمية المؤكدة من البترول القابل للاستخراج بالطرق المعروفة 1.3 تريليون برميل، 30 بالمئة منها لدى 17 دولة منتجة خارج أوبك وفي مقدمتها كندا وروسيا وكازاخستان والولايات المتحدة، بينما تستحوذ دول أوبك على 70 بالمئة من هذه الاحتياطات. وإذا ما استثنينا الاحتياطات البترولية المستخلصة من رمال الزيت الكندية، فإن نسبة الاحتياطات لدى دول أوبك ستصل إلى أكثر من 80 بالمئة يتركز معظمها في دول الخليج العربية. (ويعرض الجدول 1 الاحتياطات والإمدادات البترولية لدول أوبك وللدول المنتجة خارج أوبك).

فبالنسبة للتجارة العالمية للبترول الخام، يتم تداول أكثر من 2.5 بليون طن سنوياً بين الدول والشركات العالمية، مما يجعل النفط أكبر سلعة تجارية في العالم. وفي هذا الإطار بلغ إجمالي حجم صادرات البترول للدول خارج أوبك حوالي 13.5 مليون برميل يومياً، أي ما يعادل 35 بالمئة من إجمالي الصادرات العالمية. ويأتي في مقدمة الدول المصدرة روسيا والنرويج والمكسيك وكازاخستان وكندا. وتتقدم الدول المستوردة الولايات المتحدة التي تستهلك 25 بالمئة من الإنتاج العالمي للبترول، تليها الصين وبريطانيا والهند



Flickr

إضافة إلى ألمانيا واليابان وكوريا الجنوبية وفرنسا (وهي دول غير منتجة للبترول). وحسب توقعات المحللين في وكالة الطاقة الدولية وتوجهات الأسعار، فإن الطلب العالمي على البترول والسوائل الهيدروكربونية سيرتفع من حوالي 85 مليون برميل يومياً حالياً ليصل إلى حوالي 105 ملايين برميل في اليوم بحلول العام 2030م، لمواكبة الزيادة في عدد السكان والتوسعات الاقتصادية العالمية، وخاصة في الصين والهند ودول الشرق الأوسط. ومن المتوقع أن يصل متوسط معدل النمو السنوي للطلب العالمي على البترول إلى حوالي 1.1 بالمئة حتى عام 2030م، في حين يسجل النمو في الدول الصناعية الثلاثين المنضوية في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OECD) حوالي 0.4 بالمئة.

دور المملكة في استقرار الأسواق العالمية

وفي حديثنا عن السوق العالمية للبترول، لابد من التطرق إلى دور المملكة العربية السعودية في استقرار السوق، ذلك لأن المملكة تتميز بامتلاكها أكبر ثروة نفطية في العالم من حيث الاحتياطات. كما أنها أكبر دولة منتجة ومصدرة للبترول ضمن منظمة أوبك وفي العالم. وبموازاة ذلك، فإن المملكة تمتلك قدرة إنتاجية مرنة بالإمكان استخدامها للحفاظ على توازن الإمدادات البترولية في العالم. وتحاول المملكة بالتعاون مع الدول الأخرى في أوبك إيجاد شراكة وتعزيز الحوار بين الدول المنتجة والمستهلكة لضمان استقرار الأسعار، وبالتالي ضمان ديمومة الاستثمار في الصناعة البترولية على المدى الطويل إضافة إلى الاهتمام بحماية البيئة والتعامل مع المتغيرات المناخية.

وقد رصدت المملكة استثمارات ضخمة جعلت صناعة البترول الوطنية تنافس شركات البترول العالمية وتتفوق في بعض النواحي عليها. إذ حققت صناعة البترول السعودية نجاحات بارزة حيث تشهد في الوقت الراهن، وبالرغم من الركود الاقتصادي العالمي توسعاً محلياً هائلاً في عمليات



الاستكشاف والإنتاج والتكرير والتكامل مع الصناعة البتروكيماوية، لتلبية زيادة الطلب المستقبلي على البترول والاحتياجات الاستهلاكية المحلية وخاصة قطاع النقل والقطاعات الصناعية والزراعية والخدماتية المختلفة.

تطور الاحتياطات والإمدادات في الدول خارج أوبك

خلال العقود الثلاثة الماضية تغيرت خارطة منتجي البترول في العالم للدول خارج أوبك، بعدما تزايدت عمليات إنتاج البترول وتصديره من دول جديدة لم تكن معروفة على الساحة البترولية. وفي نظرة تاريخية نرى تقدم دول شمال أمريكا في السبعينيات من القرن الماضي، وفي الثمانينيات ظهرت المكسيك وبحر الشمال، وفي التسعينيات برز إنتاج جديد في أمريكا الجنوبية وغرب إفريقيا والشرق الأوسط (خارج أوبك) والصين، إلى أن ظهرت مؤخراً الدول المنتجة في وسط آسيا وتوقفت صادرات بحر الشمال. وفي العام 2008م بلغ إجمالي الاحتياطات البترولية للدول خارج أوبك حوالي 398 بليون برميل والإمدادات حوالي 45 مليون برميل يومياً، أي ما يعادل 56 بالمئة من إجمالي الإنتاج العالمي (متضمنة سوائل الغاز الطبيعي والمصادر غير التقليدية). (يعرض الجدول 2 تطور الاحتياطات والإمدادات في عدد من هذه الدول للفترة من 1995 إلى 2008م).

عمر الاحتياطات المؤكدة خارج أوبك لا يتجاوز 27 عاماً، في حين أنه يصل إلى 80 عاماً في دول المنظمة

وعند مقارنة الاحتياطات مع معدلات الإنتاج الحالية، يتبين أن عمر الاحتياطات المؤكدة للحقول المكتشفة في الدول خارج أوبك لا يتجاوز 27 عاماً، نظراً لتدني حجم هذه الاحتياطات، وبالمقابل نجد أن عمر الاحتياطات المؤكدة لدول أوبك تصل إلى حوالي 80 عاماً. وفي هذا الإطار، تشير الدراسات إلى أن متوسط معدل النضوب للحقول البترولية التي بدأت الإنتاج خلال الفترة من 2000 إلى 2007م بلغ 15 بالمئة لدى الدول خارج أوبك و5 بالمئة لدى دول أوبك. وذلك يعود إلى صغر حجم الحقول المنتجة خارج أوبك والتي تنضب بصورة أسرع. وكما يشير الجدول 1 فإن متوسط معدل التدفق الحالي للبئر الواحد في الدول خارج أوبك لا يتعدى 50 برميلاً يومياً مقارنة بمعدل يفوق 845 برميلاً يومياً للبئر البترولي في دول أوبك وهذا ما يفسِّر العدد الهائل من الآبار المنتجة خارج أوبك.

بحلول العام 2030م، يتوقع أن يبقى مستوى الإمدادات البترولية للدول خارج أوبك على حاله (زيادة إنتاج من حقول مطورة في بعض الدول مقابل نضوب حقول في دول أخرى)،

الجدول 1 الوضع الحالي للبترول الخام في الأسواق العالمية للعام 2008م

	الاحتياطات المؤكدة (بليون برميل)	عدد الآبار المنتجة (ألف بئر)	الإنتاج* (مليون برميل يومياً)	الصادرات (مليون برميل يومياً)
دول منتجة خارج أوبك	398	830	40.9	14.0
دول أوبك	944	38	32.1	25.4
الإجمالي العالمي	1342	868	73.0	39.4

* لمعرفة إجمالي الإنتاج العالمي من السوائل الهيدروكربونية يضاف 12 مليون برميل للإجمالي

المصدر: مجلة الزيت والغاز - ديسمبر 2008



كندا وروسيا وكازاخستان والبرازيل والسودان تعزِّز احتياطاتها، والاحتياطات تتراجع في بريطانيا والنرويج والمكسيك

ترافقها زيادة في المصادر غير التقليدية ليصل إجمالي إنتاج الدول خارج أوبك إلى 51 مليون برميل يومياً. وذلك يعني أن حصة هذه الدول ستنخفض إلى حوالي 49 بالمئة من إجمالي الإنتاج العالمي. ويتوقع أن يصل متوسط معدل النمو السنوي للإمدادات خارج أوبك إلى حوالي 0.5 بالمئة حتى 2030م، في حين ستنمو الإمدادات في دول أوبك بحوالي 1.8 بالمئة.

الدول المنتجة للبترول خارج أوبك

وبالإمكان تقسيم الدول المنتجة خارج أوبك إلى دول منتجة-مستوردة، تتقدمها الولايات المتحدة والصين وبريطانيا والهند، وإلى حد ما البرازيل. ودول منتجة-مصدرة تضم روسيا والنرويج والمكسيك وكازاخستان وكندا وعُمان وأذربيجان وغيرها من الدول. وخلال العقدين الماضيين، عززت بعض الدول، وخاصة كندا وروسيا وكازاخستان والبرازيل وأذربيجان والسودان، احتياطاتها بصورة ملحوظة، معوضة بذلك التراجع الكبير في احتياطات الدول المنتجة الأخرى مثل المكسيك والنرويج وبريطانيا. ومع البدء بتشغيل العديد من المشاريع، فسوف تزداد إمدادات كل من البرازيل وأذربيجان والولايات المتحدة وكازاخستان وكندا وفي المقابل سيتابع الإنتاج في المكسيك وبريطانيا والنرويج انخفاضه.

الدول المنتجة-المستوردة خارج أوبك

تشير الدراسات إلى أن الاحتياطات لدى الدول المنتجة-المستوردة لم تحقق أية زيادة ملحوظة خلال العقدين الماضيين. فقد استقرت الاحتياطات البترولية في الولايات المتحدة عند حوالي 21 بليون برميل، بينما تراجع إنتاج البترول إلى أقل من 5.0 مليون برميل يومياً. فيما وصل الاستهلاك إلى 20.7 مليون برميل يومياً. وفي العام 2006م، توقفت بريطانيا عن تصدير النفط، وتحولت إلى دولة مستوردة نظراً لنضوب احتياطاتها في حقول بحر الشمال. إذ تدنَّى إنتاج خام برنت إلى حوالي 1.4 مليون برميل، بعدما كان حوالي 2.5 مليون برميل في العام 2000م.

وكما يشير الجدول 2، فقد بلغ إنتاج الصين من البترول 3.3 مليون برميل يومياً في عام 2008م معظمها من حقول داتشينج وشنغلي شرقي الصين، وبذلك تحتل المركز الثالث بعد روسيا والولايات المتحدة ضمن الدول المنتجة خارج أوبك. ولكن الصين تعد ثاني أكبر مستهلك للبترول في العالم (7.3 مليون برميل يومياً) ويتوقع أن يزداد استيرادها للبترول ليمثل 70 بالمئة من إجمالي الاحتياجات مقارنة بحوالي 50 بالمئة حالياً. وقد أعلنت الصين مؤخراً عن خطط لاستكشاف 16 حقلاً بترولياً بحلول عام 2015م، باحتياطات قد تتجاوز 10 بلايين برميل. وذلك لتعويض النقص في احتياطاتها التي تراجعت إلى 16 بليون برميل بنهاية عام 2008م.

وشهـدت الهند مـن جهتها بعضـ الزيادة فـي احتياطاتها بحوالي بليون برميل، فيما وصل الاستهلاك إلى حوالي 2.6 مليـون برميل يومياً مقارنة بمستويات إنتـاج لا تتعدى 0.7 مليون برميل يومياً. أما البرازيل، فقد حققت بعض التوازن بيـن الإنتـاج والاستهـلاك عند حوالـي 2.2 مليـون برميل يوميـاً، وزادت احتياطاتها منذ عام 1995م، لتصل إلى 13 بليون برميل. واكتشفت البرازيـل مؤخراً عدداً من الحقول النفطيـة الضخمة التي تفـوق احتياطاتها 33 بليون برميل. وسـوف يستغـرق البدء في الإنتاج حوالـي سنوات عشر إذا توافـرت الاستثمارات الضخمة اللازمـة، نظراً لوجود هذه المكامـن فـي الميـاه العميقة والتـي يمكـن أن تصل تكلفة إنتاجها إلى حوالي 90 دولاراً للبرميل.

الدول المنتجة-المصدرة خارج أوبك

بالإضافة إلى قائمة أكبر عشر دول مصدرة للبترول، هناك دول إضافية غير رئيسة تضم الأرجنتين واليمن والجابون وماليزيا وسوريـا وتشاد والدانمـارك. أما الدول الرئيسـة، فتتصدرها روسيـا التي تُعد ثانـي أكبر دولة منتجة ومصـدِّرة للبترول في العالم بعـد المملكة العربية السعودية. وقـد استطاعت روسيا تطويـر احتياطاتهـا البترولية لتصـل إلى أكثر مـن 60 بليون برميـل فـي حقول شمـال بحر قزويـن وسيبيريا. ومـن ناحية الإمـدادات، وصل الإنتاج الروسي إلى 9.8 مليون برميل يومياً، والصادرات إلى 6.9 مليون برميل يومياً في العام 2008م.

وفـي دول الجـوار حققـت دول آسيا الوسطـى المطلة على بحـر قزوين وخاصـة كازاخستان وأذربيجـان قفزة نوعية فـي احتياطاتها، وصلت إلى 90 بليون برميل، ووصل الإنتاج إلى أكثر مـن 2.3 مليون برميل يومياً، يتم تصدير أكثر من ثلاثـة أرباع هذه الكمية عبر أنابيب أو ناقلات إلى مصافي جنـوب أوروبا على البحر المتوسـط. ويتميز النفط المنتج فـي بحر قزوين بأنه ذو جودة عالية لانخفاض وزنه النوعي ولاحتوائـه علـى نسبـة قليلـة من الكبريـت. ويعـود ارتفاع التصديـر إلى الاعتماد المحلي على الفحم الحجري والغاز الطبيعي كمصدر رئيس للطاقة وخاصة توليد الكهرباء.

الجدول 2 تطور الاحتياطات المؤكدة وإنتاج البترول في الدول الرئيسة خارج أوبك

الدولة	الاحتياطات (بليون برميل)			الإنتاج (مليون برميل يومياً)		
دول منتجة- مستوردة	1995	2000	2008	1995	2000	2008
الولايات المتحدة	22.5	21.8	21.3	6.5	5.8	4.9
الصين	24.0	24.0	16.0	2.9	3.3	3.3
البرازيل	4.2	8.1	12.6	0.7	1.1	1.8
الهند	5.8	4.7	5.6	0.7	0.6	0.7
بريطانيا	4.3	5.0	3.4	2.5	2.5	1.4
دول منتجة-مصدرة	1995	2000	2008	1995	2000	2008
كندا	4.9	4.7	178.1	1.8	2.0	2.6
روسيا	*57.0	48.6	60.0	*6.9	6.3	9.8
كازاخستان	-	5.4	30.0	-	0.6	1.4
المكسيك	49.8	28.3	10.5	2.7	3.1	2.1
أذربيجان	-	1.2	7.0	-	0.3	0.9
النرويج	8.4	9.5	6.7	2.7	3.2	2.1
عُمان	5.1	5.5	5.5	0.9	0.9	0.7
السودان	0.3	0.3	5.0	-	-	0.5
إجمالي الدول خارج أوبك	229	215	398	36.2	38.5	40.8
الإجمالي العالمي	1007	1029	1342	61.0	67.0	73.0
نسبة الدول خارج أوبك من الإجمالي العالمي	22.7	20.9	29.7	59.0	58.0	56.1

* متضمنة احتياطات وإنتاج دول الاتحاد السوفياتي السابق ومنها كازاخستان وأذربيجان

المصدر: مجلة الزيت والغاز - ديسمبر 2008

وتحتل النرويج والمكسيك المرتبتين الثانية والثالثة بين الدول المصدرة من خارج أوبك بقدرة تصل إلى 4.2 مليون برميل يومياً. غير أن كلتا الدولتين شهدتا تراجعاً واضحاً في الاحتياطات والإمدادات. ويتوقع بعض المحللين توقف المكسيك عن التصدير بحلول عام 2015م. ومع نهاية عام 2008م، وصلت صادرات النرويج إلى 2.1 مليون برميل، في حين سجلت الاحتياطات تراجعاً إلى 6.7 بليون برميل. أما بالنسبة للمكسيك فبلغت الصادرات 1.6 مليون برميل يومياً في حين تراجعت الاحتياطات من 50 بليون برميل في عام 1995م إلى 11 بليون برميل حالياً.

هناك توافق في الأهداف العريضة خاصة فيما يتعلَّق بالحفاظ على استقرار السوق

وتأتي كندا في مقدمة الدول المنتجة-المصدِّرة من ناحية الاحتياطات التي وصلت إلى 178 بليون برميل. ويمثل النفط الذي يمكن استخلاصه من رمال الزيت حوالي 95 بالمئة من هذا الاحتياطي، ويتركز بمعظمه في منطقة شمال ألبرتا. ونتيجة للاستثمارات الضخمة لعدد من الشركات البترولية العالمية في السنوات الأخيرة، وصل إنتاج النفط من هذه الرمال إلى حوالي 1.5 مليون برميل، صُدِّر معظمها عبر خطوط أنابيب إلى الأسواق الأمريكية المجاورة. وحسب ظروف الإنتاج، يمكن أن تصل تكلفة استخلاص النفط من هذه الرمال إلى حوالي 35 دولاراً للبرميل الواحد.

وبالنسبة للدول الإفريقية وخاصة السودان وصغار المنتجين الآخرين مثل الجابون وغينيا الاستوائية وتشاد فقد زادت احتياطاتها بصورة ملحوظة، غير أنه توجد بعض المعوقات الفنية والتشغيلية لرفع الإنتاج الذي لا يتعدى مليون برميل يومياً.

ملاحظات ختامية

في ختام هذا العرض نستطيع أن نؤكد بأن الاحتياطات البترولية العالمية (لدى دول أوبك وخارجها) ضخمة وتكفي الاحتياجات العالمية لأكثر من 50 عاماً قادماً عند مستويات الإنتاج الحالية. وللمحافظة على هذه المستويات، يتوجب على جميع الدول المنتجة والشركات البترولية العالمية الاستمرار بتطوير وزيادة الاحتياطات والإمدادات لديها. غير أن التحدي الأكبر الذي يواجه الصناعة ليس في نقص الاحتياطات بل زيادة معدلات الاستخراج من المكامن المعروفة، والتي تتطلب تقنيات متطورة واستثمارات ضخمة في قطاعي التنقيب والإنتاج، مع ضرورة استقرار أسعار البترول.

وفي كثير من الأحيان تتوافق الأهداف العريضة لبعض الدول المصدرة خارج أوبك مع دول أوبك، وخاصة فيما يتعلق بالحفاظ على استقرار السوق الذي يعود بالنفع على جميع الدول المنتجة. ولا بد من الإشارة إلى أنه على المدى القصير، يمكن أن تسهم زيادة إنتاج الدول خارج أوبك في خفض الأسعار خاصة إذا ما استمر التراجع في الطلب العالمي على البترول. أما على المدى الطويل (حتى العام 2030م)، فلن تكون الدول المنتجة خارج أوبك بديلاً أو منافساً حقيقياً، بل وفي بعض الأحيان ستكون مكملة لصادرات نفط أوبك نظراً لضآلة الزيادة المتوقعة في طاقة الإنتاج لهذه الدول لتواكب زيادة الطلب العالمي على البترول.

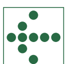


Flickr

الأفذاذ

كتاب يفسِّر النجاحات القصوى

بخلاف المفاهيم الشائعة حول عوامل النجاح والتفوق، يغوص الباحث الكندي مالكوم غلادويل في دراسة العوامل الحقيقية التي صاغت كبار الناجحين في مجالات الأعمال والعلوم والفنون وحتى الرياضة. أشرف إحسان فقيه يعرض هذا الكتاب، ويطلعنا على بعض ما توصَّل إليه الباحث، وللمفاجأة، فإن خلاصة البحث لا تمت إلى المفاهيم بصلة.



لنتخيل معاً رسماً بيانياً.. تتبعثر القيم على سطحه. لنتخيل أن معظم هذه القيم متمركزة معاً في منطقة ما من الرسم، ولنتصور أيضاً قيماً أخرى قليلة مبعثرة بعيداً عن زميلاتها.. محلقة بعيداً عن الأغلبية.

في علم الإحصاء، فإن هذه النقاط أو القيم البعيدة تسمى قيماً شاذة أو خارج المجموعة، («آوت لايرز» باللغة الإنجليزية)، والكلمة تطلق كذلك على كل ماهو خارج السياق الطبيعي ضمن مجموعته. تلك هي التسمية التي اختارها مالكوم غلادويل لكتابه والذي حقق شهرة مدوية وتصدر لائحة المبيعات خلال العام الماضي.

يقول غلادويل إن كتابه يهدف إلى تفسير ظاهرة النجاح.. وليس أي نجاح.. فجمهور الناجحين يشبه بعضه بعضاً ويتمركز في المنطقة الإحصائية ذاتها. لكنَّ هناك ناجحين متطرفين في تفوقهم.. لنسمهم «الأفذاذ».

يستعرض الكتاب حالات النجاح والنجومية القصوى، إنه يتابع «السر» في ثراء أغنى الأغنياء، في نجومية ألمع الرياضيين وفي تفوق نخبة النخبة من الصناعيين ومبرمجي الكمبيوتر والفنانين وعلماء الفيزياء.. أولئك بالذات الذي صاغوا ملامح ثقافتنا وزماننا. كيف وصلوا إلى هذه الحالة من التفوق الخارق حتى صاروا أمثلة تحتذى؟ كل واحد منا يقول إنه يريد أن يصير مثل أحد أولئك العباقرة، فهل هناك «خلطة سرية» يسعنا أن نركبها لنحقق ذلك؟ أم أن الأمر هو خارج نطاق الموهبة والإرادة البشرية التي طالما علقت بمشجبها إنجازات تلك النخبة الفذة؟ الكتاب يميل إلى هذا الرأي الأخير. وهو يسير بنا عبر أكثر من نظرية، مدعمة بالأرقام والإحصاءات، ليقنعنا بأن التفوق الباهر يعتمد على عوامل شتى أهم من الموهبة الطبيعية. فهناك، قبلاً، ظروف المجتمع والعادات والتقاليد، وهناك أيضاً (الحظ) الصرف!

النجاح: إنجاز أم صدفة؟

عند تأمل حالات النجاح والنجومية، فإن غلادويل ينصحنا بألا نكتفي بالتساؤل عن ذوات الناجحين.. كيف يبدون ويتصرفون. بل لكي نفهم سر النجاح، علينا أن نعرف من أي مكان جاء الشخص الناجح؟ من هما والداه ولأي عرق ينتميان؟ وما هي الفترة الزمنية التي ولد فيها؟ ماهي الميزات التي تمتع بها في صغره والتي أتاحت له أن يمارس



هواية أو نشاطاً ما لفترة أطول مما فعل مجايلوه؟ ما هي عوامل الصدفة التي خدمته؟ وفي النهاية، بعدما نلم بكل التفاصيل تلك.. يسعنا أن نسأل عن الموهبة التي يتمتع بها هذا المرء الناجح والتي أفلح في التألق بها، وعن مقدار عبقريته.. بعد اعتبار كل ما سبق طبعاً.

كي نضع أنفسنا في الصورة، فإننا سنتأمل في المثال الأول الذي ساقه لنا المؤلِّف ليقنعنا بغلبة عامل تاريخ الولادة -مثلاً- على عامل الموهبة الجسمانية. وكون المؤلف كندي الجنسية، فإنه قد تطرق إلى الرياضة التي يعشقها الكنديون ويبدعون بها أكثر من سواها: رياضة هوكي الجليد. ولدى غلادويل ملاحظة جديرة بالاعتبار هنا. فاللاعبون البارزون في فرق الهوكي الكندية.. سواء تلك المنتمية لدوري الأشبال أو الدرجة الأولى، بالإضافة إلى اللاعبين العظام الذين يحرزون البطولات العالمية وتخلَّد أسماؤهم في السجلات، كل هؤلاء يلاحظ أنهم ولدوا خلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام: يناير وفبراير ومارس. قلة من لاعبي الهوكي العظماء ولدوا في منتصف السنة، وفئة نادرة من هؤلاء ولدوا في الأشهر الأخيرة من العام: نوفمبر وديسمبر. بالنسبة للكاتب فإن هذه الملاحظة ليست اعتباطية بحال، بل إنها تعكس الكيفية التي تخدم بها الظروف، ظروف المؤسسة الرياضية الكندية وظروف القدر، فئة معينة من الناس.

فنظام اختيار لاعبي الهوكي والمعتمد من قبل الاتحاد الكندي للعبة يعتمد تقسيماً هرمياً يبدأ من مراحل المدرسة الأولى ويمتد عبر المراحل العمرية. حيث تتم تصفية اللاعبين المنتمين لذات العمر وفق قدراتهم. ويتم انتخاب الأفضل فالأفضل منهم لمنتخبات المدارس، ثم المناطق، انتهاءً بالفرق الوطنية والأولمبية. لوهلة، يبدو هذا التنظيم عادلاً ومنصفاً لأنه يتيح الفرصة نفسها للجميع ويعطي الأفضلية للذي يبذل جهداً أكبر ويتمتع بموهبة حقيقية أميز عن سواه. لكن هذه هي نصف الحقيقية. هناك «خدعة خفية» كما يزعم غلادويل. فعند اختيار فريق المدارس الابتدائية، فإن النظام سيعامل كل الصبية من مواليد العام ألف وتسعمائة وثمانين -مثلاً- على قدم مساواة. المدرِّب سيقارن كل الفتية مواليد تلك السنة مع بعضهم وسيختار أسرعهم وأقواهم وأحذقهم.. أما الباقون فلن يتم اختيارهم. الخدعة كما يقرر المؤلِّف تكمن في أن «النظام» وفق هذه الصياغة سيخدم مواليد يناير 1980م على حساب مواليد ديسمبر من العام نفسه.

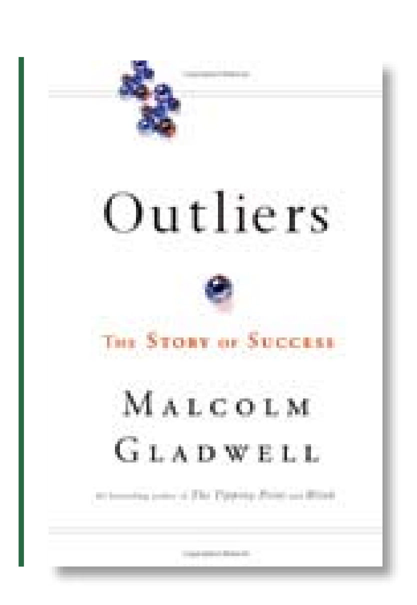
صحيح أن الاثنين ولدا في السنة نفسها، لكن هناك فرقاً عمرياً مقداره أحد عشر شهراً بينهما. وهذا فرق هائل بالنسبة للأطفال. فرق يعني أن ابن يناير هو أضخم جثة وأقوى بنية وأسرع استيعاباً. كما أنه أتيح له وقت أكثر بكثير للتدرب في الحارة ومع والده. هكذا وبداهة فإن مولود شهر ديسمبر سيبدو أضعف وسيخسر المنافسة.. والذنب ليس ذنبه. قد يكون الفتى المولود في ديسمبر متمتعاً بملكة طبيعية مساوية لنظيره المولود في يناير أو مارس.. إلا أنه بحاجة إلى عشرة أشهر أخرى كي يثبت ذلك أمام مدرِّب الفريق.. والنظام مع الأسف لن يتيح له هذه الفرصة.

أعطني 10 آلاف ساعة.. أعطك نجاحاً باهراً

هذا المثال يمكن تعميمه على كثير من المنافسات الرياضية وسواها. والحقيقة أن عامل الوقت هو عامل محوري في صقل الموهبة وفي البروز بها، بل إنه العامل الأول المحدد للنجاح كما يؤكد المؤلف عبر نظريته الخاصة بالـ «عشرة آلاف ساعة»، التي تنص على أن كل من يمضي فترة عشرة آلاف ساعة في المتوسط في ممارسة أي نشاط فإنه سيصل فيه إلى مرحلة «الأستاذية» والإجادة التامة.. وسيعد موهوباً فيه.

هذا الرقم من الساعات استنبطه غالدويل من خلال اطلاعه على دراسات إحصائية متعلقة بالصغار الدارسين في الأكاديميات الموسيقية. فالذين يمضون عشرة آلاف ساعة من التدريب يشقون طريقهم تلقائياً إلى مقاعد الأوركسترا. وقت الإعداد والعمل الشاق يأتي أولاً، وتأتي الموهبة ثانياً. كم سنة من التدريب تعني عشرة آلاف ساعة؟ هذا جواب يعتمد على مقدار التفاني الذي يتمتع به المرء الموهوب. فالذي يمضي ثماني ساعات من التدريب أسبوعياً سيبزغ نجمه قبل رفيقه الذي ينفق خمساً فقط. والاثنان سيتفوقان حتماً على الموهوب الذي بالكاد يتدرب.. وبالكاد سيتنبه لموهبته و(قابليته) للإبداع أصلاً.

هذه القاعدة أسقطها غلادويل على ضروب إبداع أخرى وصمدت مرة تلو مرة. فريق «البيتلز» الموسيقي الشهير، أتيحت لأعضائه فرصة نادرة كي يعزفوا ويغنوا معاً لساعات طويلة.. أطول من المعتاد. والنتيجة: إبداع طرق ثورية في العزف والغناء أدخلتهم التاريخ. هناك أيضاً بيل جوي المبرمج الأسطوري والذي أعاد كتابة نظام التشغيل الشهير «يونيكس» كما أسهم في صيغة كود الإنترنت نفسه. هذا المبرمج العبقري مثله مثل بيل غيتس الغني عن التعريف،



أتيحت لهما وعبر سلسلة من الصدف المدهشة فرصة لم تتكرر للكثير من مجايليهما في «اللعب» والتعلم لساعات مطولة أمام أجهزة الكمبيوتر القليلة المتوافرة للعامة خلال السبعينيات الميلادية. الاثنان وسواهما استغلا الفرصة وركبا موجة التقنية الحاسوبية لاحقاً.. بل كانوا هم روادها.

عند قصة بيل غيتس وثورة الحاسوب يتوقف المؤلف مطولاً. لا شك في أن غيتس لم يصل إلى ما هو عليه من ثراء فاحش ونجاح باهر من باب الصدفة وحدها. هو بالتأكيد إنسان مثابر، مهووس بعمله، وحاد الذكاء. استطاع اغتنام الفرص التي أتيحت أمامه. لكن ما يقوله المؤلف مجدداً هو أن هذا الذكاء وحب البرمجة ليست العوامل الأولى وراء نجاح بيل غيتس الاستثنائي. يقول غلادويل إن غيتس وجوي وستيف جوبز، مؤسس «أبل»، كانوا الرجال المناسبين الذين جاءوا في «الوقت المناسب» أيضاً.. وهذه أفضلية لم يكن لأي منهم يد فيها.

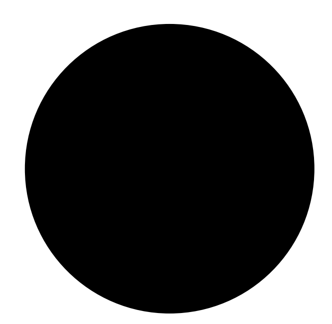
ويعود غلادويل إلى لعبة الأرقام والإحصاءات ليخلص إلى ملاحظة مثيرة أخرى: بيل غيتس ولد في أكتوبر 1955م. أما شريكه في تأسيس شركة «مايكروسوفت» بول آلن فقد ولد في يناير 1953م. المدير الشهير لهذه الشركة وأحد أبرز وجوهها ستيف بالمر ولد في مارس 1956م. مبرمجنا الأسطوري بيل جوي ولد في نوفمبر 1956م. أما ستيف جوبز فقد جاء إلى هذه الدنيا في 24 فبراير 1955م. هناك إذاً «نافذة حظ» لعباقرة الكمبيوتر. لنتذكر أن العام 1975م كان فجر الكمبيوتر الشخصي. وهكذا فإذا كنت موهوباً في البرمجة وحصل أنك أمضيت عشرة آلاف ساعة تصقل قدراتك في هذا المجال وصدف أنك عام 1975م كنت في العشرينيات من عمرك.. وهي الفترة المثالية للتمرد على نمط الحياة وخوض تجربة مجنونة أو تأسيس شركة جديدة من الصفر.. كما هو الحال مع كل من السادة الواردة أسماؤهم أعلاه.. فإن الحال كان سينتهي بك واحداً من أعلام عصر الكمبيوتر.

لننصب معاً فخاخ النجاح

لا يقدِّم لنا كتاب «آوت لايرز» أكثر من مجموعة من الوقائع الحقيقية ليحللها على ضوء اختبارات الذكاء وظروف الاقتصاد والمجتمع. إنه يستعرض لنا مجموعة من أمثلة النجاح وأمثلة الفشل كذلك ليضعنا أمام استنتاج مربك. إنه يعرفنا بمزارع في الجنوب الأمريكي يتمتع بدرجة ذكاء تفوق تلك التي كانت لـ «أعظم عقل بشري» كما عرفناه: ألبرت آينشتاين. لماذا لم يصبح هذا المزارع -الذي وُلد عبقرياً- عالماً فذاً؟ الجواب هو موضوع الكتاب: إنه لم يعلق في «فخاخ النجاح» المناسبة. ولم تتوافر له ظروفه.

ولكن هذا الكتاب يقدِّم لنا من جهة أخرى نوعاً من العزاء. نحن الذين طالما لمنا أنفسنا على تقصيرنا في التحصيل وخلودنا إلى الراحة، وعلى سماحنا لفرص النجاح والتفوق تفلت من بين أيادينا. كتاب «أوت لايرز» يعلّمنا أن النجاح، بل والنجاح الفذ، ليس صنيعة يد أحدنا. ليس لأحد الحق في أن يفخر بذاته فخراً كاملاً.. ولا أن ينسب الفضل لها. مسار النجاح خاضع لتدبير قدري وغيبي كما يليق بأية ظاهرة كونية مدهشة. نجاحك مقترن في المقام الأول بظروف ولادتك ونشأتك. ومع الأسف، هناك شيء من الاختلال في هذه المعادلة. فوفقاً لنظرية غلادويل، فإن أطفال الأثرياء مهيئون لسلوك درب النجاح أكثر من سواهم. أبناء المتعلمين والمثقفين سيتعرضون لفرص الإبداع وتطوير الذات أكثر من غيرهم. غير أن هناك أمثلة أخرى على ظروف تغيرت وتقلبت لتأتي بأبناء الأقليات والمحرومين إلى قمة الهرم الإبداعي. لكن حتى هؤلاء، كان عليهم أن يثابروا وأن يعدوا أنفسهم لآلاف الساعات بانتظار لحظة المجد. النجاح الفذ، وفيما يبدو مع الأسف، يُصنع باكراً في الصغر.. وتتضاءل فرصه مع تقدم السن.

إذا كان هناك من درس لنا نحن الكبار فهو في الاهتمام بصغارنا. في بذل الجهد الأقصى معهم وفي استثمار أعمارهم الغضة التي هي مسؤوليتنا نحن. استكشاف مواهب هؤلاء الصغار الكامنة هو مسؤولية والديهم المباشرة. وإرشادهم إلى طرق تنميتها بل وإرغامهم على فعل ذلك هو مسؤولية الوالدين أيضاً. أما مؤسسات الحكومة والمجتمع فإنها مطالبة بأن توفر للأجيال الناشئة كافة وسائل تنمية القدرات وأحدث التقنيات والمرافق.. بغض النظر عن كم الموهوبين بيننا. من يدري.. عسى أن يتعثر أحد هؤلاء بواحدة من تلك التقنيات والمواهب ويشغف به. على النحو الذي شغف به صبي اسمه بيل غيتس بواحد من حواسيب العام 1968م العتيقة.



الأشياء التي تُرمى بين المستشفى والبيت

«للاستخدام مرة واحدة»



يومياً، تنضم بعض المنتجات الجديدة إلى قائمة الأشياء الصالحة للاستخدام مرة واحدة. ومن النادر أن يخلو بيت من بعض هذه المنتجات. الأمر الذي يؤدي إلى طرح جملة أسئلة حول جدواها الاقتصادية وآثارها البيئية. سليمان يونس* يرصد زحف الأشياء التي تستخدم مرة واحدة على بيوتنا، ويبحث عن نقطة انطلاقها تمهيداً لوضعها في ميزان الجدوى على أكثر من صعيد.



منذ نحو نصف قرن تسللت إلى بيوت الميسورين، أولاً، المناديل الورقية التي تستخدم لمرة واحدة، لتحل محل المناديل القماشية التي كانت جزءاً أساسياً من طقوس النظافة وحُسن الهندام حسب مقاييس ذلك الزمن.

وبمرور الوقت، راحت الأشياء غير الصالحة للاستخدام أكثر من مرة تتكاثر في بيوتنا حتى بات يستحيل تعدادها بدقة.. أكواب وأطباق من الكرتون أو البلاستيك، أغطية طاولات من الورق، «حفاظات» للأطفال، شفرات حلاقة، قفازات للعمل في المطبخ أو للتنظيف، أكياس، عبوات حافظة للطعام والمشروبات، عدسات لاصقة، آلات تصوير، ...الخ.

لا شك في أن منظر سلة النفايات المنزلية يوخز الضمير، نظراً لحجم النفايات الصلبة الذي ما كان ليبلغ هذا المبلغ لولا تلك الأشياء التي استخدمناها مرة واحدة وانتهت وظيفتها. وقبل استخدام هذه الأشياء، لا بد أن تكون قد دفعتنا إلى التساؤل عند شرائها ما إذا كانت «تستأهل» ثمنها طالما أننا لن نستخدمها أكثر من مرة.. ومع ذلك، فإننا أقدمنا، وسنقدم مراراً وتكراراً على شرائها طالما أنها قهرت كل أشكال التردد وتجاوزت الأسئلة.

فمن أين ظهر عالم الأشياء الصالحة للاستخدام مرة واحدة؟ وكيف استطاع مفهومها تسجيل مثل هذا الانتصار؟

الحاضنة الأساس: الطب

منذ أن تم الاعتراف بطب الأمراض المعدية كاختصاص فرعي في دراسة الطب، حقق هذا الميدان إنجازات مهمة، وخاصة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ نجح في القضاء إلى حد كبير على أمراض كانت سابقاً بالغة الخطورة مثل السل والملاريا والأنفلونزا.. ومن جملة ما أدت إليه هذه النجاحات والترويج الإعلامي لها، هو التحول الجذري في مفاهيم النظافة عند عامة الناس، وازدياد وعيها إلى خطورة العدوى الجرثومية، وبالتالي نفورها من استخدام أي شيء سبق استخدامه وقد يكون حاملاً لبعض الجراثيم.

ظلَّت المستشفيات بادئ ذي بدء بعيدة إلى حد ما عن اعتماد الأشياء الصالحة للاستخدام مرة واحدة، مكتفية بوضع نظام لتعقيم غرفها وما فيها من أدوات، وظل هذا النظام يتطور ببطء. حتى استقر على ما هو عليه لنحو ثلاثة عقود من الزمن.

كانت المستشفيات تصنِّف أدواتها المستخدمة في علاج المرضى على صعيد احتمالات نقل العدوى من مريض إلى آخر إلى ثلاث فئات:

- فائقة الخطورة: الأدوات المحتمل تلوثها والمستخدمة في التعامل مع الأوعية الدموية أياً كان موضعها.
- معتدلة الخطورة: الأدوات المستخدمة في التعامل مع الجلد المفتوح أو مواضع السوائل السطحية في جسم الإنسان مثل العين والأنف.
- قليلة الخطورة: الأدوات التي تنحصر ملامستها للجسم على البشرة الخارجية السليمة مثل أدوات قياس الضغط.

ولكن ظهور أمراض معدية جديدة مثل الإيدز والسارس وأنفلونزا الطيور، أطاح بهذا التنظيم، خاصة بسبب الهلع الذي أثارته هذه الأمراض في بدايات ظهورها. فارتمت المستشفيات في حضن الأدوات التي تستخدم لمرة واحدة. ورفعت مستوى خطورة الأدوات الطبية أياً كان نوع استخدامها، في علاج ذوي الأمراض المعدية. ولم يقتصر

* صحافي من لبنان

الأمر على الأكواب والأطباق والحقن، بل وصل إلى الأكياس الهوائية المستخدمة في آلات قياس الضغط، وأجهزة التنفس، وموازين الحرارة، وصولاً إلى «الريموت كونترول» المستخدم لتشغيل تلفزيون الغرفة، بعدما تبين أن الدهون المتراكمة عليه من الأصابع تشكِّل بيئة صالحة لمدة طويلة لتحيا فيها الجراثيم أنفية المنشأ أو المصدر.

الهاجس الصحي ليس وحده خلف رواج الأشياء المستخدمة مرة واحدة. بل هناك أيضاً عوامل اجتماعية واقتصادية

وساعد تطور الصناعة في تلبية كل هذه الاحتياجات بسهولة، وطرح جزء من منتجاتها في الأسواق للراغبين من عامة الناس.

وحول الجدوى الاقتصادية، تجيب المستشفيات بسرعة وثقة: إن تكلفة هذه الأشياء المستخدمة لمرة واحدة، لا ترفع كلفة استشفاء المريض أكثر من 0.1 إلى 0.5 بالمئة. كما أنها تبقى أقل كلفة من علاج العدوى.

من المستشفى إلى الحياة اليومية

هذا الهاجس الصحي هو الذي يقف في العمق خلف غالبية الأشياء غير الصالحة للاستخدام أكثر من مرة في حياتنا اليومية. بدليل أن القوانين في معظم بلدان العالم صارت تمنع الحلاقين من استخدام شفرات الحلاقة أكثر من مرة، حتى ولو كانت عملياً صالحة للاستخدام أكثر من مرة، كما هو حالها في البيوت.

المفهوم الصحي ذاته يقف وراء اختفاء مناديل القماش، التي صارت بعد الوعي الصحي، تشكِّل بعد استخدامها وإعادتها إلى الجيب صورة مقززة. ولكن لا بد من الاعتراف أن دوافع أخرى غير مرتبطة بالعامل الصحي تقف وراء اعتماد هذا الكم الكبير من الأشياء المستخدمة لمرة واحدة في حياتنا اليومية.

فلماذا أكواب الكرتون والستايروفوم والأطباق البلاستيكية، وأغطية الطاولات من النايلون، إذا كان أفراد العائلة بصحة جيدة؟ ألا يكفي الغسل بالماء والصابون؟

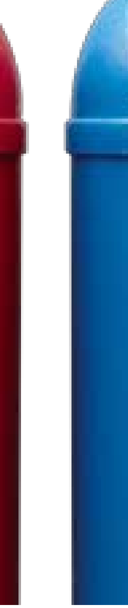
الجواب هو: بلى. ولكن لماذا نتكبد عناء غسيل كل هذه الأشياء، إذا كان باستطاعتنا تلافي كل ذلك مقابل دراهم قليلة؟

نعم، الدراهم قليلة، وهي تقل باستمرار. فقبل نحو نصف قرن كانت المناديل الورقية في بلدان عديدة من إنتاج ماركة واحدة، أعطت اسمها ليصبح اسم نوع السلعة في معظم بلدان العالم. وكانت هذه السلعة باهظة الثمن نسبياً. ولذا، كما قلنا كان استعمالها حكراً على الميسورين. أما اليوم، فيمكننا أن نجد عشرات الماركات من هذه المناديل في أي بلد، كما نجد عشرات الماركات من أية سلعة صالحة للاستخدام لمرة واحدة.

فارتفاع مستوى معيشة الفرد في العقود الخمسة الماضية، جعل حساباته تميل إلى ترجيح كفة الكلفة الإضافية المحدودة مقترنة بتوفير الوقت الثمين والراحة الجسدية، على كفة ادخار هذه المبالغ الزهيدة مقرونة بعمل إضافي يستهلك وقتاً يمكن الاستفادة منه في مجالات أخرى. إنه تغير جذري في نظرتنا إلى الحياة اليومية، وهذا






الفرز.. رمز للوعي وصورة للكثرة

التغيـر لا يزال يسيـر قدماً، ولا شيء يوحـي اليوم أن عالم الأشياء المستخدمة مرة واحدة سيشهد أية انتكاسة خلال المستقبـل المنظـور، رغـم الحيـرة التي يتسبـب بها على الصعيد البيئي.



بعض الأشياء المستخدمة مرة واحدة أقرب أن تكون مواد خام لصناعة أخرى، منها إلى النفايات

بيئياً.. ماذا يقول التدقيق؟

مما لا شك فيـه أن كل الأشياء المستخدمة لمرة واحـدة تدخل فيما يُجمـع عادة تحت اسـم «النفايـات الصلبـة». ومجـرد رؤيـة هــذه الأشياء فـي مستوعـب النفايات لا بد وأن تثيـر القلـق. ولكن ماذا لـو دققنا بهذه الأشيـاء المستخدمـة لمـرة واحـدة بعدما انتهت في مستوعب النفايات.

هنــاك النفايــات الطبيــة التي لم تعــد تشــكِّل تحدياً بيئيــاً، إلا حيثمــا يوجد استهتار فــي التعامل معها كما هــو الحال في عــدد محــدود مــن البلــدان الناميــة أو الفقيرة. ففي معظـم دول العالم، صارت معالجة هذه النفايات صنـاعة منظمـة ومنضبطة بقوانين صارمة. وأكثــر البيئييــن تشــدداً صــار يقر بجــدوى استخدام الأشيــاء لمرة واحدة فــي المستشفيات، ولا يجرؤ على الاعتراض عليها.

أمـا خــارج المستشفيـات، فـي البيـوت والأماكـن العامة كالمطاعـم والفنــادق والمقاهــي، فــإن التدقيـق فــي هذه الأشيـاء يقودنا إلــى جملة ملاحظات لم تشـكِّل حتى اليوم موضــوع دراسة دقيقة لدعــم صحتها بالأرقــام. ويمكننا أن نتوقف أمام أهمها:

1 - هنــاك نوعان مــن الأشيــاء المستخدمة لمـرة واحدة: فبعضهــا صالــح للتدويــر وبعضهــا غير صالــح. أي إن قيــاس فائدتها بضررها مرتبـط أولاً بالتوعية للإقلال من استخدام ما هو غير صالح للتدوير حتى أقصى حد ممكن، وتوفير صناعة لإعــادة تدوير ما هو صالح منها لذلك.

2 - إذا حذفنــا من هذه الأشياء التــي نحن بصددها ما هو صالح لإعادة التدوير، فإن الباقي يشكِّل ضمن النفايات الصلبــة نسبــة تقـل كثيــراً عــن نسبــة بعضــ الأشياء المستخدمة لمــدة طويلة مثل الإلكترونيــات أو إطارات السيارات.

3 - المطلوب مــن البيئيين ومن معارضيهم إجراء دراسات جــدوى تقــارن الضــرر البيئــي النــاجم عــن استخدام غطــاء طاولة ورقي أو من النايلون مثــلاً وإعادة تدويره



وعدمهــا، بالكلفة البيئية لغســل غطاء طاولة من قماش وما يستهلكه ذلك من ماء وصابون.

إلــى ما تقدَّم، نضيــف أن بعض الأشيــاء المستخدمة لمرة واحــدة، لا تدخل في قائمة النفايات الصلبة فعلاً، حتى ولو ألقيــت في مكب النفايــات. إذ لا تلبث أن تُلتقط منه لتشكِّل المادة الخام لصناعــة أخرى، أي أنها أقرب أن تكون مادة أولية منها إلى النفايات.

فمــن أوجه استخــدام الأشياء لمرة واحــدة التي استفادت من نقــاط جاذبيتــه، نذكر زجاجــات وعبــوات المرطبات والمشروبات الغازيــة المستهلكة بأرقام فلكية في كل بلدان العالــم. ففي الماضــي، كان على المستهلــك أن يدفع رهناً لثمــن العبــوة أو الزجاجــة، يستــرده بعــد أن يعــود ويحمل الزجاجــة فارغة إلــى المتجر. ولكن فجــأة، عرضت علينا الشــركات المصنِّعة لهذه المشروبــات العبوات مجاناً، من دون أن ترفــع سعر المنتج. فهل هــذه العبوات والزجاجات تدخــل فعلاً فــي إطار الأشيــاء المستخدمة لمــرة واحدة؟ الجــواب يأتينا من العمــال والأولاد الذيــن نراهم يجمعون هــذه الزجاجــات وعبــوات الألمنيــوم من مكبــات النفايات لإعــادة بيعها إلــى المصانع كمواد خــام لا تتطلب أكثر من الصهر، وبأسعار تقارب أسعار الخضراوات الطازجة.

ولأن كل الأشيــاء المستخدمــة لمــرة واحــدة تبــدو كمــا أشرنا وليدة تحالف يضــم العلم وتطور الصناعة والوعي الاجتماعي وتغير مقاييس قيمة الوقت، ناهيك عن مصالح الشركات، يبــدو عالم هذه الأشياء مرشحــاً للتوسع أكثر فأكثــر، وإذا كان هنــاك من أثــر سلبي علــى البيئة، فإن تطور الصناعة وخاصة في مجال الكيمياء سيسعى ولا بد إلى معالجته.

1 الماس أفضل صديق للعلماء

يقول الشعار الذي يسعى باعة الجواهر إلى ترويجه إن «الماس هو أفضل صديق للمرأة». ولكن العلماء يقرون بأن الماس هو أفضل أصدقائهم، من دون أن يسعى أحد إلى إقناعهم بذلك.



floridatoday.com

التلسكوب الفضائي هابل: لا صور لولا الماسة

فتطبيقاته العلمية كثيرة ومعروفة. ولعل أقدمها استخدامه في الثقب، سواء أكان ذلك في معدات ثقب الأسنان، أو في أدوات حفر آبار البترول، ولقص الزجاج، ولزيادة صلابة المعادن خفيفة الوزن مثل الألمنيوم الذي تُصنع منه الطائرات.

وإذا كان التلسكوب الفضائي «هابل» قد زوَّدنا بملايين الصور عن الفضاء الخارجي والكون بكل ما فيه من مجرات بعيدة، فذلك يعود إلى ماسة نقية تماماً تزن أكثر من مئة قيراط كانت أمريكا قد اشترتها من روسيا لاستخدامها كعدسة في التلسكوب الفضائي.

ومؤخراً، عندما أراد العلماء دراسة كيفية تحرك الحرارة داخل الصهارة في باطن الأرض، لم يكن أمامهم سوى اللجوء إلى استخدام ماستين متطابقتين شكلاً، وضغطهما على قطعة من السيليكون بقوة تماثل قوة الضغط على عمق ثلاثة آلاف كيلومتر تحت باطن الأرض.

مثل هذه الوظائف التي تبدو عصية على التحقيق باستخدام أية مادة على وجه الأرض، تصبح ممكنة جداً باستخدام الماس الذي لا يمكن للعلماء أن يجدوا ما يمكن أن يلبي طلباتهم غيره.

2 اقتصاد الطابعات

قبل سنوات قليلة كانت الطابعات الإلكترونية من نوع «إنك جت» (نفاث الحبر)، تُعد أعجوبة تكنولوجية. ولكن هذه الطابعات شاعت، ورخصت أثمانها كثيراً، حتى وصلت إلى حدود 200 ريال لبعض الطرز الصغيرة.

ولكن كل من اشترى طابعة من هذا النوع، فوجئ بعد نفاد الحبر منها، بأن ثمن عبوات الحبر يناهز أو يتجاوز (نعم، يتجاوز) سعر الطابعة بكل ما فيها من مواد وأدوات.

فطابعة ثمنها 220 ريالاً، يصل ثمن عبوات الأحبار الخاصة بها إلى 180 ريالاً. ولكن هناك طابعة أخرى ثمنها 170 ريالاً، يصل ثمن أحبارها إلى 210 ريالات. حتى صار من الأفضل للشاري أن يرمي طابعته ويشتري أخرى جديدة مليئة بالحبر..؟!

إنه اقتصاد الطابعات، الذي يربط المشتري بالسلعة، أو يجبره على شراء الواحدة بعد الأخرى منها.

لحسن الحظ، قام الطفيليون الذين يتعاشون من عالم الإلكترونيات على هامشه، باكتشاف طرق لتصنيع الأحبار وابتكار طرق لتعبئة العبوات الفارغة. وهو عمل قانوني تماماً. لأن مصانع الطابعات لا تمنع بوضوح إعادة تعبئة العبوات (فقد ينفر ذلك المشتري)، ولكنها تعقّد هذه العملية، من خلال تزويد الطابعة بنظام يرفض العبوة المستعملة. الأمر الذي ردّ عليه الحرفيون، بابتكار جسم بلاستيكي بسيط، يحمل العبوة التي أعيدت تعبئتها إلى داخل الطابعة، فيخدع الآلة بإيهامها أنه يحمل عبوة جديدة.

ولا يقتصر «اقتصاد الطابعات» على الطابعات فقط، بل يبدو أنه بات يشكّل نمطاً معتمداً على نطاق واسع للإيقاع بالمستهلك.

إذ صار للكثير من الإلكترونيات على سبيل المثال بطارياتها الخاصة. وعندما يتطور نموذج أي منها، يأتي مع بطارية مختلفة الطراز، وتتوقف المصانع عن إنتاج الطرز القديمة. ولأن عمر البطارية لا يتجاوز في معظم الأحوال سنوات ثلاث، فهذا يعني أن علينا أن نرمي أدواتنا الإلكترونية في مكب النفايات، رغم إنها لا تزال صالحة للعمل، لو كانت هناك بطارية ملائمة.



StockXchange

الحبر أغلى من الطابعة.. معقول؟

3 إعادة اختراع الراديو

حتى وقت قريب، ظلت استفادة الراديو من الإمكانات الهائلة التي توفرها التكنولوجيا الرقمية في حدودها الدنيا. ولكن الراديو يشهد اليوم عمليات تطوير يمكن وصفها بأنها إعادة اختراعه من جديد على صعيدي الأجهزة ومحطات البث.

فمن الطرز الجديدة التي بدأ تسويقها قبل أسابيع أو أشهر قليلة، هناك طراز يخوِّل حامله، شراء أية أغنية يسمعها على الراديو بمجرد ضغطه على زر واحد، إذا كان قريباً من شبكة اتصال لا سلكية. أما إذا كان بعيداً عنها، فيحفظ الراديو الطلب لينفذه تلقائياً بمجرد أن يصبح على اتصال بالشبكة.

وهناك طراز ثانٍ مرتقب خلال العام الجاري يسمح بقراءة محتويات البثٍ على شاشة، طالما أن بعض المحطات الرقمية باتت تبث الصوت والنص المكتوب. الأمر الذي يعالج مشكلة عدم السماع بوضوح، وخاصة في مجال كلمات الأغاني.

أما الطراز المرتقب في العام 2011م، فيمكن لصاحبه أن يبرمجه لتلقي الإنذارات بالحالات الطارئة، أو فئة محددة من الأخبار العاجلة، التي تبثها 1800 محطة إذاعية. فيقطع إرسال أي برنامج على أية محطة، لنقل الخبر الطارئ إلى المعني به.



الراديو الجديد.. اسمع واقرأ

4 اللقاح الذي تطلَّب خمسين عاماً من البحث

لا تُعد نسبة 53% على صعيد فاعلية لقاحٍ ما في الوقاية من المرض، نسبة تدعو إلى الاحتفال. ولكن عندما يتعلَّق الأمر بمرض الملاريا الذي يودي بحياة طفل كل 30 ثانية في العالم، تبدو هذه النسبة جيدة.

فخلال هذا الربيع سيبدأ عملاق صناعة الأدوية «غلاسكو-سميث كلاين» بتجربة اللقاح ضد الملاريا على 16 ألف طفل في المناطق المعرَّضة أكثر من غيرها في سبع دول إفريقية من ضمنها بوركينا فاسو وكينيا. وقد أنشأ لهذه الغاية عدداً من المختبرات في مستشفيات هذه الدول لإجراء عمليات التلقيح ومراقبة نتائجها، بعد أن أثبت اللقاح جدواه على نطاق عينات أقل عدداً في كينيا وتانزانيا.

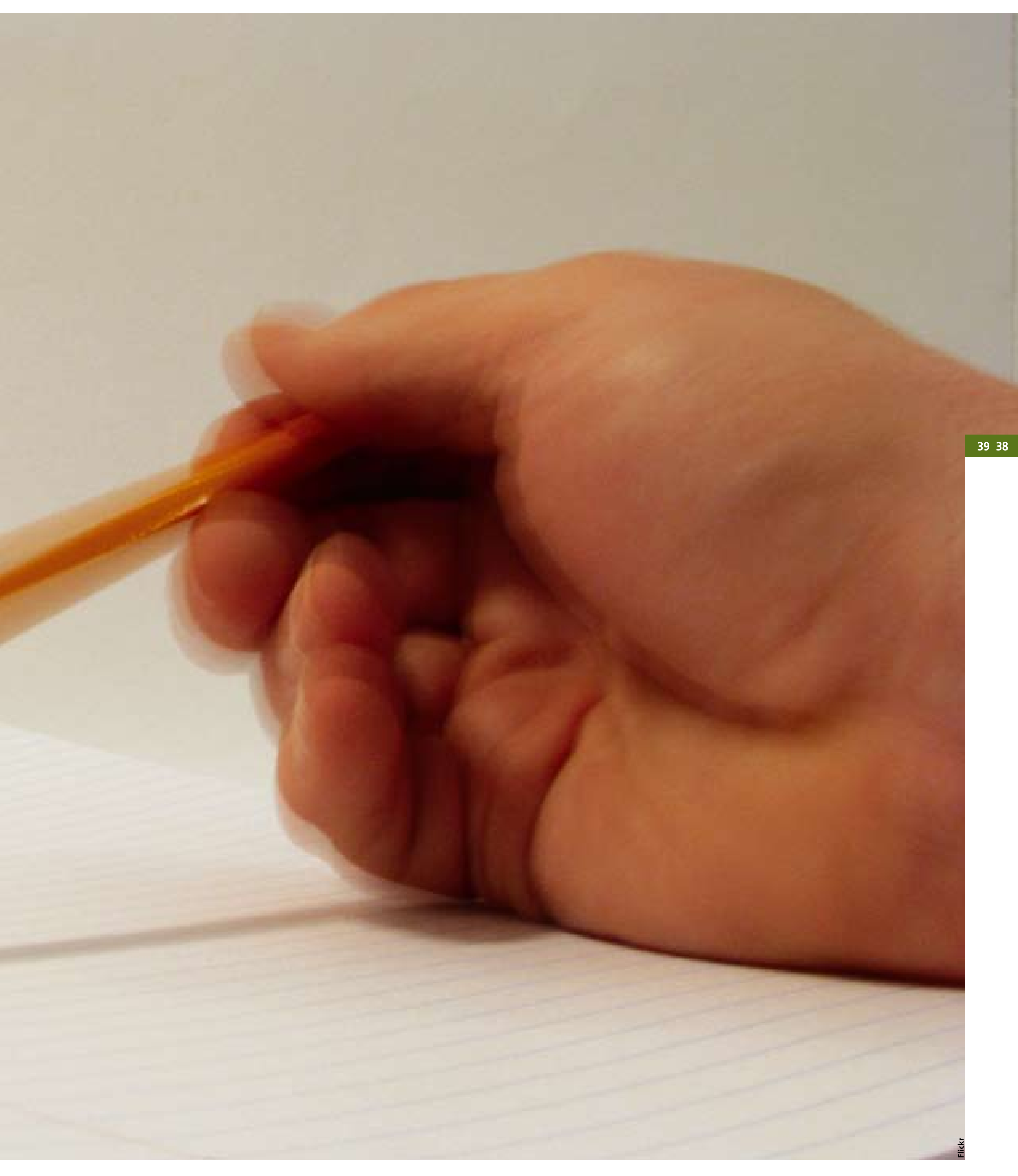
تجدر الإشارة إلى أن جهود العلماء في البحث عن لقاح ضد الملاريا، بدأت منذ أكثر من خمسين سنة. ولكن هذه الجهود كانت تصطدم بـ «خبث» الجرثومة ومقدرتها الفائقة على تلافي نظام المناعة في جسم الإنسان.

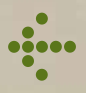
وتأمل الشركة المصنِّعة للقاح، في حال أثبتت التجربة على نطاق واسع جدواها، في أن تتقدم بطلب ترخيصه تجارياً في العام 2011م. كما تطمح إلى أن تعتمده منظمة الصحة العالمية ضمن برامجها وحملات التلقيح المجانية الموجهة إلى الأطفال ضد بعض الأمراض مثل السل وغيره.



Reuters

البعوض الناقل للملاريا


Flickr



ظاهرياً، قد تبدو المماطلة أو التسويف، كما يسميها البعض، مجرد سلوك اجتماعي غير مستقيم، ذي آثار نفسية مزعجة ليس فقط على الذي ينتظر العمل المنجز، بل أيضاً على الذي يفترض فيه إنجازه في وقت معيَّن.
ولكن استكشاف حجم الآثار النفسية وحتى العملية والمادية لهذا السلوك، دفع إلى إخضاعه لدراسات علمية عديدة، سعياً إلى تفسيره وعلاجه.
هنا مساهمتان، الأولى بقلم تامر جابر محمود* الذي يعرض آخر ما توصَّل إليه العلم في دراسته لـ «المماطلة»، ويفاجئنا بوجود أساس فسيولوجي وجيني لها. والثانية بقلم فارس كمال نظمي** الذي يعرض لـ «علم نفس المماطلة» الذي تأسس حديثاً بهدف معالجة هذا السلوك. وكلا المساهمتين يقترح في خاتمتها وسائل معالجة.

سلوكٌ تحت مجهر العلوم..

المماطلة

* باحث مصري
** أكاديمي وباحث نفسي من العراق

1 المماطلة.. بين الخصال الشخصية والعامل الجيني



اعتزمت كتابة مقالي هذا لأشهر خلت، ثم تراخيت عن ذلك. فلم تُراني نشطت بعد عقالٍ لكتابته؟ أهي فسحة من الوقت توافرت بعد انشغال؟ كلا، غير صحيح. فبين يدي أوراق للطلبة عليَّ تصحيحها، كما أن لدي استمارات لطلب مراجع عليَّ ملؤها، وأطروحات لمطالعة مسوداتها وخلاف ذلك من أشغال. فلِمَ إذاً عمدت إلى كتابتها بعد طول تأخير؟ الجواب هو أنني انخرطت بهذا المقال كذريعة لتأجيل هذه الأعمال جميعاً.

بهذه الصراحة، يستهل جون بيري أستاذ الفلسفة بجامعة ستانفورد مقاله عما سماه «التسويف المخطط له». وهو لا يتحدث فيها عن مسلك ننأى بأنفسنا عنه، بل عن شيء تدل الأبحاث على ممارستنا إياه بين حين وآخر، وبصورة أو أخرى.

إن السيد ريموند محام قدير، لكنه اعتاد تأجيل الرد على مهاتفات العملاء وصياغة المذكرات القانونية، وهي سلوكيات هدَّدت مستقبله كمحام. ولما ضاق ذرعاً بحاله، طلب المشورة الطبية في إحدى العيادات النفسية. وكخطوة أولى للتغلب على تلك العادة، أعطاه الطبيب موجزاً لأعراض التسويف، طالباً إليه قراءته ثم تحديد مدى انطباق ما فيه على سلوكياته. قبِلَ السيد ريموند الطلب، على أن يُنفذه وهو على متن الطائرة التي تقله إلى أوروبا. لكنه ما إن أصبح على متنها، حتى انشغل عن ذلك بمتابعة الفلم المعروض هناك. ثم عاد وخطط لقراءته في أول ليلة بالفندق، ليغلبه النعاس قبل أن ينفِّذ خطته. تلى ذلك أن جلب كل يوم أشياءً أخرى أكثر جاذبية، لم يكن من ضمنها الدليل الذي أعطاه إياه الطبيب. وفي النهاية، أحصى ذلك الأخير عدد الساعات التي قضاها الدليل بين يدي السيد ريموند دون أن يُتم قراءته، ليجدها 40 ساعة. هذا فيما لم تكن قراءته لتستغرق أكثر من دقيقتين.

يُعد مثالنا هذا مثالاً صارخاً على التسويف. وهو كذلك مؤشر إلى أشياء عديدة، من بينها لجوء السيد ريموند بمحض إرادته إلى المشورة طالباً التخلص من هذا المنحى السلوكي، ثم نكوصه عن مقصده هذا بمحض إرادته أيضاً. فإلى أية درجة يعد التسويف مسلكاً مرضياً؟ وهل يستوجب العلاج؟ هل التسويف فضيلة تجُنب المرء حرباً نفسية إزاء ما لايسعه إنجازه على الفور؟ أم هو هروب من المسؤولية وإن كانت بالوسع؟ هل كلنا مسوفون؟ هذه كلها أسئلة عن عادة كلفت أصحابها مشاق اختلفت طبيعتها ما بين صحية واجتماعية أو مالية أو غير ذلك..

لنحاول -في مَعْرِض الإجابة عن هذه الأسئلة- استكشاف هذا المنحى السلوكي، واستبيان طبيعته. يُعرِّف بيير ستيل أستاذ الاقتصاد بجامعة «كالجاري» التسويف بأنه «تأجيل فعلٍ مُعتزم، رغم توقع سوء الأمور جرَّاءَ هذا التأجيل».

هذا من جهة المصطلح العلمي الصرف، أما من جهة السلوك العملي، فيصوِّره لنا الباحثان جوزيف فيري بجامعة ديبول، وديان تايس بجامعة كايس ويسترن ريسيرف كالتالي: «يتجنب أصحاب التسويف المزمن المعلومات التي تكشف عن ذواتهم، مع انتقادهم بحدة الأداء الواهن للمسوفين الآخرين، كما أنهم يميلون إلى الشروع في أداء الواجبات مساءً أكثر منهم نهاراً. فإذا وضعناهم للمقارنة بغير المسوفين، فسنجدهم يتجنبون أوجه النشاط التي قد تكشف عن مستوى قدراتهم، مع إقبالهم على المهام اليسيرة التي تفتقر إلى التحدي. كما سنجدهم يسيئون تقدير الفترة اللازمة لإنجاز الواجبات الموكلة إليهم، ويركِّزون على الأحداث الماضية بخلاف المستقبلية، ويتقاعسون عن العمل طبقاً لما عزموا عليه».

واستناداً إلى هذا التوصيف، أجرت عالمة النفس فوشيا سيرويس من جامعة «ويندسور» بالعاصمة الكندية أونتاريو، دراسة على 254 من البالغين، لتسرد لنا نتيجة عواقب هذه الخصال على المسوف، فتقول: «يعاني المسوفون من ضغوط أشد، وعثرات صحية أكثر حدة، إذا ما قُورنوا بمن ينجزون واجباتهم دون تسويف. كما وُجد أنهم يتقدمون مرات أقل لإجراء الفحوصات الطبية على أجسامهم وأسنانهم. وهم أكثر عرضة للحوادث المنزلية من غيرهم، لتسويفهم الواجبات المنزلية المملة على بساطتها، كتغيير بطارية أجهزة التعرف على دخان الحرائق وخلافه». لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا: إذا كان للتسويف مثل هذه النتائج غير السارة، فلم يُقدم المرء عليه؟

الخصال الشخصيةودور العامل الجيني

ثار السؤال بين الباحثين عن وجاهة النظر إلى التسويف كخصلة شخصية. وهل تتفاوت حدة ظهور هذا المسلك


Flickr

> يعاني المسوفون من ضغوط أشد، وعثرات صحية أكثر حدة، إذا ما قُورنوا بمن ينجزون واجباتهم دون تسويف.
> **فوشيا سيرويس**
> عالمة نفس، جامعة ويندسور، بأونتاريو

بتباين الأوقات والمواقف، أم هو منحىً تصطبغ حياة المرء به، وبالتالي يصح اعتباره خصلة شخصية؟

لقد أُجريت أبحاث وافية حول هذا الأمر، ودلَّت نتائجها على اتسام هذا المسلك رغم تقلب الظروف ومرور الوقت بثبات كاف. ثم تراءى كما لو كان هناك عامل جيني أو بيولوجي، له دور ما في ظهوره. ففي دراسة حديثة أجراها كل من روتوندو وجونسون وآفري وماكجوو عام 2003م على 118 من التوائم المتماثلة، وعلى 93 من التوائم المذكرة الشقيقة وُلدت لاحقاً بنفس العائلة، لتحديد مقدار ظهور الصفة عند كلا المجموعتين، بلغ معامل ارتباط ثبات هذا المسلك بحالة التوائم المتماثلة 24، في حين بلغ 13 بحالة التوائم الشقيقة. مما عنى بلغة الإحصاء أن 22 بالمئة تقريباً من التباين الذي أظهرته النتائج ارتبط بالفعل بعامل جيني. هناك أيضاً الدراسة التي أجراها إليوت عام 2002م، وهي دراسة امتدت لسنوات عشر على 281 من المشاركين. حيث أعاد إليوت التجربة مرة أخرى بنهاية هذه المدة على المجموعة نفسها، ليجد أن معامل الارتباط بلغ 77، مما يمثل دلالة أخرى على ثبات مسلك التسويف عند هؤلاء، ويُرجح كونه خصلة شخصية.

لكن ذلك لا يعني أن التسويف كخصلة يأتي بمعزل عن خصال شخصية أخرى. فلقد توصل شوينبورج بالدراسة التي أجراها عام 2004م إلى مايلي: تدل أبحاث عدة، على وجود مجموعة بعينها من الخصال ترتبط ببعضها البعض. هذه الخصال هي التسويف، وضعف مقاومة الإغراءات اللحظية، والافتقار إلى المثابرة، والافتقار إلى العمل المنظَّم، وغياب مهارة إدارة الوقت، والعجز عن العمل بمنهجية. ويستخلص شوينبرج قائلاً: فإذا نظر المرء إلى هذه الكوكبة من الخصال مجتمعة، لا يجد مبرراً لاعتبار التسويف خصلة وُجدت من تلقائها. بل الأجدى أن يعطي مجموعة الخصال هذه اسماً جامعاً، هو «الافتقار» إلى التحكم في الذات.

طبيعة المهمة

يدور التسويف حول تفضيل سلوك ما أو مهمة ما على غيرها طوعاً. طبقاً لهذا، ليس بوسع المرء تأجيل واجباته كافة، وإنما بوسعه تفضيل البعض منها على الآخر. وما لم تأت تفضيلاته عشوائية، تتدخل طبيعة المهمة التي بين يديه لتؤثر بردة فعله إزاءها. لقد أجاب خمسون بالمائة ممن شملتهم الدراسة التي أجراها برودي عام 1980م، بأن سبب تسويفهم القيام بمهمة ما، هو طبيعة هذه المهمة. فإذا ما تناولنا هذه الطبيعة بالتحليل، لوجدناها تنقسم إلى مكونين: الأول هو توقيت المكافأة أو العقوبة على إنجازها، والثاني هو مقدار تنفيرها أو جاذبيتها.

أولاً: توقيت المكافأة أو العقوبة

يعمد المرء إلى التسويف كلما ابتعد الموعد النهائي لإنجاز واجب ما. سبب ذلك ظاهرة تُعرف علمياً بـ «التأخير الزماني» (temporal delay). فكلما اقترب الفرد من نيل مكافأة (ولو كانت شعوراً بالإنجاز)، كلما تعاظمت هذه المكافأة بعينه وقلَّ بالتالي احتمال تسويفه لنيلها. ومن أجل وضع هذه الظاهرة في صورة أكثر تحديداً، صاغ العالم بيير ستيل معادلة رياضية، تحدد مقدار رغبة الفرد

في إتمام مهمة ما إزاءه. ولقد كان من بين المحددات التي اشتملت عليها معادلة ستيل، بُعد أو قرب توقيت المكافأة من توقيت إنجاز المهمة على النحو التالي:

$$U = (E \times V) / (P \times V)$$

حيث تشير U إلى مجمل رغبة المرء في القيام بهذه المهمة، وE تشير إلى التوقع، وP تشير إلى حساسية الفرد للتأخير في العقوبة أو المثوبة، وأخيراً تشير V إلى مقدار الفصل الزمني بين أداء المهمة وتلقي هذه العقوبة أو المثوبة. وكما يظهر من مقام المعادلة، تزداد جاذبية المهمة كلما قصر الفاصل الزمني ما بين أدائها وتلقي العقوبة (أو المكافأة) عليها.

في عام 2004م، ضرب باري ريتشموند وزملاؤه البحاثة بالمعهد القومي للصحة العقلية، بجذور البحث لعمق أبعد من ستيل. حيث قام ريتشموند وفريقه ابتداءً بتدريب القردة على ترك ذراع أداة، عند تحول بقعة على شاشة الحاسوب المواجهة من اللون الأحمر إلى الأخضر. فكان كلما تركت القردة الذراع عند العلامة الصائبة، ازداد قضيب رمادي اللون بالشاشة نفسها توهجاً، منبهاً القردة إلى اقترابها من نيل المكافأة (وهي هنا عبارة عن العصير). في المراحل المبكرة من التجربة، شابهت القردة مسلك البشر في التراخي والتأجيل، مرتكبة أخطاء عديدة. ولكن مع اقترابها من نيل المكافأة (بزيادة توهج القضيب الرمادي)، حافظت على السلوك المرغوب وقللت من أخطائها. ولكن السؤال هنا هو: هل يختل هذا القالب السلوكي الطبيعي بتواري قرب المكافأة؟

تقدَّم ريتشموند وفريقه خطوة أخرى، حين عمدوا إلى إعادة التجربة، بعد التحكم في الدوبامين (وهو ناقل عصبي شك ريتشموند ورفاقه بكونه المسؤول عن نقل توقع المكافأة). كان الغرض من هذا معرفة أثر إخفاء توقيت المكافأة، على القالب السلوكي للقردة. فاستخدم إدوارد جينِّز مثبطاً جزيئياً يطلق عليه DNA antisense لتثبيط مستقبلات الدوبامين بمنطقة القشرة الأنفية (Rhinal cortex) بمخ القردة، المسؤولة عن اقتران الدلائل البصرية بحدوث المكافأة، وبالتالي غياب المثير المنبه على اقترابها. نجح جينز في عملية التثبيط إلى الحد الذي تلاشى عنده هذا الاقتران. فنتج عن هذا عجز القردة عن توقع أي المحاولات ستعود عليها بالمكافأة كما بالسابق، وبعبارة ريتشموند: «ظلت القردة تبذل قُصارى جهدها طيلة الوقت، كما لو كانت على بعد خطوة من جائزتها».

مقدار التنفير بالمهمة

هناك ملصق يصوِّر دباً قطبياً ضخماً متكئاً بوداعة على



Flickr

«لا شيء مرهق كالتأجيل الأبدي لمهمة لا تقبل الاكتمال».
الفيلسوف وليم جيمس

طبقة من الثلج. تحت هذا الملصق عبارة تقول: كلما تملكني شعور بالإقدام على فعل شيء، تمددت بهدوء حتى يبارحني هذا الشعور. اختار الدكتور تيموثي كويك (الحاصل على الدكتوراة من جامعة أونتاريو بكندا)، هذه اللوحة ليصور بها زفرة المسوف المحبط، المثبط، العاجز عن المواكبة، المغلول بالاكتئاب، والذي لايفتأ يكرر بلامبالاة «لم أعد أهتم».

يشير عنواننا إلى المهام التي تفتقر للبهجة، وبالتالي إمكان توقُّع رِدة فعل المسوف تجاهها. فكلما اشتد تنفير المهمة التي بين يدي المرء، ماطل وسوَّف إنجازها حسبما تقول الأبحاث. والعكس بالعكس كذلك، لكن ذلك يتطلب وجود القاعدة السابقة، قاعدة توقيت المكافأة. وإلا عمد الفرد إلى تجنب المهمة بالكلية، وليس تأجيلها فحسب.

يُعرِّف جوزيف فيري ودايان تريس التسويف بأنه «ضآلة الوقت المكرس للاستعداد، قبل الشروع في المهمة المطلوبة». وهما أجريا سوياً دراسة -وإن اتسمت بالملمح العلمي- لم تخل من طرافة. حيث اختبرا مجموعتين من الناس، ضمت أولاهما 40 امرأة و19 رجلاً، وضمت الثانية 48 امرأة و40 رجلًا، صنفوا أنفسهم مسوفين مزمنين بدرجات متفاوتة. في المرة الأولى، طُلب من المجموعة المشاركة اجتياز اختبار حسابي مدته 15 دقيقة، ليجري تقييم أدائهم فيه. مع منحهم حرية الاختيار بين المبادرة بحل الاختبار أو البدء بأوجه نشاط أخرى (ترفيهية)، كان منها على سبيل المثال ألعاب الفيديو، وحل الكلمات المتقاطعة. فكان أن قضى المشاركون في التجربة الأولى نحو تسع دقائق (حوالي 60 بالمئة من الوقت المخصص) في التسويف، من خلال ممارسة جميع أوجه النشاط عدا الاختبار الحسابي. أما في التجربة الثانية، فلم يتغير من الاختبار الحسابي شيء، عدا تصنيفه هذه المرة ضمن النشاط الترفيهي. وهنا، لم يختلف أداء المسوفين المزمنين عن غير المسوفين. فإذا استعرضنا نتيجة التجربتين، لوجدنا أنه حين أُدرج الاختبار بخانة التقييم المهم للمهارات، قضى المسوفون المزمنون مقارنة (بغيرهم) وقتاً أطول مع النشاط الترفيهي، ووقتاً أقل في التحضير للاختبار. كان الاختبار ليكشف عن قدراتهم، وهي صفة بغاية التنفير طبقاً لتوصيف الباحثين نفسهما.

نود هنا وقبل الانتقال إلى النقطة التالية، لفت القارئ إلى وجود نوعين من التسويف يندرجان تحت بند طبيعة المهمة. أولهما هو التسويف في اتخاذ القرار، وثانيهما هو التسويف في القيام بالفعل. فكلما اتصفت المهمة بتقييد استقلالية الفرد، وبتمييع المغزى من أدائها وضآلة الفائدة المرتدة عنها، ازداد رجحان التسويف في اتخاذ قرار بشأنها. وفي المقابل، كلما اتصفت المهمة بالإحباط والاستياء والملل على وجه الخصوص، تصاغر احتمال القيام بها. بعبارة أخرى، كلما ازدادت مشقتها وارتفعت وتيرة الإملال بها، رجُحَ تسويف الفرد إياها.

التخلص من التسويف

يزكي الباحثون من سبل التخلص من هذا الأمر غير الحميد ما يأتي:

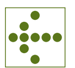
- حدد «ماذا» و«متى»: ينصح بيتر جولفيتزر (العالِمَ النفساني والأستاذ بجامعتي كونستانز في ألمانيا ونيويورك في أمريكا)، المسوفين بوضع جدول زماني ومكاني لإنجاز واجباتهم، بدلاً من وضع أهداف غامضة مثل «سأتخلص من سمنتي الزائدة». بعبارة أخرى أن يحدد المرء الخطوات المطلوبة لتحقيق هذا الهدف، مع ربطها بالأطر الزمنية. وهكذا يصير هدفاً مبهماً كالسابق «سأذهب إلى صالة اللياقة البدنية، وسأفعل ذلك غداً في السابعة والنصف صباحاً». لقد وجد عالم النفس شين أوينس من جامعة هافسترا (2008)، أن القيام بهذا ضاعف احتمال تحقيق الهدف المرصود ثمانية أضعاف.
- امنح نفسك مكافأة على إنجازك ما خططت له.
- انظر ملياً في العواقب: في حالة السيد ريموند، كان الجزء الأصعب هو الإجابة عن أسئلة الاختبار. كان سبب ذلك هو خوف ريموند من الإخبار عن نفسه، وبالتالي الظهور بمظهر الأخرق أمام الطبيب. فأعانه هذا الأخير بأن طلب منه أن يختار أقل الشرَّين، إما الإجابة عن الاختبار وبالتالي المخاطرة بالإفصاح عن مثالبه، أو تلافي المهام العسيرة ومن ثم فقدان وظيفته. عندما صاغ الطبيب الأمر على هذا النحو، يسَّرَ على ريموند سلوك الطريق الأشق إذ قبعت المكافأة بانتظاره بآخره وجنَّبه مرارة الفشل. وبدلاً من الانتهاء مطروداً من عمله، صار ريموند مثالاً لأصحاب الأداء المتفوق بمؤسسته.
- تخلص من الخوف المقوِض للطاقات: يرتبط التسويف بالخوف على جودة العمل المؤدى، والخوف من ردود

الفعـل تجاهه. فإذا راودك مثل هـذا الخاطر، فتذكر أن أداءك لعمـل به عيوب يفضُلُ كثيراً عدم قيامك بأي عمل على الإطلاق.

- ابدأ وحسب: تلك كانت النصيحة الأخيرة للعالم بيتشل، والتي أردنا بها اختتام هذا القسم. فلقد رأى بيتشل وبعد تمحيص، أن المرء قـد يبالغ في تقديـر بشاعة المهمة عمـا هي عليـه في الحقيقـة. وفـي سبيل إثباتـه لذلك، أجـرى عام 2000م تجربة على 45 فرداً. حيث داوم على الاتصال بهم أربعين مرة على مدار خمسة أيام، لتقصي حالتهم المزاجية وتحديد مقدار تسويفهم لمهمة أوكلها إليهـم وحدد لإتمامهـا توقيتـاً نهائياً. يقـول: وجدنا أن نظرة الذيـن انخرطوا بالمهمة التي سبـق وأن سوفوها، قد تغيرت بصورة عظيمة. بل ووجدنا أنهم -في كثير من الأحيان- قد استمتعوا بأدائها.

بنهايـة بحثه حـول التسويـف، اختتمـه العالم بييـر ستيل بالقـول التالي: «يمدنا التاريـخ بشواهد على التسويف تمتد لثلاثة آلاف من السنيـن. فلقد تناولته بعض أولى الكتابات المكتشفة، وبعض المخطوطات التي أوردت إرشادات للزراع، وبعض السجلات العسكريـة الإغريقية والرومانية، وكذلك مخطوطات عقدية غابرة. أما إن استشرفت المستقبل، فلا يلوح لي اختفاء التسويف قريباً، بل على النقيض. فالعثرات المرتبطـة بـه وبالافتقار للتحكم في النفـس وغير ذلك في ازدياد. وهذا ما يرجح ازدياد تسويف المرء واجباته.

2 علم نفس المماطلة.. ماذا يقول؟



هنـاك عدد لا يصدق مـن الناس الذين يعانـون نفسياً من جراء مماطلتهم في إنجاز المهمات المفيدة لهم. فيؤجِّلون تنفيـذ واجباتهم إلى اللحظـة الأخيـرة أو يهملونها تماماً. ففـي الولايات المتحـدة الأمريكية التي يفترض أنها أكثر المجتمعـات ولعـاً بالإنجاز وتوفيـر الوقت، أقـرَّ 46 بالمئة مـن أفراد إحـدى العينات أن للمماطلة تأثيـراً سلبياً كبيراً علـى سعادتهـم. فيما وجـدت دراسة أخـرى أن 80 إلى 95 بالمئـة من طلبة الجامعة يؤجِّلـون واجباتهم الدراسية على أمل تحقيقهـا بصورة أفضل «فيما بعد»، وأن 40 بالمئة من الأمريكييـن دفعـوا 473 مليـون دولار ضرائـب إضافية في العـام 2002م بسبب مماطلتهم بالدفـع، ولم يكن تأخرهم بسبب عدم القدرة على الدفع، بل بسبب التأجيل..

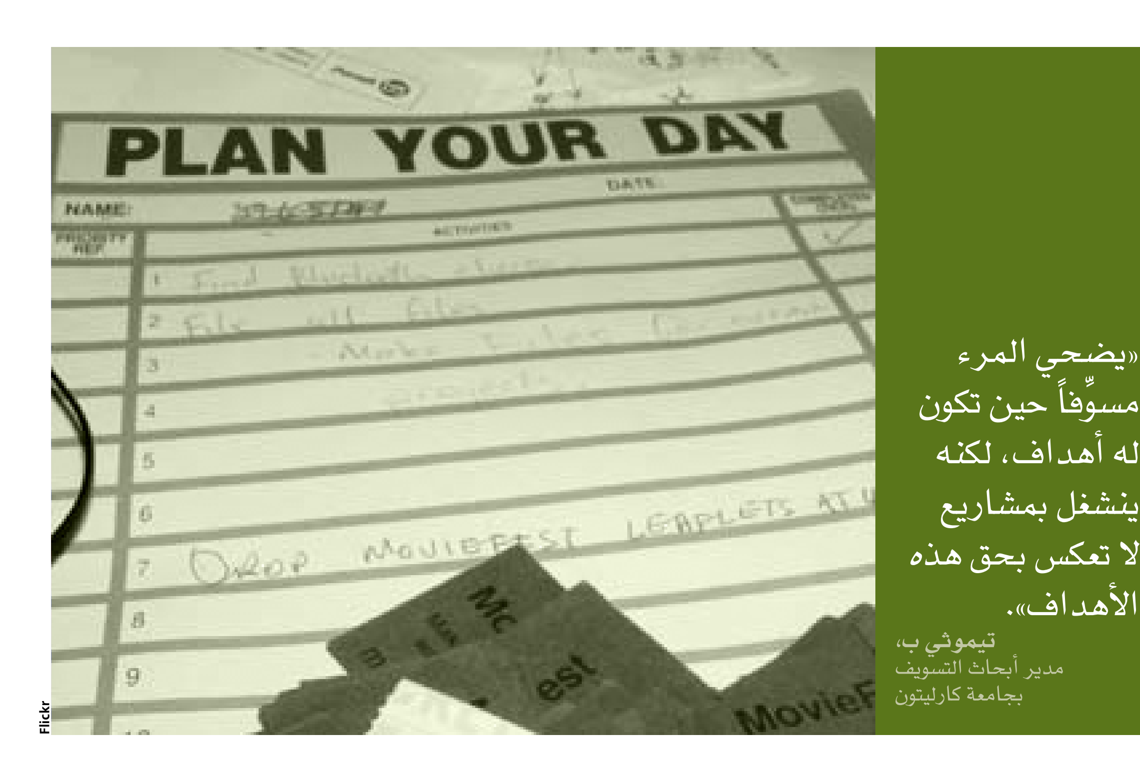
تأسـس حديثاً علـم نفـس المماطلـة (Procrastination Psychology) ليهتـم بدراسة هذه الصفة الشخصية التي تقلِّل من نوعية حيـاة بعض الناس، وتحليلها وفهم جذورها النفسية. وقد خطا هـذا العلم الحديث الخطوة الأولى نحو التعاطـف مـع المبتلين بالمماطلـة وتحفيـز استراتيجيات سلوكيـة لديهـم تعينهم على هزيمـة هذه العـادة المضرة بمصالحهم.

فالمماطلـة عـادة سلوكية يمكن أن تتكون لـدى أي شخص بغض النظر عن عمـره أو مهنتـه أو منزلتـه الاجتماعية، يتجنـب الفرد فيهـا طوعاً القيـام بأعمال معيَّنـة أو إيجاد الأعـذار لتأجيلها بالرغـم من توقعـه لنتائـج سلبية لهذا التأجيـل، ممـا يسبب له ضـرراً أو حرجـاً، كعقوبات مالية أو معانـاة صحية أو صعوبـات مهنية أو اختلال في علاقاته بالآخرين أو شعور بالإحباط والقلق فضلاً عن هدر الوقت.

أمـا علـى المستوى الحضـاري، فتشـكل المماطلـة سلوكاً جمعياً لا عقلانياً يمكن أن تتسم به مجتمعات بعينها. فهدر الوقت وتأجيل عمل اليوم إلى غد، وانتظار معجزات لا تأتي، هي من بين أهـم سمات الشخصية الاجتماعية في البلدان الناميـة المولعة بالانتظار وتجنـب المواجهة مع التحديات المستجدة.

عواملها النفسية والاجتماعية

وقد توصلت بعض الأبحاث مؤخراً إلى أن الجذور البيولوجية للمماطلة تكمن في الفص ما قبل الجبهي للقشرة الدماغية. فحينمـا يحدث ضـرر أو انخفاض في نشـاط هذا الفص، تنخفض قـدرة الفرد على تنظيم الأفـكار ويضعف انتباهه



Flickr

«يضحي المرء مسوِّفاً حين تكون له أهداف، لكنه ينشغل بمشاريع لا تعكس بحق هذه الأهداف».
تيموثي ب،
مدير أبحاث التسويف
بجامعة كارليتون

وتـزداد المماطلـة لديـه. إلا أن المماطلة تظـل في جزئها الأكبـر نتيجـةً سلوكية لتفاعل منظومة معقَّـدة من العوامل النفسية الاجتماعية المؤثرة في شخصية الفرد، فيما يأتي بعضها:

- تجنب الفشل والخوف منه: قد تراود الشخص شكوك حـول كيفية قيامه بالمهمة أو الأخطـاء والنتائج السلبية المحتملة عنها.
- سيكولوجية اللحظة الأخيرة: لا يستطيع الكثيرون تقدير الوقت الضروري اللازم لإنجاز مهمتهم، فيظلون يوهمون أنفسهـم بوجود متسع من الوقت لديهم حتى ينفد الوقت فعلاً.
- انتظـار المـزاج الطيب: يميـل البعض إلـى المماطلة لاعتقـاده بأن عليـه انتظار اللحظة المناسبـة التي يتمتع فيها بمزاج طيب. فتكون النتيجة هدراً حقيقياً للوقت.
- اضطـراب قصـور الانتباه: قد يعانـي البعض من هذا الاضطراب فيركـز انتباهه على مهمة واحدة فقط لمدة طويلة. ولا يستطيع أداء عدة مهمات في وقت واحد.
- عدم جاذبية المهمة: يفضل البعض (وخصوصاً الطلبة) أن يؤجلوا القيام بمهماتهم إذا كانوا يرونها مملة بالرغم من إقرارهم بأهميتها.
- التردد: أي عدم قدرة الفرد على الحسم والبدء بالمهمة المطلوبة، فقد ينفـق وقتاً طويلاً في مناقشة الاحتمالات المتاحة أمامه لكيفية إنجازها حتى يفوت الأوان.
- الاندفاعية: يميل الأشخاص الاندفاعيون إلى المماطلة بسبـب سهولة إغوائهم بتـرك المهمة التـي بين أيديهم والاندفاع نحو نشاط آخر جذاب أكثر من المهمة.

تمرينات سلوكية مفيدة

ومـع إن عـلاج المماطلة يتطلب مـن الاختصاصي النفسي إحاطة شاملة بتفاصيل كل حالة على حدة، إلا أنه بالإمكان تقديـم نصائـح عامة بعدد مـن التمرينـات السلوكية التي يمكن أن تكون لها فائدة ملحوظة:

- إن علاج المماطلة هو أن تبدأ فوراً. دوِّنْ لديك عناوين المهمات التي تتطلب الإنجاز، وموعد البدء بها والانتهاء منها والمـدة المطلوبة لإنجازها. وحينما يحين الموعد، اشـرع فـوراً بها بصـرف النظر عن مدى جـودة الأداء، ولا تنتحـل لنفسـك أي أعذار تبرر تأجيلـك لها. وحالما تنجزها كافئ نفسك بشيء تحبه.
- اسـأل نفسـك لماذا تتجنـب القيام بتلـك المهمة التي تماطـل بشأنهـا؟ هـل هنالـك مـا يقلقـك منهـا؟ هل لديـك مشكلة ذات طابـع انفعالي مع أحد ما؟ هل تريد إيذاء نفسـك؟ حالما تطرح على نفسـك هذه الأسئلة، فإنـك تبدأ بالبحث عن الأجوبـة التي تعينك في تجنب المماطلة.
- ابتعد عـن المهمات ذات الطابع الغامض غير المحدد كقولـك: «أريـد أن ينخفـض وزنـي»، واستبدلهـا بمهمة محـددة إجرائيـاً وزمنياً كقولـك لنفسك: «سأبـدأ غداً الساعة العاشرة صباحاً بتمارين اللياقة».

إذا كانـت المماطلـة هـي «فـن التواصـل مع الأمـس» كما يقـول الأديـب «دون ماركوس»، فـإن الانتصـار عليهـا، فرديـاً وحضارياً، يعنـي ببساطة ممارسةَ فـن التواصل مع المستقبل.

قصة ابتكار

الفقاعات البلاستيكية

بتطور وسائل النقل وانتعاش الحركة التجارية غداة الحرب العالمية الثانية، أصبح توضيب البضائع والأشياء فناً قائماً بحد ذاته لحماية البضائع من الأضرار خلال عمليات نقلها وشحنها. ولم يُعدم المضطلعون بهذه المسؤولية الوسائل اللازمة لذلك، فكانوا يستخدمون الإسفنج والقطن والقماش والورق وغير ذلك.

ولكن مهندسين، هما ألفريد فيدلنغ ومارك شافان، لاحظا أن الورق والبلاستيك يصبحان أقدر على حماية البضائع من الصدمات، إذا تم دعكهما بشكل يحفظ بعض الجيوب الهوائية في الداخل. فراحا يبحثان عن وسيلة لأسر الهواء، وبسرعة خرجا بابتكار «الفقاعات البلاستيكية»، وسجلاه باسميهما في العام 1957م، ثم أسسا عام 1960م «شركة الهواء المقفل» لإنتاج هذه السلعة الجديدة.

اشتهر الابتكار الجديد عالمياً باسم «فقاعات التغليف» وراج على نطاق واسع بعدما أثبت جدواه في حماية البضائع والأشياء سريعة العطب. إذ تكفي طبقة واحدة من هذه الفقاعات لحماية الأسطح من الخدوش، وبضع طبقات لحماية المحتوى من الصدمات. وراج استخدامها في صناعة الإلكترونيات والأجهزة الكهربائية، والمنتجات الزجاجية وكل السلع سريعة العطب.

ومن جهة أخرى، ظهر لهذا الابتكار أثر، أو استخدام جانبي، لم يكن يخطر على بال مبتكريه. ألا وهو جاذبيتها لمن يمسك بها كي يبدأ بتفجير هذه الفقاعات بأصابعه، بحيث ينجرف في هذا العمل حتى الفقاعة الأخيرة بين يديه. وقد شكَّلت هذه الملاحظة مادة لدراسات نفسية عديدة ذهب بعضها إلى حد القول بجدوى هذه الفقاعات في التنفيس عن الاحتقان الداخلي. حتى أنها باتت تشكِّل مادة اختبار في بعض عيادات الطب النفسي.



في العام 2006م، أطلقت «شركة الهواء المقفل» مسابقة لطلاب المراحل المتوسطة في المدارس، وموضوعها أفضل استخدام جانبي لفقاعات التغليف. وفي يناير من العام 2007م، منحت الشركة جائزتها الكبرى والأولى لفتى في الخامسة عشرة من عمره يُدعى غرايسون روزنبرغ، استخدم هذه الفقاعات لتغليف أجهزة الأطراف الصناعية بحيث تبدو أقرب ما يمكن إلى الأطراف البشرية الطبيعية. وذلك عن طريق لف الأسياخ بواسطة هذه الفقاعات والأصماغ، ومن ثم تغليفها بطبقة رقيقة بلون البشرة، بحيث يمكن لمستخدمي هذه الأطراف في مختلف أنحاء العالم الحصول على لون البشرة الملائم لهم. وفي حين أن تجميل الأطراف الصناعية يكلِّف في أمريكا نحو ألف دولار للقطعة الواحدة، فإن ابتكار هذا الفتى خفَّض هذه التكلفة إلى عشرين دولاراً فقط.

قصة مبتكر

هنري وينستانلي
مبتكر العروض المائية

لا يمكن تعداد الأعمال التي مارسها والمجالات التي شُغف بها هنري وينستانلي، ولكن من ضمنها يحفظ المؤرخون ابتكاره للعروض المائية، وقصة موته، للمفارقة، في عاصفة هوجاء ضربت المنارة التي كان بناها بنفسه.

ولد هنري في مقاطعة إيسيكس البريطانية في 31 مارس من العام 1644م، لأب كان يعمل في أراضي اللورد سوفولك. وكان في الثامنة من عمره عندما بدأ يعمل بواباً في قصر «أودلي إند»، ومن ثم سكرتيراً في القصر نفسه، إلى أن خسر وظيفته عندما اشترى الملك شارلز الثاني القصر وحوله إلى أحد القصور الملكية.

ما بين العامين 1669 و1674م، قام وينستانلي بجولة أوروبية، فُتن خلالها بفن العمارة التي شاهدها، وبشكل خاص فن الرسم بواسطة الحفر الذي يصورها في الكتب. ويقال إنه درس هذا الفن بعد عودته إلى بريطانيا، حيث أعيد توظيفه في قصر «أودلي إند» كمساعد للمشرف على الأعمال. وراح يرسم بالتفاصيل كل القصر، الأمر الذي استغرق سنوات عشر. وفي العام 1679م أصبح مسؤولاً عن كل أعمال القصر وبقي في وظيفته هذه لسنتين.

غير أن شهرة وينستانلي في إيسيكس بنيت على ولعه بالأدوات الميكانيكية والهيدروليكية، وبنائه لـ «بيت إيسيكس للعجائب» الذي كان أول مسرح من نوعه في العالم للعروض المائية، كتلك التي تُقام اليوم في المراكز التجارية الحديثة.

وفي العام 1690م أنشأ وينستانلي مسرحاً خاصاً للعروض المائية وفق قواعد علم الرياضيات، فتحول بسرعة إلى أشهر وجهة سياحية في بريطانيا آنذاك.

استغل وينستانلي المال الذي جمعه في تأسيس تجارة، ومن ثم شراء خمس سفن للنقل. غير أن اثنتين منها غرقتا نتيجة الاصطدام بالصخور في المياه الضحلة قبال شاطئ إيديستون. الأمر الذي شاء وينستانلي تحديه من خلال بناء منارة إرشاد للسفن.



وبالفعل صمم هذا المبتكر منارته الضخمة، وبناها. ويروى أن الجيش الفرنسي أسره خلال غزوه للموقع، ولكن الملك الفرنسي لويس الرابع عشر أمر بإطلاق سراحه فوراً قائلاً: «أنا في حرب ضد إنجلترا، وليس ضد الإنسانية».

وفي شتاء العام 1699م، وفيما كان وينستانلي يعمل على إصلاح بعض الأضرار في منارته هبت عاصفة هوجاء لم تكن بريطانيا قد شهدت لها مثيلاً من قبل، فتهدمت المنارة على رأس بانيها وقتلت الرجل الذي سيطر على الماء لبعض الوقت.

اطلب العلم

تحتوي كل خلية على مادة مميزة فيها شفرة لصفات تلك الخلية، سواء أكانت لكائن من خلية واحدة أو من ملايين الخلايا. فجميع خلايا جسمك متطابقة في تلك الشفرة، وهذه الشفرة مؤلفة من أجزاء تسمى «المورثات» (جينات)، والمورث مركب كيماوي له تعبير عن صفة أو وظيفة .. فمثلاً الخلية التي تقوم بإفراز عصارة معوية تطابق خلية الجلد في تسلسل المورثات، إلا أن المورث المسؤول عن العصارة المعوية لا يعمل هناك، والعوامل التي تحدد عمل المورث من عدمه من القضايا التي أعيت العلم.

هذا النظام الثابت التسلسل والترتيب في شفرة المادة الوراثية هو ما يُعرف باصطلاح «الجينوم». وهذا الجينوم

الجينوم وثورة البروتيوم

د. صالح بن سليمان أبا الخيل *

ثابت ومميز في كل أنواع المخلوقات الحية، وهو بمثابة السجل لصفات كل نوع. فمثلاً موقع الجين المسؤول عن تكوين «بروتين أ» في خلاياك يطابق موقع الجين في جسم أي إنسان آخر. والخلل في هذا الجين أو اختفاؤه يؤدي إلى عدم تكوين البروتين، ويكون هذا الخلل إما وراثياً أو عارضاً. ويسعى العلم حالياً إلى تحديد كل بروتين يؤدي عدم تكوينه أو تكوينه بصورة مختلفة إلى حدوث خلل في النظام البيولوجي للإنسان، ومن ثم تحديد التقنية التي يتم من خلالها التدخل والتي تناسب حالة الجينات سواء باستئصال الجين المعطوب أو زرع جين سليم. فقد بدأت دراسة الجينوم البشري منذ أن وضع كل من واطسن وكريك نموذجهما الشهير من الحمض النووي عام 1953م. وقد تلى ذلك في عام 1972م نقل بعض العلماء لأحد الجينات من مخلوق حي إلى آخر، وكانت تلك شرارة ثورة الهندسة الوراثية، حيث تبعتها سلسلة مؤتمرات ما بين عامي 85 و88م لمناقشة الاستراتيجية المناسبة للتعرف إلى ما سمي في ذلك الوقت بالمخزون الوراثي البشري.

تسعى دراسة الجينوم إلى معرفة إمكانية حدوث الاختلالات الجينية ومدى تأثيرها على صحة الإنسان، كما بات بالإمكان دراسة المخزون البشري لشجرة العائلة بعد أخذ خلايا من أجسام أفرادها، ومن ثم استقصاء الأمراض والتاريخ المرضي.

* كاتب من السعودية

تحدِّد خريطة الجينوم كل التفاصيل الخاصة بكل جين: نوعه، موقعه من السلسلة الوراثية، تركيبه، علاقته بالجينات الأخرى. ففي عام 1990م بدأ مشروع مشترك بين ست دول وهي: الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والصين واليابان لدراسة الجينوم البشري والذي سمي بـ «HGP» اختصاراً لـ «Human Genome Project»، والهدف منه رسم مايسمى بالخريطة الجينية البشرية. وقد كان المخطط المالي لهذا المشروع هو شركة «سيليرا جينوميكس»، وتم الشروع في العمل المكثف من أول لحظة بعد تكليف فريق العمل بقيادة فرانسيس كولينز. بلغت تكلفة المشروع قرابة 5 مليارات دولار وزعت نسبها على الدول الست كما يلي: الولايات المتحدة الأمريكية: 55%، بريطانيا: 23%، اليابان: 10%، فرنسا: 2.5%، ألمانيا: 1.5%، الصين: 1%.

ماهي الفوائد المرجوة من دراسة الجينوم البشري؟ معظم تطبيقات الخريطة الجينية في المستقبل ستنصب على الوصول إلى تصميمات للأدوية، مبرمجة على أساس جيني كالبروتينات العلاجية وهو مايسمى بـ «ثورة البروتيوم». وهي أنواع البروتينات المختلفة كالأنسولين والثايروكسين التي يتم تركيبها وفقاً لـ RNA المراسل. ويقصد بالبروتينات العلاجية، البروتينات المنتجة بواسطة تكنولوجيا الجينات للاستخدام في المعالجات.

إن عدد البروتينات المتوقع أن يتم رصدها والتعرف إلى وظيفتها وتركيبها يربو على المليون. وكلها تقع تحت وطأة تشفير جيني من الجينوم البشري والذي يتكون من 100000 جين، وهذا المشروع هو المسمى بـ «مشروع البروتيوم البشري» وهذا المشروع هو الخطوة الأساسية بعد اكتمال رسم خارطة الجينات، لأن ذلك سيفيدنا في تصميم أدوية بروتينية خاصة.

فقد اهتمت شركات أدوية عملاقة بمشروع البروتيوم البشري واعتبرته هدفاً اقتصادياً رئيساً في استراتيجيتها مثل Celera Genomics وGen Ped اللتين تقومان بمشروع مشترك لهذا الغرض. كما تعاضدت شركتا Structural Genomics وSyrix في وضع الشكل الثلاثي الأبعاد للجزيء البروتيني الوراثي.

أحمد كونش



يوسف الديبس

المصورون

ثلاثة من المصورين المشاركين في هذا الفاصل استضافتهم القافلة في أعداد سابقة هم: فيصل المالكي، المعروف بصوره ذات الطابع المعماري والتجريدي الجميل، والحائز على جوائز عالمية عديدة، ويوسف الديبس الذي هو اليوم من أبرز المصورين للحياة الرياضية بدءاً بكرة القدم وانتهاءً بركوب الخيل، وماجد المالكي الذي قدَّمته القافلة وهو في باكورة عهده بالتصوير، وأصبح اليوم المصور المتفرغ لمجلة ترحال السياحية. أما أحمد كونش فسوف تستضيفه القافلة قريباً، وهو من أصحاب أجمل العدسات السعودية الشابة.

* الصور من المهرجان الوطني للتراث والثقافة (1430هـ - 2009م)



ألحان
وألوان
وإيقاعات
ابتسامات
ومرح أطفال..

جنادريتنا
تقول كل
عام..

تعالوا إليَّ
فهذا عيد
تراثكم
وعطر ترابكم
ولون عيونكم
والسلام!



فيصل المالكي



ماجد المالكي


ماجد المالكي
أحمد كوش



أحمد كوش



فيصل المالكي

فيصل المالكي



فيصل المالكي

في طلب الهدوء

بعد أن انحسر ضجيج البورصة، هل تنحسر بورصة الضجيج؟ وهل بدأ الناس بعد عقود من العيش في كنف الضوضاء في كل مكان، ينزعون إلى الهدوء والسكينة؟ وهل فعلاً نستطيع أن نتلمس بوادر ميل للابتعاد عن مصادر الصخب والأصوات العالية والتوجه أكثر وأكثر إلى المقهى الهادئ بل حتى المكتبة التي هجرت، وإلى شاطئ البحر وزوايا الجبال البعيدة، بل وإلى سيدة الصمت الخالد الصحراء؟

لقد طغى على الحياة المعاصرة خلال العقود الماضية الميل إلى اعتبار الصخب والأصوات العالية رديفاً لمتعة السمع وتمضية الأوقات السعيدة. في المطاعم والنوادي والمقاهي بل في كل مكان تجد الموسيقى فرصة لتُسمع، تجد الصوت عالياً والوقع عنيفاً صاخباً أحياناً بلا هدف واضح أو مبرر مفهوم. وقد عمَّت هذه السياسة وأصبحت معتمدة في كل مكان بما في ذلك الفضائيات التلفزيونية، وما أكثرها. فإذا أخذت تُقلِّب فيها بحثاً عن برنامج يعجبك، تواجهك هذه الظاهرة دون استثناء يذكر. خاصة عند الإعلان عن برنامج مقبل أو بداية نشرة الأخبار أو غيرها: بداية موسيقية مندفعة إلى أعلى بتردد سريع وإيقاع صاخب وكأنه لا يمكن أن يجذب المستمع أو المشاهد غير ضربات الطبول المتلاحقة! ويبدو أنه قد سادت القناعة بأن هذا الإيقاع هو سمة من سمات الحيوية والشبابية بل والحياة المعاصرة برمتها.

ربما هناك بالفعل توأمة ما. فالغريب في الأمر أن الناس بشكل عام قبلت بهذا بل ورحَّبت به. وإذا بالإنسان يجد نفسه خارجاً من ضوضاء الحياة اليومية وضجيجها، بمحركاتها ورنين هواتفها وصخب شوارعها ومطاراتها ليدخل إلى قاعات يملؤها ضجيج من نوع آخر، مُلحَّن ومعزوف! وكان أحياناً من الصعب تفسير هذا القبول من قبل الناس إلا بنوع من الاستسلام أو الرضوخ عن طيب خاطر لخصائص «الحياة المعاصرة». وكان أي احتجاج على رفع درجة الصوت يواجَه باستغراب واستهجان.. ولا يجد -بطبيعة الحال- أذناً مصغية!

منذ سنوات بدأت تظهر على الجيل الشاب بعض الميل إلى الهدوء. حيث تجد الشاب يتوجه إلى مقهى الإنترنت وحيداً ويحتل زاوية بعيدة مختلياً بجهازه لينكب على العمل بهدوء. والمتأمل كان لابد أن يلاحظ أن في هذا التصرف نزوعاً جديداً يجمع بين رغبة في الاستغناء عما هو سائد ورائج، ونزعة حقيقية تجمع ما بين القناعة الذهنية والتفضيل المزاجي الحقيقي. ويبدو اليوم أن هذا البحث عن الأركان الهادئة بدأ يزداد وينتشر. فبدأنا نسمع عن عودة ما إلى التردد على المكتبات، وأكثر من ذلك عن ظاهرة «المقهى-المكتبة» الذي يتوجه إليه الزبائن للاختلاء بكتاب! وياللعجب.

بطبيعة الحال، ليس الميل إلى الركن الهادئ أو الاختلاء بكتاب جديد على الحياة الإنسانية بتاتاً، فكثيرون وكثيرون كانوا يفعلون هذا في جميع مراحل التاريخ القديم والحديث بلا انقطاع، شيوخاً وشباباً وحتى الأطفال. فمشهدُ مَنْ يترك مجلس خلاَّنه واجتماعهم، ويتجه إلى ركن هادئ يفكِّر ويتأمل، هو مشهدٌ معروف. والمعترف به أصلاً أن للصخب ساعاته وكذلك الهدوء. إلا أن الحياة المعاصرة أدخلت المجتمع المدني في معادلة أخرى، ليس فيها للمزاج الفردي الاعتبار الذي تدعيه.

واليوم لابد لهذا البحث عن الهدوء أن يتنامى وينتشر، ليس فقط هروباً من «ضجيج» الحياة اليومية الملحن منه وغير الملحن، بل لأن هناك لائحة طويلة تراكمت فيها أمام الإنسان المعاصر أسئلة يشعر معها بأنه يتوق إلى زاوية تأمل وتفكير وصفاء. ويعزز هذا الميل أن الناس ربطت بين الإيقاع الصاخب ونمط الحياة الذي يمثلها، وبين أزمات أخذت تهدِّد حياتها، وقد اهتزت الثقة بالقيم التي رافقت هذا النمط من الحياة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً.. ليس أقلها ما تشهده أسواق المال هذه الأيام.

إن الناس تريد مسافة بينها وبين هذا الصخب الذي طغى على حياتها لعقود عديدة.. تفوز من خلالها بشيء من الهدوء من جهة، وبفرصة للتفكير والنظر من جديد إلى المسلَّمات التي كانت من شيم العصر.

ششششششششششش!

كميل حوا 



الرسوم: المحترف السعودي - ع.ف.



تُعد إدارة أموال العائلة، وبشكل خاص مصروفها، من القضايا التي تُبحث في كل بيت بشكل شبه يومي. ولكن نادراً ما ينتقل هذا البحث إلى العلن، إلاَّ في حالة وجود خلاف حول الموضوع تجاوز خطوط العودة إلى الوراء، وبات يهدِّد الحياة المشتركة ككل.

الدكتورة نوال حسين حقي * تبحث في هذه القضية التي يقر الكثيرون بوجود بعض الجوانب الشائكة فيها، والتي تحفظ هناء العيش في بعض البيوت، وتنغِّصه في بيوت أخرى، كما يمكنها أن تهدِّد بعض البيوت بالخراب.

مصروف البيت

بين الزوج والزوجة

يكاد المال أن يكون طرفاً مستقلاً في كل بيت. حتى يمكننا القول إنه الطرف الرابع بعد الزوج والزوجة والأولاد. فهو حاضر دائماً، ليس في الحساب المصرفي أو خزانة البيت فقط، بل أيضاً في البال، وفي الأحاديث المتبادلة داخل البيت.

ومن النادر جداً أن ينتقل أي خلاف بشأن مال العائلة وإدارته إلى العلن، إلاَّ إذا تحوَّل إلى مادة خلاف متفجر، كأن يصبح بخل أحد الزوجين وتقتيره سبباً لانهيار الحياة الزوجية، أو كأن يهدر أحد الزوجين مال العائلة على شأن أو في مجال ما، مهدداً حال العائلة معيشياً.. الاستثناء الوحيد الذي نلاحظه في هذا المجال، هو حديث الزوجة علناً عن تبذير زوجها وإسرافه في المصروف.. فهذا «التذمر العلني» مقبول اجتماعياً في مجتمعنا الشرقي، لا بل يمكن وصفه بـ «المستحب»، شرط ألاَّ يكون هذا التذمر بلهجة حزينة، لأنه يتضمن في باطنه نفياً للبخل، الذي هو من أقبح الصفات وفق مقاييسنا الاجتماعية. وفيما عدا ذلك يبدو كل حديث عن مال البيت والخلاف على إدارته حديثاً ممنوعاً، ليس علناً فقط، بل حتى على مستوى داخل البيت أيضاً.

ضجيج بأسماء مستعارة

في محيط الكثيرين منا، قصة واحدة على الأقل، حول أناس نعرفهم جهروا بخلافاتهم حول الشؤون المالية مع شركاء حياتهم، وحاولوا الاحتكام إلى طرف ثالث، إما لإصلاح المشكلة، أو لفض العلاقة جملة وتفصيلاً.

غير أن من يبحث في المواقع الاجتماعية على شبكة الإنترنت، يجد نفسه أمام عدد هائل من الخلافات العائلية حول شؤون المال وإدارته وحق أحد الزوجين في شكل معين من أشكال التصرف بهذا المال أو بجزء منه.

فعلى الموقع المعروف «إسلام أون لاين»، يمكننا أن نطالع حالات خلاف كثيرة بين الأزواج محورها التصرف بالمال الذي يفترض فيه أن يكون مشتركاً. فهنا سيدة تشكو الإشراف المباشر والدقيق من زوجها على كل ما تصرفه حتى على حاجاتها الخاصة، وهناك أخرى تسأل ما إذا كانت موافقة الزوج ضرورية لشراء هدية إلى ذويها الذين تزورهم مرة في السنة. كما أن هناك رجلاً يشكو زوجته لأنها استخدمت حقها في استخدام حسابه المصرفي لإنقاذ أخيها من الإفلاس، وبموازاته زوجة تشكو إصرار

* باحثة في علم الاجتماع من مصر

زوجها على استلام مصروف البيت بأدق تفاصيله، بدءاً من الخضار ومستلزمات تحضير الطعام، وصولاً إلى حاجاتها الخاصة جداً.

أما على المواقع الغربية على شبكة الإنترنت، فيمكننا أن نطالع فيضاً من المشكلات العائلية أكثر غرابة مما ذكرناه. فهنا رجل وامرأة يعملان ولكل منهما حسابه المصرفي الخاص، غير أن الحساب المشترك الخاص بمصروف البيت هو موضع الخلاف حول تغذيته من هذا الحساب أم ذاك.. وهناك زوجة لا أبناء لها، تشكو من تكتم زوجها الثري على حساباته المصرفية بحيث لا تعرف عنها شيئاً على الإطلاق، وتخشى في حال وفاته ألاّ ترث منه شيئاً!! وهناك رجل يشكو من سوء معاملة زوجته له رغم ثقته العمياء بها بدليل تسجيل كل مال العائلة باسمها!؟ وغير ذلك الكثير الكثير الكثير.

الأمر المشترك الوحيد ما بين كل هذه الحالات هو اعتماد أصحابها أسماءً مستعارة في حديثهم عن مشكلاتهم، وكأنهم يقولون إن معاناتهم لا يجب أن تنتقل إلى العلن، وفي الأمر إشارة مبطنة إلى تخوفهم من مواجهة مشكلة، يخشون على الأرجح، أن يؤدي تفكيكها إلى انفجار الوضع.

حالات لا حصر لتنوعها

يستحيل على الباحث أن يعدد أنماط المشكلات التي تنجم عن سوء تدبير مال العائلة. فمن جهة، تُعد مفردات مثل شح، تبذير، بخل، تكتم، هدر، ضروري، غير ضروري، سيطرة، مجرد مفاهيم نسبية. فما يُعد ضرورياً لأي شخص، قد لا يكون كذلك بالنسبة إلى آخر، والمبذّر قد يكون كذلك في نظر أحدهم، ولكنه قد يصبح كريماً عند آخر، والبخيل قد يكون كذلك بالنسبة إلى البعض، واقتصادياً حكيماً وحسن التدبير عند أمثاله من البخلاء.. بعبارة أخرى، لا مقاييس علمية يمكن أن تقاس بها هذه الصفات. ومن جهة أخرى، تفترض حالة كل خلاف على حدة التطلع إلى بطليها الزوج والزوجة. الزوج يعمل والزوجة لا تعمل، الزوجان يعملان بتكافؤ أو من دون تكافؤ في الرواتب، الزوجة تعمل وزوجها عاطل من العمل، الزوج متوسط الحال وزوجته ابنة أسرة ثرية أو العكس.

فكل عامل من هذه العوامل يعطي كل قضية من قضايا تدبير المال العائلي شكلها المختلف. ولأن لا قانون عام يمكن تطبيقه أو اللجوء إليه لاتخاذ القرار الصائب يومياً، لا يبقى أمام الزوجين إلا التعامل مع هذه القضية على أنها قضية اليوم، أو قضية كل يوم، وهذا ما يبقي المال طرفاً رابعاً حياً في كل أسرة.

مسألتان في الأساس: الثقة والخيانة المالية

أن تختلف الحالات وتتعدد، فهذا لا يعني أنه لا يمكن جمع أسسها ضمن بعض الأطر المحددة ولا يمنع محاولة استكشاف ما هو مشترك بين معظمها.

فاستناداً إلى مصادر المؤسسات الأهلية المختلفة، يبدو أن الخلافات حول مال العائلة هو السبب الثالث للطلاق في كل أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وإن لم نعثر على مصادر عربية حول هذا الجانب، فمن المرجح من ملاحظاتنا لحالات الطلاق التي نعرفها في محيطنا أن النسبة نفسها تنطبق تقريباً بشكل أو بآخر على مجتمعنا العربي. ولكن ما الذي يجعل الخلاف المالي صاعق تفجير لحياة يفترض أن تكون مشتركة حتى الممات؟

عندما قلنا إن المال يُعد طرفاً رابعاً في كل أسرة، فإننا لم نكن نقصد ذلك من باب المبالغة للدلالة على حضوره الدائم فقط، بل أيضاً للإشارة إلى أهميته.



فالمال في البيت هو جزء من عالم الثقة الذي يسود البيت بأسره، أو بعض عناوين هذه الثقة.. الثقة بالقدرة على التعاون في سبيل إنجاز كل المهمات المشتركة وإن توزعت على الطرفين. فعدم ثقة الرجل بقدرة زوجته على التعامل الحسن مع مال العائلة يشابه عدم ثقته بها في تربية أبنائه، إن لم يكن أسوأ.. طالما أن الأبناء ليسوا أغلى من المال. وزعزعة الثقة بالآخر على مستوى المال يؤدي حتماً إلى نقاش يومي سام، لا يدرك الزوجان خطورته قبل وقوفهما أمام قاضي الطلاق.

الثقة على الصعيد المالي جزء من الثقة الشاملة، و«الخيانة المالية» من أسوأ أنماط الخيانة

فإضافة إلى بروز عامل الثقة في ألف وجه ووجه في الخلافات الأسرية حول طرق إدارة المال المشترك، هناك عامل آخر صار يحمل اسماً خاصاً به «الخيانة المالية».

ويحدِّد علماء الاجتماع، وحتى المحامون المتخصصون في قضايا الطلاق، مفهوم «الخيانة المالية» بأنه «عندما يقوم أحد الزوجين بصرف مبلغ ملحوظ من مال العائلة، من دون معرفة الزوج الآخر به». وفي هذه الحالة علينا توقع مشكلة كبيرة، وهناك زيجات قليلة جداً يمكنها أن تصمد في وجه الخيانة المالية، خاصة إذا كان المال المشترك محدوداً. واستناداً إلى محامي الطلاق الذين أجروا حوارات مع موقع «أم. أس. أن. موني سنترال»، فإن الخيانة المالية تأتي فوق الخيانة الزوجية على قائمة أسباب الطلاق في أمريكا، خاصة في صفوف الطبقتين المتوسطة والمتوسطة العليا.

الحدود المعقولة.. ضائعة المعالم

ولكن عامل الثقة التي تنطوي عليها المشاركة في إدارة مال العائلة تبقى غير محددة المعالم. فكما يؤدي فقدان الثقة في هذا المجال إلى فقدان الثقة في مجالات عديدة، وبالتالي إلى خراب الحياة المشتركة، فإن الإفراط في الثقة الذي تتسم به الأيام الأولى من الحياة الزوجية عندما يكون الحب عاصفاً بين الزوجين، يمكنه أن ينقلب وبالاً في أوقات لاحقة. ونذكر على سبيل المثال حالة الأستاذ الجامعي الذي جمع ثروة صغيرة في حياته، وترك أمور إدارتها جملة وتفصيلاً لزوجته. وفي أواخر سنوات عمره، أصبح الرجل يعيش فيما يشبه الضائقة، أسير منزله، لأن زوجته تريد ترك أكبر قدر ممكن من الميراث لأحد أخوتها. فالثقة المفرطة عندما تتعلق بالمال تكاد تشبه في نتائجها انعدام الثقة.



محاولة تمديد المال لتغطية المصاريف

أما «الخيانة المالية» فهي أيضاً نسبية. لأن ما يبدو مبلغاً كبيراً يعيل العائلة لمدة شهر، ولا يجوز إنفاقه من دون معرفة الزوج به، قد يكون في عائلات أخرى مجرد ثمن حقيبة يد، لا ضرورة لمشاورة الزوج بشأنها، أو اطلاعه على شرائها.

تدفعنا نسبية الأمور وخصوصية الحالات إلى البحث عن حالة نموذجية يمكننا أن نقيس عليها، اعتماداً على المنطق والحس السليم، بقية الحالات بما فيها حالة كل منا، سواء اعترفنا أننا نواجه هذا التحدي يومياً أم لا.

ماذا عن عائلة متوسطة نموذجية

لنأخذ على سبيل المثال أسرة متوسطة، يعمل فيها الرجل موظفاً براتب شهري متوسط، وزوجته تدير المنزل، ولهما بعض الأولاد.

عندما يتقاضى هذا الرجل مرتبه الشهري يعي، وما من عاقل ينفي ذلك، أن هذا المرتب هو أولاً لتدبير أمور عائلته خلال الشهر المقبل. أما كيف؟ فتلك هي المسألة.

أولاً، هناك أمور من المسلَّم بها أنها ستستهلك حكماً بعض هذا الراتب، مثل شراء الأطعمة، ودفع فواتير الكهرباء والإيجار وتسديد أقساط الديون إن وجدت.. وما شابه. وفي هذا الجانب ليس مهماً من يتولى الصرف المباشر على هذه الأمور. ولكن القول إن الأمر ليس مهماً لا يعني أن اتخاذ الزوج للقرار بتولي هذه المهمة دون غيره هو أمر غير مهم.. بل على العكس.. إنه قرار خطر، لأنه يعكس

عدم ثقته بقدرة زوجته على التصرف السليم بهذا الجزء من المرتب.

بعد هذه الضروريات التي لا مفر منها، هناك ضروريات في المرتبة الثانية، كشراء الملابس على سبيل المثال، أو بعض مستلزمات البيت التي تسهِّل أمور العيش فيه وعلى ربة المنزل بشكل خاص. إنه المجال الذي تمتحن فيه صدقية الثقة والأهلية لها. وعلى الرجل أن يعرف أنه في هذا المجال عليه أن يثق بزوجته، فيترك لها حرية التصرف بمبلغ معين وفق ما ترتأيه وحسب أولوياتها. وعلى الزوجة أن تثبت من دون براهين صارخة أنها تتقن ترتيب هذه الأولويات.

وبعد فئتي الضروريات هاتين، تأتي دائرة الكماليات مثل الترفيه، والتزين، والسياحة وغير ذلك الكثير، وهنا يجب أن يتشارك الزوجان في اتخاذ القرارات بشأنها. كي لا يرى أحدهما هدراً حيث يرى الآخر ضرورة.

كل هذا يجب تدبيره بعد أن يكون الزوجان العاقلان متفقان على ادخار جزء من المرتب الشهري. وادخار جزء من المرتب ليس مفهوماً أو سلوكاً اقتصادياً سليماً وحكيماً فحسب، بل ينزع فتيل أي خلاف حول «حسن التدبير» يمكن أن يبرز أمام أزمة طارئة تعجز الأسرة عن مواجهتها بالمتوافر لديها من المصروف الشهري. إذ إنه في هذا الظرف الطارئ بالذات يستفيق كل من الزوجين على «سوء التدبير» عند زوجه، وتبدأ المشاحنات..

ومن حق الزوج تماماً أن يحتفظ بمدخراته في حساب مصرفي باسمه وحده. ولكن من واجبه أن يبقي زوجته مطلعة عليه. أولاً لأن اطلاعها عليه يمكنه أن يطمئنها إلى قدرة العائلة على اجتياز المحن الطارئة. وإذا كان هذا المبلغ المتوافر غير كبير، يكون بمثابة تنبيه غير مباشر إلى وجوب توخي الحذر في موازنة المصروف الشهري.

وفي حال كان الزوجان يعملان، يصبح من حق الزوجة أن تحتفظ بمدخراتها في حساب مصرفي منفصل، كما يوفر للزوجين في هذه الحالة أن يتعاونا في مجال المصاريف المشتركة.

إن هذه الحالة النموذجية البسيطة تصبح أكثر تعقيداً بتعقد أحوال الزوجين. فماذا لو افترضنا أن أحد الزوجين ثري والآخر يأتي من أسرة فقيرة؟ وماذا لو قرر الثاني مساعدة أهله بشيء من المال؟ وبأي مبلغ ممكن؟



استكمال أعمال التنظيف المنزلية في الصباح

ماذا لو كان لأحدهم اهتمام خاص أو هواية خاصة، مثل اقتناء السيارة الجديدة أو شراء أعمال فنية، وكان الآخر لا يشاركه هذا الاهتمام؟

والأخطر من كل هذه الحالات هو إذا كانت الزوجة تعمل وزوجها أصبح لسبب ما عاطلاً من العمل. ففي هذه الحالة يصبح أدنى تصرف أو أصغر كلمة تتعلق بالمال سبباً في حساسية الأجواء وتوترها.

لا قاعدة عامة يمكن تطبيقها، ولكن على الزوج العامل أن يعرف أن المال الذي يجنيه ليس ملكه وحده

والاختلاف شرقاً وغرباً

مما لا شك فيه أن الروابط الأسرية في البلاد العربية لا تزال أقوى بكثير مما آلت إليه في المجتمعات الغربية.

ففي أمريكا، غالباً ما يدار مال العائلة كما تدار أسهم الشركات. لكل من الزوجين حسابه المصرفي الخاص، وغالباً ما يكون هناك حساب مصرفي ثالث مشترك للمصروف المشترك على البيت. ويؤكد محامو الطلاق أن إعلان إفلاس المؤسسات المتوسطة والصغيرة، غالباً ما يتم لتسوية حالات الطلاق.

أما عندنا، فللروابط الأسرية المتينة حسناتها و.. سيئاتها. فمن حسناتها المشاركة من دون محاسبة بفواتير، والاستعداد النفسي الدائم لبذل التضحيات في سبيل المحافظة على الأسرة، بما في ذلك التضحيات المالية.. ولكن «سيئات» الروابط الأسرية المتينة هي في تداخل الأمور ببعضها، وفي اعتبار كل فرد من الأسرة نفسه معنياً بأي شيء يخص أي فرد آخر من أفرادها. وعندما يكون التشابك في مجال الاستفادة من المال المشترك، لا نجد مرجعية صالحة يمكن الاحتكام إليها، فنسلك مسلك المتعامل مع الأزمة بأقل قدر ممكن من الخسائر بدلاً من مواجهتها وحلها من أساسها مرة واحدة ونهائياً.

فعلى الزوج العامل أن يكون على قناعة تامة بأن المال الذي يجنيه ليس ملكاً له وحده، وإن كان قد جناه بمفرده، طالما أنه ارتضى أن يأخذ على عاتقه مسؤولية الزواج وإنجاب الأولاد. وفي المقابل، على الزوجة أن تعي في أعماقها أن مال العائلة، أو أي مبلغ تأخذه من زوجها، ليس مكافأة ولا مرتباً، وأن حريتها في استخدامه محددة بمدى وعيها لمسؤولياتها، ومقيدة بظروف العائلة وحاجاتها أولاً بأول.

ففي الغرب، باتت هناك برامج كمبيوتر خاصة بتنظيم موازنات العائلات وفق المداخيل المختلفة والمتطلبات الخاصة بكل عائلة. وما على مستخدم هذه البرامج إلا أن يلقِّم الكمبيوتر معلومات حول مدخول العائلة وبعض المعلومات عنها، حتى يحدد له البرنامج ما يستطيع صرفه هذا الشهر على الطعام والشراب والملابس والأحذية والترفيه وغير ذلك..

غير أن ثمة ما هو غامض وإنساني في العلاقات الأسرية، لا تستطيع برامج الكمبيوتر التعامل معه. إنه البعد الأخلاقي والنفسي المتمثل بالثقة عندما يعهد زوج إلى زوجته بالمال لتديره وفق ما تراه مناسباً. واستطراداً، نشير إلى أن من حق كل أفراد العائلة الحصول بانتظام على مبالغ معينة من مال العائلة لإنفاقها على ما يرتأونه مناسباً، طبعاً مع تحديد المبالغ التي تكون صغيرة جداً في أيام الطفولة، وتكبر كلما تقدَّم الأولاد بالعمر. فالمال في أيدي الأولاد (عندما يكون مراقباً من الأهل) يشكِّل تمريناً ضرورياً على كيفية التعامل معه عندما يكبرون.

وفي عودة إلى المال بين الرجل وزوجته نقول بكلمة مختصرة إنه لا قاعدة عامة يمكن تطبيقها أو فرضها بشكل عام. غير أن النصيحة التي يعطيها الحقوقيون وعلماء الاجتماع وتنطبق على الأسر الغربية كما تنطبق على أسرنا العربية، هي في الحوار الصريح والمباشر لإيجاد مسافة مشتركة في نظرة كل منهما إلى مال العائلة وسبل إنفاقه أولاً بأول.

وهذا الحوار يجب أن يبدأ باكراً جداً في فترة الخطوبة، أو في الأيام الأولى من الزواج. وعلى الزوجين أن يكونا صريحين تماماً مع بعضهما، وعلى الزوجة أن تبلغ زوجها أنها مصرة على مساعدة والدتها العجوز، على سبيل المثال، وعلى الزوج أن يبلغ زوجته أنه يفضِّل تغيير السيارة كل سنتين على رحلة سياحية إلى أوروبا، على سبيل المثال الآخر.. وبوجود هذا التفاهم الأساسي، وبشكل واضح، يمكن تلافي الكثير من المطبات التي قد تعترض لاحقاً المرتب الذي يفترض أن يكون مصدر حبور في البيت. أما الاعتقاد بأن المال ليس إلا جانباً ثانوياً في علاقة إنسانية سامية مثل الزواج، فهو تصور مثالي وشاعري سريع العطب أمام صدمات الواقع اليومي بحلوه ومره.

صورة شخصية

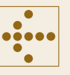




**يُعد عدنان وحّود واحداً من أبرز العلماء العرب المعاصرين، وإن كانت شهرته تبقى أصغر من إنجازاته المتمثلة في تطوير صناعة النسيج على المستوى العالمي.
نبيل شبيب* يرسم صورة هذا العالِم الذي اكتشف صناعة النسيج وفنه من خلال النول العربي الذي كان والده يعمل عليه في أحد أحياء دمشق القديمة، ليسجل حتى اليوم أكثر من سبعين اختراعاً غيَّرت معالم صناعة النسيج في العالم.**

عدنان وحّود

من النول العربي إلى تغيير صناعة النسيج في العالم



قبل أشهر قليلة، احتفل «الاتحاد العالمي للطلبة المسلمين» في مدينة آخن الألمانية بمرور أربعين عاماً على تأسيسه.

وقد ألقى العالِم العربي عدنان وحّود كلمة في الاحتفال باسم الاتحاد، تضمَّنت تعبيراً غير مباشر ولكنه واضح عن المكانة التي يحظى بها الرجل في ألمانيا وعلاقاته الطيبة جداً مع المؤسسات الألمانية من جهة وأبناء الجاليات العربية والإسلامية من جهة أخرى، كما كشفت كلمته بما يشبه الهمس مدى تمسكه بجذوره العربية.

فمن جهة، استعرض وحّود في كلمته ما قدَّمه المعهد العالي للتقنية في آخن وبلدية المدينة للطلبة المسلمين فيها، مما مكنهم من إقامة مسجد في المدينة. ومن جهة أخرى استعرض باعتزاز إنجازات بعض الطلبة العرب من المملكة العربية السعودية ومصر، الذين درسوا في ألمانيا، وعادوا لاحقاً إلى بلدانهم ليحتلوا مواقع قيادية في تنفيذ بعض المشاريع الضخمة. فكان حديثه والترحيب الكبير الذي حظي به في صفوف الحضور، صورة مصغَّرة عن شخصيته المحبوبة لدى كل من عرفه، وبشكل خاص في مدينة «لينداو» الواقعة عند سفوح جبال الألب، التي كان من إنجازاته فيها، بالإضافة إلى عمله اليومي، إقامة مسجد، وإلقاء محاضرات عديدة عن الإسلام والمسلمين في إطار تشجيع الحوار ما بين الأديان، تساعده زوجته، رفيقة دربه منذ بدايات دراسته الجامعية، وحتى اليوم.

النول العربي.. مدخل إلى عالم النسيج

ولد عدنان وحّود في شهر مايو 1951م بدمشق، وهو السادس بين ثمانية أطفال في أسرة فقيرة، تعتمد في معيشتها على كدّ الوالد في صناعة النسيج.

كان عدنان منذ طفولته يرافق والده إلى العمل. وهناك افتتن بالنول العربي وبالخيوط الملونة التي تتقاطع فيه، لتصبح قماشاً جميلاً ومزخرفاً بالرسوم. وكان لهذا الافتتان الأثر الأكبر في صياغة سيرة حياة عدنان وحّود بكاملها. ففي الكتيب الذي أصدره في عام 2003م باللغتين العربية والألمانية بعنوان «عوالم من دمشق»، يذكر عدنان شغفه الكبير بمدى الانسجام ما بين حواس السمع والبصر وحركات اليدين

* كاتب سوري مقيم في ألمانيا

والقدمين معاً خلال العمل على النول، لتكون حصيلة هذه الحركات قماشاً منسوجاً من خيوط كان عددها يزيد على الألفين.

ومنذ ذلك الحين، كان عدنان الفتى الناشئ، يفكّر بتساؤل عن آلة النسيج وطريقة عملها. وما أن تخرَّج من المدرسة الصناعية الثانوية عام 1970م، حتى قرر الانتقال إلى النمسا لمتابعة دراسته، ومن ثم إلى مدينة آخن الألمانية، حيث حصل على شهادة الماجستير عام 1980م.

وبسبب ضيق ذات اليد، اضطر عدنان إلى العمل خلال دراسته لتأمين ضروريات الحياة اليومية. فعمل لبعض الوقت موزعاً لبعض المطبوعات على بيوت مدينة آخن قبل شروق الشمس. ومن ثم اشتغل ضارباً على الآلة الكاتبة مقابل أجور بسيطة تكاد لا تكفيه لولا بساطة معيشته اليومية.

ولكن تزامن انتهاء دراسته الجامعية مع تسجيل أول اختراع له في صناعة آلات النسيج، جعل شركة «دورنير» في جنوب ألمانيا، تسارع إلى تلقفه وضمه إلى صفوف العاملين فيها. واقترن حصوله على شهادة الدكتوراة عام 1987م باستلامه رئاسة قسم الأبحاث والتطوير في الشركة نفسها، التي لا يزال يعمل فيها حتى اليوم، وصار ممثلها فيما يُعقد من مؤتمرات عالمية تتعلق بصناعة النسيج وتطورها.

سبعون اختراعاً باسمه

عندما أصدرت مجلة «العربي» الكويتية عدداً خاصاً في شهر ديسمبر بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيسها، نشرت في العدد المذكور كشفاً بأبرز العلماء العرب في نصف قرن، تضمَّن ثلاثة عشر اسماً مرموقاً كان اسم عدنان وحُّود من بينها.

فقد أصبح عدد الاختراعات التي سجِّلت باسم عدنان وحّود على المستويات الألمانية والأوروبية والعالمية، أكثر من سبعين اختراعاً، أحدث بعضها ثورة حقيقية في صناعة النسيج، وجعل بصماته تنتشر مع آلات الشركة المصدرة إلى القارات الخمس.

فمن اختراعاته، على سبيل المثال، نذكر اختراعاً لفت أنظار أصحاب الاختصاص في معرض «إيتما» الذي أقيم في بريطانيا في العام 2003م. وقد حمل هذا الاختراع اسم نظام «لينو السهل». والاسم مستوحى من ميزات الآلة الجديدة، والمتمثلة في تسهيل عملية الإنتاج وتخفيض التكاليف ومضاعفة المردود واختصار استهلاك المواد الأولية ورفع مستوى نوعية الخيوط النسيجية فيما يسمى بـ «نسيج الشبكية» الذي يصلح للاستخدام في إنتاج أقمشة الستائر، وأرضية تثبيت السجاد، كما يستخدم في صناعة الأقمشة المكوَّنة من الألياف الزجاجية لواجهات الأبنية، وغير ذلك من المجالات. وكانت الآلات التي تعمل في إنتاج هذا النوع من النسيج لا تصل إلى طاقتها القصوى بسبب صعوبة إنتاجه. فأصبحت قادرة على الاستفادة من تلك الطاقة بشكل كامل، من دون صيانة إضافية للآلات. فاعتبر خبراء هذا القطاع الصناعي الاختراع الجديد مدخلاً إلى قفزة نوعية «تفتح الآفاق أمام عصر جديد في صناعة النسيج» على حد تعبير أحد هؤلاء الخبراء أثناء الاحتفال بمنح جائزة المخترعين للدكتور وحّود، وجائزة الإبداع للشركة بحضور عدد من كبار الشخصيات من القطاعات الصناعية والسياسية والإعلامية.

وفي الشركة التي يعمل بها عدنان، والتي كان يرأسها بيتر دورنييه، صاحب الاختراعات الأولى في صناعة الطائرات العمودية، شملت اختراعات عدنان وحّود خلفية تقنية لمعاملة خيوط النسيج، وتطوير طرق الإنتاج، وتصميم الآلات، وتحسين المواصفات الفيزيائية لقدرات نول النسيج، وإبداع طرق جديدة في الإنتاج.

الوطن في البال.. فعلاً

كان يمكن للمكانة العلمية والاجتماعية التي يحتلها عدنان وحّود اليوم، أن تملأ رأس صاحبها بالرضا والاكتفاء وربما الغرور. فالآلات المتطورة والمبتكرة في واحد من أرقى مصانع العالم، لم تقطع صلة عدنان بالنول العربي الذي نشأ بجواره في دمشق القديمة.

فإضافة إلى ما يشهد عليه انغماسه في الاهتمام بأبناء الجاليات العربية والإسلامية في ألمانيا، وجهوده في تعريف الألمان على الإسلام وتشجيع الحوار الحضاري والثقافي ما بين الأديان، يؤكد الذين يعرفون عدنان وجود رغبة جارفة في أعماقه بألا تبقى إنجازاته موضع تقدير في الغرب فقط، بعيداً عن خدمة بلاده، التي يريد لها أن تستفيد من ميدان اختصاصه.

ولم يتوقف عدنان أمام رغبته هذه، بل حرص على أن يقرنها بأفعال. فقد تردَّد في السنوات الأخيرة أكثر من مرة على مصر. حيث أسهم مباشرة في طرح أحدث التصورات التطبيقية للنهوض بصناعة النسيج المصري وتطويره. ومنذ فترة، صار يتردَّد أكثر من مرة في السنة على موطنه الأصلي سورية. حيث يعمل على الغرض نفسه، تطوير صناعة النسيج في سورية. ويقول الذين يعرفونه ويعرفون جدوى إسهاماته في هذا المجال، إن حصيلة عمله ستظهر للعيان خلال المستقبل المنظور.

وختاماً، نبقى مع الذين يعرفون عدنان وحّود عن قرب، والذين يجمعون على أن أبرز ما في شخصية هذا الرجل ليس في اختراعاته، بل هو في وجهه الإنساني ودماثة خلقة، ولطف معشره. ولعل خير ما يعبِّر عن هذا الوجه بالنسبة إلى من لم يتعرف إلى عدنان وحّود شخصياً هو ما جاء في إهداء سيرته الذاتية «عوالم من دمشق»، حيث يقول: «إلى كلّ إنسان يقدّر عمل إنسان آخر، مهما صغر هذا العمل، كمثل أن يقوم الإنسان ببيع الخضراوات، ليكسب بذلك قوت أبنائه.. إلى كلّ إنسان يقدّر عمل إنسان آخر، مهما كبر هذا العمل، كمثل أن يقوم الإنسان بإدارة شؤون البلاد.. إلى كلّ إنسان يُدين أن يُسلب حقّ، كمثل أن يُسلب بائع الخضراوات خضراواته.. إلى كلّ إنسان يدين أن يُسلب حقّ، كمثل أن تُسلب أرض، أو يُهدم بيت..».



مسيرة الفن التشكيلي السعودي

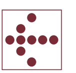
أربعة أجيال فنية خلال نصف قرن



غالباً ما تردنا أخبار الحركة التشكيلية في المملكة بشكل متقطِّع، وتقتصر على أوجه من النشاط معينة ومتفرقة، أو موسمية في أحسن الأحوال، الأمر الذي لا يكفي لرسم الصورة الشاملة لمسيرة الفن التشكيلي في بلادنا، فتبقى هذه الصورة بكل ما فيها من تعب ومنجزات غائبة عن أذهان الكثيرين من غير المتابعين.

الصحافية السعودية ابتسام محمد تجمع هنا كل المفاصل الرئيسة في مسيرة الفن التشكيلي السعودي منذ بداياته في ستينيات القرن الماضي وحتى اليوم، متوقفة بشيء من التفصيل أمام تكاتف الرعاة العديدين من جهات رسمية وخاصة على دعم الفنانين والنهوض بالحركة التشكيلية لتصل إلى ما هي عليه في يومنا هذا.

لوحة من أعمال الفنان زمان جاسم



فـي غضون سنوات قليلة، خطا الفن التشكيلي السعودي خطوات سريعة وواسـعـة، وذلـك بفضـل تشجيـع جهـات عديـدة للفنانيـن التشكيلييـن الذيـن واجهوا عقبات كثيرة في بدايـة مشوارهم الفني، ولولا إصرارهم ومثابرتهم ما كان مجتمعنا يدرك أهمية هذا الفن الذي كان غريباً نوعاً على بيئتنا السعودية وبات اليوم جزءاً أساسياً من حياتنا الثقافية.

جيل الروَّاد في الستينيات

لقد نشـأ الفن التشكيلي في المملكـة بجهود فردية على يد عـدد قليل مـن الفنانين. ويُعـد الفنـان عبدالحليم رضوي مـن أوائل الروَّاد فـي هذا المجال، حيث أقـام أول معرض فني في المملكـة، وكان ذلك في جدة عام 1964م ولم يكن مسبوقاً بأية معارض شخصية أو مشتركة ما عدا المعارض التي تقيمها وزارة المعارف أو إدارات التعليم للطلاب. وقد كان هـذا المعرض البذرة الأولـى التي علـى إثرها قررت الدولـة ابتعـاث رضـوي لدراسة الفـن في الخـارج، فكان بذلك أول سعـودي يبتعث لدراسة الفـن. وقد كانت دراسة الفــن في الخارج خطـوة جريئة آنـذاك، لأن كل المبتعثين كانـوا يدرسـون الطـب والفيزيـاء والهندسـة وغيرها من الاختصاصـات الواعـدة بمستقبـل أفضل مـن وجهة نظر الكثيرين في ذلك الحين.

شـارك رضـوي أثنـاء دراستـه فـي إيطاليا، فـي معارض جماعيـة أقيمـت هنـاك. وعندمـا عـاد إلـى المملكة عام 1964م بعـد إتمام دراستـه، أقام معرضـاً فردياً بجدة ثم فـي الرياض فالظهـران عام 1966م. وتبعـه الفنان محمد السليـم بمعرضـه الأول بالرياض سنـة 1967م، وهو ثاني فنانـي المملكة الذين يقيمون معرضاً شخصياً بعد رضوي. وقـد كان السليم يعمل مدرِّساً لمـادة التربية الفنية ببلدته «مـرات»، ثم أصبح مفتشاً للتربية الفنية بوزارة المعارف، ثـم انتقـل عـام 1969م إلـى وزارة الإعلام ليعمـل كرسام مناظـر بتلفزيـون الرياض إلـى أن ابتعث عـن طريقه إلى إيطاليا في العام نفسه لدراسة الفن هناك.

انطلاقة الحركة التشكيلية في المملكة

عندما خرَّج معهد التربية الفنية في الرياض أولى دفعاته سنة 1968م؛ مهّـد لانطلاقة حركة تشكيلية وليدة في المملكة، إذ تزايد عـدد الفنانين الذين أخذوا علـى عاتقهم النضال من أجل تعزيز مكانة الفـن التشكيلي وزيادة الوعي بأهميته، من خلال إقامة المعارض الفردية والجماعية بدعم من الرئاسة العامـة لرعاية الشبـاب. فأقامـت الفنانتان صفيـة بن زقر ومنيرة موصلي معرضاً مشتركاً عام 1968م، وقد كانت صفية أول فنانـة سعوديـة تتلقى تعليماً أكاديمياً فـي فن الرسم. إذ تلقـت دراستها في القاهرة مثل منيرة، ولكنها سافرت لاحقاً إلـى بريطانيا، حيث حصلت على دبلـوم دراسات فنية حرة. أمـا منيرة فقـد حصلت على دبلـوم في فـن الغرافيكس من الولايات المتحـدة الأمريكية فيما بعد، وقد كانت أكثر تمرداً من صفية التي تأثرت بالانطباعيين واهتمت بالواقعية.



ثم توالت المعارض فأقام بكر شيخون بالاشتراك مع اثنين مـن زملائه معرضـاً مشتركاً بجدة. وشـارك عبدالرحمن السليمان وعلـي الدوسري في معرض أقامـه نادي الاتفاق بالدمـام. وشهـد العـام 1972م أول معـرض جماعي أقيم للفنانيـن الذين عادوا مـن الجامعات الإيطاليـة بمشاركة كبـار الرسامين الإيطاليين، ثم أقامـت جامعة الملك فهد للبتـرول والمعادن في نفس العـام معرضها الفني بمشاركة عبـدالله المـرزوق وأحمـد المغلـوث وكمال المعلـم وعلي الدوسري. كما أقـام عبدالجبار اليحيا، وهو محرر صفحة



أعلى: طه صبان.
يمين: لوحة للفنانة صفية بن زقر «الزبون». يمين أسفل: كتب من نشر مؤسسة المنصورية للفنانة شادية عالم والفنان فيصل السمرة

الفنون التشكيلية بجريدة المدينة، معرضه الأول عام 1973م بجدة، ثم تبعه عبدالله حماس بأول معارضه أيضاً في الرياض سنة 1974م.

قبل انطلاقة الحركة التشكيلية في المملكة، اتخذت الدولة خطوات تدريجية لترسيخ مفهوم الفن التشكيلي واعتباره فناً له أهميته كغيره من الفنون. فقد أصدرت وزارة المعارف قراراً عام 1957م باعتماد مادة الرسم ضمن المواد الدراسية المقررة في المرحلة الثانوية وبعض المعاهد. وبالرغم من أهمية هذا القرار، إلا أن هناك مصادر تشير إلى وجود تاريخ أقدم من هذا حينما كانت مادة الرسم ضمن المواد المقررة على طلبة المدرسة الخيرية العارفية التي أسسها الشيخ محمد حسين خياط بمكة المكرمة عام 1908م. وهناك مصادر تشير إلى أن مادة الرسم حذفت ومواد أخرى من المرحلة التحضيرية سنة 1929م وإن اقتصر ذلك على منطقة الحجاز وقتها.

بعد اعتماد مادة الرسم ضمن المواد الدراسية المقررة في المرحلة الثانوية وبعض المعاهد عام 1957م؛ عممت هذه المادة على جميع المراحل الدراسية بالمملكة سنة 1958م، وتم افتتاح معرض جماعي لجميع مدارس المملكة بمبنى وزارة المعارف، ثم أضيفت مادة الأشغال اليدوية إلى مادة الرسم لتصبحا مادة واحدة وهي مادة «التربية الفنية»، وخصص لها حصتان أسبوعياً بدلاً من واحدة.

وفي عام 1962م، بدأت وزارة المعارف بتنظيم دورات تدريبية لمدرسي التربية الفنية صيف كل عام. كما افتتحت معهد التربية الفنية عام 1965م بالرياض، ثم مركز الفنون الجميلة بجدة كمرسم ومعرض تشكيلي دائم، وأنشأت أقساماً للتربية الفنية بكليات التربية بجامعات المملكة عام 1976م، إضافة إلى أنها أتاحت الفرصة للكثير من الفنانين لمتابعة دراساتهم العليا للفن بالخارج، في كل من مصر وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، ليعودوا لاحقاً إلى المملكة ويواصلوا رسالتهم.

واقعية البدايات

تميزت أعمال الجيل المؤسس للحركة التشكيلية بالمملكة في البدايات بالواقعية، حيث كانت الطبيعة والبيئة المحلية والتراث هي الموضوعات السائدة حينئذ، خاصة في أعمال رضوي والسليم. ولكن بعد إكمال دراستهما للفن وعودتهما من إيطاليا، تغيَّرت طريقة رسمهما للمشهد البيئي، وتنوعت التقنيات والموضوعات في أعمالهما بتجديد وتطوير أدواتهما الفنية، مهما كان المشهد بسيطاً أو مألوفاً. أما صفية بن زقر فقد كانت تجاربها محدودة في تسجيل الواقع الحياتي المندثر للمنطقة الغربية. ورغم التطور في صياغة وتنفيذ العمل، إلا أنها توقفت عند تسجيل ما تراه في مجتمعها، بعكس منيرة التي وجدت ضالتها في تجاوز الحدود المرسومة لتنطلق إلى مناطق أكثر حرية، مع الأخذ بالاعتبار التأثير الذي تحدثه الكلمات. فأسماء أعمالها تحمل توجهاً أدبياً لافتاً مثل (الانعتاق، أمواج بلا بحر، لأطفال هذا الجيل) وغيرها.. وهكذا نجد أن الجيل المؤسس للحركة التشكيلية بالمملكة، مهَّد الطريق للأجيال اللاحقة، وشكَّل التراث، كما البيئة المحلية، بداية جيدة لكل مبتدئ، وموضوعاً شيقاً لكل متمرس إذا ما أحسن استخدام أدواته وابتعد عن التقليدية وجارى عصره بالتجديد والابتكار.



الفنان عبدالله حماس في مرسمه

ولكن ما بين الجيل المؤسس وجيل اليوم، حظيت مسيرة الفن التشكيلي في المملكة برعاية جهات عديدة، لعبت أدواراً تستحق الإشارة إليها.

مؤسسات رائدة في دعم الحركة التشكيلية السعودية

تُعد وزارة المعارف أول مؤسسة حكومية اهتمت بالفن التشكيلي، من خلال البرامج وأوجه النشاط التي قدمتها، والتي كان لها دور كبير وفاعل في دعم الفنانين. وتمثل ذلك في توفير الخامات والأدوات بلا مقابل لطلاب معهد التربية الفنية بالرياض، ولأقسام التربية الفنية بكليات المعلمين، والتعليم العام في مختلف المناطق التي كانت تمثل -حتى فترة قريبة- الجهة الوحيدة في المملكة التي تقدم مواد تعليمية أكاديمية في الفن، بالإضافة إلى دورها الفاعل في ابتعاث عدد من المدرسين لاستكمال دراستهم في الخارج.

ويتمثل الدور الذي قامت وما زالت تقوم به الرئاسة العامة لرعاية الشباب، في الخطط السنوية التي تشتمل على معارض وفعاليات عدة تهتم بالفن التشكيلي سواء كانت هذه المعارض فردية أم مشتركة، داخل المملكة أم خارجها. كما افتتحت مراسم عديدة في مكاتبها وفي الأندية الرياضية مما أتاح الفرصة لمحبي الفن على اختلاف مستوياتهم ممارسة هواياتهم في تلك المراسم، بالإضافة إلى استضافتها لفنانين عرب وأجانب من مختلف أنحاء العالم.

وعندما تأسست الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون عام 1973م؛ كانت أهدافها تتلخص في خدمة الثقافة والفن، وتشجيع المواهب الشابة والكوادر الفنية ورعايتها. فأقامت الجمعية فروعاً لها في جدة والدمام والأحساء إلى جانب المركز الرئيس في الرياض، لتمارس أعمالها بإشراف فنانين متخصصين من خلال مراسم أعدتها لهذا الغرض، بالإضافة إلى المعارض والمناسبات الفنية والندوات والمؤتمرات والتي أتاحت الفرصة لتواصل الفنانين مع بعضهم البعض، وتبادل الآراء والنقاشات التي أثرت الساحة الفنية وما زالت.

وأسهم الحرس الوطني بدوره في خدمة الفن التشكيلي من خلال المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالجنادرية، حيث تقام فيه معارض سنوية منذ العام 1985م وحتى الآن. ويدعى إلى المهرجان الفنانون والفنانات السعوديون للمشاركة في المعرض. كما تقام ندوات ومحاضرات يدعى إليها فنانون وباحثون عرب للمشاركة بها، وقد شارك عدد من الفنانين في تنفيذ لوحات جدارية على جدران صالة الفنون التشكيلية بالمهرجان، الذي أصدر مطبوعات عديدة حول الفن التشكيلي في المملكة.

من جهتها، تشرف أمانات بعض المدن على تنفيذ مجسمات جمالية وأعمال جدارية في الشوارع والساحات العامة، حيث تتوزع المجسمات والمنحوتات في مدن عدة كجدة والرياض والخبر والمدينة المنورة وأبها والمنطقة الشرقية وغيرها، لتجميلها من جهة ولتشجيع الحركة الفنية من جهة أخرى.

ومن كبار داعمي الحركة التشكيلية في المملكة، نذكر أيضاً أمارة منطقة الرياض التي نظَّمت معرض «المملكة بين الأمس واليوم» بالتعاون مع أمانة مدينة الرياض ومع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ويُعد هذا المعرض إحدى المناسبات المهمة التي تعرِّف الآخرين بتاريخ المملكة وحاضرها، من خلاله طوافه بدول مختلفة كألمانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وغيرها. وطبعت المنشورات المعرِّفة بالمعرض بعدة لغات، كما طبعت لوحات لفنانين تشكيليين ووزعت وقت افتتاح المعرض.

أما الخطوط الجوية العربية السعودية فتنظِّم مسابقة «ملون السعودية» التي بدأت في عام 1992م والتي تقام كل عامين، وقد جاءت فكرة المسابقة بعد مشاركة الخطوط الجوية العربية السعودية في معرض عالم الطفل الذي أقيم في مركز جدة الدولي عام 1990م. وقد حققت المشاركة آنذاك نجاحاً لفت انتباه مدير عام التنمية وتطوير المبيعات الذي قام بطرح الفكرة للتطبيق والتنفيذ. فخرجت بذلك المسابقة الأولى للفن التشكيلي في عام 1992م تحت عنوان «التراث والحضارة». وفتحت أبواب المشاركة في تلك المسابقة لفناني المملكة السعوديين والمقيمين، ورصدت لها مائة جائزة. وبعد النجاح التي حققته المسابقة الأولى؛ تقرر أن تقام المسابقة كل عامين وتكونت لجنة عليا للإعداد والتحضير لها، ونفذ الفنان محمد الزهراني شعار المسابقة وأطلق عليها اسم «مسابقة ملون» التي تخصص جوائز مالية للفائزين أو تذاكر سفر، وتقوم بطباعة الأعمال الفائزة على بطاقات أو تقاويم تعرض في مكاتبها وتوزع على عملائها، وتستضيف فنانين لتحكيم المسابقة ولإقامة الندوات الفنية.

وفي إطار اهتمامها بدعم التنمية الاجتماعية، كان لأرامكو السعودية دورها البارز في دعم الحركة التشكيلية في المملكة، ولا سيما على صعيد تشجيع المواهب الفتية. فإضافة إلى إسهاماتها في دعم الفنانين بشراء أعمالهم، وإقامة معارض فنية لمنسوبيها، فقد أقامت الشركة مسابقة سنوية لرسوم الأطفال على مستوى المملكة خصصت لها مبالغ وجوائز مالية قيِّمة، بهدف صقل مواهب أطفال المملكة في مجالي الفن التشكيلي والزخرفة.

بدأت مسابقة أرامكو السعودية السنوية لرسوم الأطفال منذ عام 1980م، وهي لا تقتصر على مدارس المدن الكبيرة بل





من اليمين لليسار: لوحة للفنان محمد الغامدي وصورة للفنان عبدالعزيز عاشور

تمتد لتشمل المدارس المنتشرة في القرى النائية مما جعل أعداد المشاركين فيها تزداد سنة بعد أخرى.

وأسست صاحبة السمو الملكي الأميرة جواهر بنت ماجد ابن عبدالعزيز آل سعود مؤسسة المنصورية لدعم الإبداع في المملكة العربية السعودية، ولإتاحة التواصل بين الثقافة وجمهورها.

تتكون المنصورية من هيئة عامة تضم مجلساً تأسيسياً، ومجلس أمناء، ومجلساً استشارياً، يضم مجموعة من الخبراء العالميين والفنانين والمثقفين العرب. وقامت المؤسسة بعدد من الأعمال التي تخدم المسيرة الفنية في المملكة، كرعاية معارض تشكيلية لفنانين سعوديين مثل شادية عالم، وعبدالله حماس، وفيصل السمرة. وأقامت مهرجاناً للفن التشكيلي تحت اسم «الفن للجميع». كما أصدرت منشورات فنية رافقت بعض المعارض كمعرض «رؤى سعودية» المقام لاختيار أفضل عمل فني يمثل المملكة على إحدى طائرات الخطوط البريطانية. وقد قامت المنصورية في السنوات الأخيرة باقتناء كل ما تراه من أعمال جيدة لإتاحة الفرصة لها للعرض خارج المملكة، مثل أعمال الفنان مهدي الجريبي والفنان عبدالله حماس.

أما دار صفية بن زقر فهي متحف دائم للأعمال الفنية الخاصة بالفنانة التشكيلية صفية بن زقر، هذا إلى جانب مقتنيات ذات علاقة بالتراث السعودي. يتكون المتحف من طوابق وقاعات عديدة، خصصت كل قاعة لتمثيل موضوع فني أو تراثي محدد، كمراسم الزفاف قديماً، وألعاب الأطفال الشعبية، والصيد، والملابس التراثية القديمة، والأعمال اليومية والحِرف الشعبية، وأنماط العمارة القديمة في مناطق المملكة المختلفة. كما ضمت قاعة منفصلة بعض الدراسات التشريحية والرسوم الأولية التي نفذتها الفنانة، إضافة إلى قاعة القبة المجهَّزة للعروض الفنية الدورية، وقاعة لتسويق بعض مستنسخات أعمال الفنانة، بالإضافة إلى مرسم ومكتبة خاصة بالفنانة، ومكتبة أطفال، ومكتبة مرئية، ومجلس مصمم على الطراز القديم.

وأسهمت دار الفنون السعودية التي أنشأها الفنان محمد السليم عام 1980م، في تطوير الحركة الفنية من خلال إقامة معارض لفنانين تشكيليين سعوديين إلى جانب فنانين عرب وأجانب، وذلك في الصالة العالمية التابعة للدار، مع تقديم الجوائز المادية للمشاركات المتميزة.

وفي عام 1993م، تأسس في جدة «بيت التشكيليين»، ومن أهدافه أن يكون وسيلة اتصال بين الفنانين التشكيليين والجمهور، وإقامة المعارض الفردية والجماعية، الداخلية والخارجية، واستضافة معارض لفنانين من خارج المملكة، وتنظيم ورش عمل فنية للفنانين والهواة الناشئين.

وفي مدينة أبها، أقيمت في العام 1989م قرية المفتاحة التشكيلية التي تضم مراسم للفنانين وصالات عرض وحوانيت للفنون التقليدية. وهي تتكون من اثني عشر جناحاً، يضم كل منها مرسماً مجهزاً بالإضافة إلى ملحقاته من غرف للنوم والمعيشة، إضافة إلى صالات العرض، والمكتبة، والأسواق الشعبية. وتستقطب القرية عدداً من الفنانين المحليين لزيارتها والإقامة فيها، خاصة خلال فصل الصيف. كما تنظم العديد من الدورات والمعارض المختلفة. وقد بدأت القرية إقامة دورات متخصصة للموهوبين في مجال الفن التشكيلي منذ عام 2000م.

وللإعلام دوره أيضاً

كما أسهمت الصحافة السعودية في تشجيع الفنانين ودعمهم من خلال تخصيص صفحات تعرض الأعمال



الفنيــة وتنقدها وتحللها، وهي التي كانـت قد تابعت الكثير من أوجه النشاط والمعارض منذ أن نشأ الفن التشكيلي في أوائل الستينيات الميلادية وحتى الآن.

مــن جهته يهتم التلفزيون السعــودي بقناتيه الأولى والثانية بتغطية الأحداث والنشاط الفني. فخصص ضمن برامجه فقرات لإجــراء لقــاءات بالفنانين التشكيليــين وتقديمهم للجمهور. كما خصصت الإذاعة برامج بأكملها تعنى بالفن التشكيلي، مثل برنامج «المجلة التشكيلية» الذي أعده الفنان عبدالرحمن السليمان. كما تعمل دائماً على تغطية النشاط الفني وإجراء حوارات متنوعة مع فنانين من مختلف أنحاء المملكة.

وبالإضافــة إلــى الجهــات السابقــة؛ فهناك جهــات أخرى وصالات عرض، بعضها أنشئ حديثاً، أسهمت في دفع حركة الفن التشكيلي بالمملكة، مثل أتيليه جدة والمركز السعودي للفنــون التشكيليــة والقاعة العالمية للفنــون بجدة وروشان للفنــون الجميلــة ومعهــد الإدارة العامــة والهيئــة الملكيــة بالجبيــل وينبع، مــن خلال إقامــة المسابقــات والمعارض التشكيلية ضمن نشاطاتها الثقافية التي ما زالت تقوم بدور مهــم في اكتشاف وتنمية المواهب الجديدة والتي تنبئ عن مستقبل واعد للفن التشكيلي في المملكة.

فنياً.. أربعة أجيال

كمــا أسهــم هــذا الدعــم الكبير، في بــروز عــدد كبير من الفنانيــن التشكيليــن السعوديين الذين يمكــن تصنيفهم حســب بروز عروضهم الفردية أو مشاركاتهم في المعارض الجماعيــة بغض النظر عــن أعمارهــم، في أربعــة أجيال تبــدأ بجيل الستينيات الميلادية ثــم الجيل الثاني وهو جيل السبعينيــات، ثم الجيل الثالث جيــل الثمانينيات، ورابعهم جيل التسعينيات الميلادية.

يضم الجيل الأول عدة أسماء ذكرت سابقاً مثل عبدالحليم رضــوي، عبدالرشيــد سلطان، عبدالعزيــز الحماد، محمد السليــم، صفيــة بــن زقــر ومنيــرة موصلــي.. وقــد واجــه الجيــل الأول صعوبــات وعقبات كثيرة، حيــث قوبل بعضهم باللامبالاة والسخرية، حتى أن رضوي عندما أقام معرضه الأول عــام 1964م بجــدة لــم يحضــره ســوى شخصيــن. وعندما أقام عبدالعزيــز الحماد أيضاً معرضه الأول في الدمام لــم يحضره أحد فعمد إلــى تمزيق لوحاته من شدة الإحباط، ولكنه أصر علــى المواصلة وأقام بعده ثلاثة معارض في أقل من عامين.

أما الجيــل الثاني، جيل السبعينيــات الميلادية، فقد استفاد من تجارب الجيل الأول الفنية، وبرزت مشاركاته بدعم من الرئاسة العامة لرعاية الشباب ومن الجمعية العربية السعودية للثقافــة والفنون، فأثرى الساحة الفنية بتجارب وأعمال غنية ومتنوعة ومتعددة المصادر والمشارب. ومن فناني هذا الجيل محمد الرصيص، طه صبــان، محمد المنيف، يوسف جاها، علي الرزيزاء، سليمان باجبــع، أحمد المغلوث، عبدالرحمن السليمان، عبدالله حماس وحمزة باجودة وكثيرون غيرهم.. ويُعــد هذا الجيل طاقــة الحركــة التشكيلية فــي المملكة، إذ أغنــى الساحــة الفنية بنتاجاته ومشاركاتــه التي انطلقت في جميع أرجاء المملكــة، وبدأ من هنا الاهتمام بالبحث والعمل على قاعدة من المعرفة الفنية والأكاديمية.

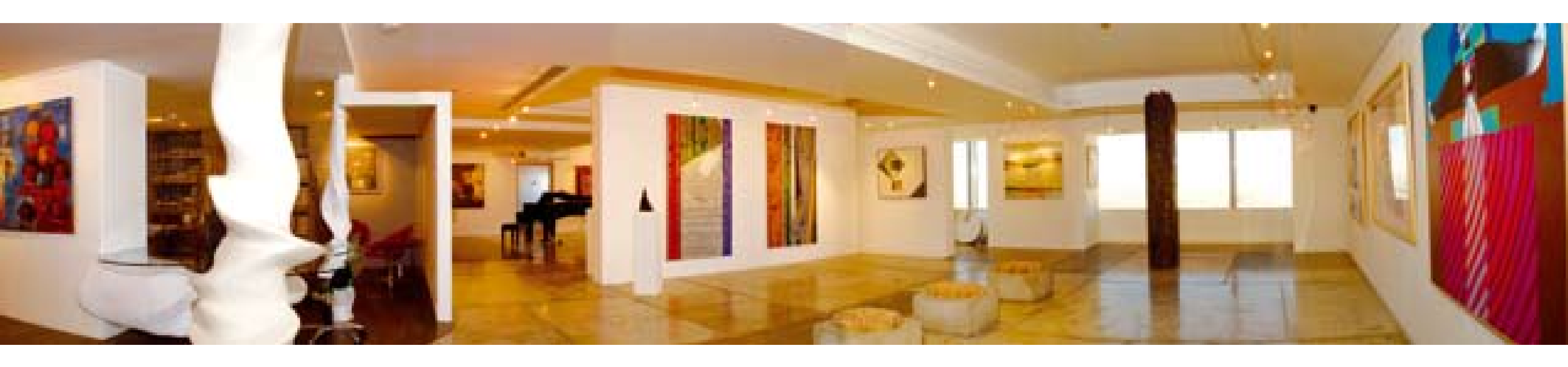
وواصل الجيل الثالث جيل الثمانينيات الميلادية العمل بجد ومثابــرة اقتداءً بالجيل الذي سبقه. وينتمي إلى هذا الجيل عبدالعزيز عاشــور، خالد العويس، تركي محمد الدوسري، اعتدال عطيــوي، نوال مصلي، عبدالعظيم الضامن ويحيى شريفي.

أما الجيل الرابع جيــل التسعينيات الميلادية فقد أتى أكثر تمــرداً في محاولته التفرد وإبــداع شخصية مستقلة خاصة به، ومــن أسمائه المعروفة شادية عالــم، مهدي الجريبي، زمان جاسم ورضية برقاوي.

كل الأساليب.. كل الموضوعات

يلاحــظ كل من يتتبــع الحركة التشكيلية فــي المملكة مدى تنــوع أساليبها الفنية بين الواقعية والانطباعية والتجريدية والتعبيريــة والسرياليــة والتكعيبيــة. أمــا بالنسبــة إلــى الموضوعــات التــي يتناولها الفنانون فقــد باتت على درجة كبيرة من التلون. فبعدما كانت أعمال الفنانين في البدايات تقتصــر علــى استلهــام البيئة المحليــة ومحاولــة محاكاة الطبيعــة، بــدأت الاستفــادة من الزخــم الكبيــر للموروث الشعبــي بالمملكة وما تزخر به من تــراث إسلامي رائع تم توظيفــه في أعمال تقوم على الابتكار والتجديد والمعاصرة

منحوتة من
عمل الفنان
كمال المعلم





أعلى: حوار جاليري
يسار: من أعمال الفنان عبدالعزيز عاشور

مع اعتزاز واضح بالهوية العربية. وقد صنفت الموضوعات التي خاضها الفنانون السعوديون كالآتي:

- الموضوعات الإسلامية: وتتضمَّن أشكالاً ذات صلة بالحضارة الإسلامية كالمآذن والقباب والكعبة المشرفة والحرم النبوي الشريف والزخرفة الإسلامية...إلخ.
- الموضوعات الطبيعية: وتتضمَّن تعبيراً عن كل ما ينتمي إلى الطبيعة من مشاهد خارجية وطبيعة صامتة، إضافة إلى فن المعمار والمركبات والصناعات الحديثة.
- الرسوم الشخصية: سواء أكانت تمثل شخصيات وطنية وعامة، أو بعض معارف الفنانين وأترابهم، أو صوراً ذاتية تمثلهم هم.
- الموضوعات الشعبية التراثية: وتتضمن أشكالاً مرئية شعبية كالبيوت الشعبية والرقصات والحِرف اليدوية والحروف العربية والعادات والاحتفالات التقليدية.

وقد صنِّف الفنانون المهتمون بالتراث إلى ثلاثة اتجاهات:

- الاتجاه التركيبي، حيث يقوم الفنان بتركيب عدة مفردات للبيئة والتراث بما يشبه الكولاج، ولكنه يتميز بالمزج بين المفردات بحيث تكون وحدة متكاملة للعمل الفني، ومن الذين تميزوا بهذا التوجه عبدالحليم رضوي، طه الصبان وعبدالرحمن السليمان.
- الاتجاه التجريدي الزخرفي، وفيه يتم تناول الوحدة الزخرفية بحس تجريدي أبعد ما يكون عن التكرار المنتظم، بحيث يتكون العمل من أجزاء واضحة وبارزة في شكل أقرب إلى الحفر النافر، ومن هؤلاء الفنانين بكر شيخون، علي الرزيزاء وسليمان باجبع.
- الاتجاه الخطوطي، وفيه يستخدم الخط العربي والوحدات أو المفردات الشعبية في تأثر واضح ببعض الفنانين العرب، ويسعى الفنان من خلال هذا الاتجاه إلى تكوين شخصية خاصة به، مثل عبدالله الشيخ، عبدالرحمن السليمان، عبدالله حماس وناصر الموسى.

فن النحت والمجسمات

وتبقى الإشارة أخيراً إلى فن النحت، الذي يشكِّل جزءاً أساسياً من الفن التشكيلي في كل الثقافات. فعندما بدأت الرئاسة العامة لرعاية الشباب تنظيم المعارض الفنية بشكل دوري ومتكرر، بدأ الفنانون الاهتمام بالأعمال الخزفية والنحت. وكان لتخصيص جائزة تحت مسمى «جائزة الفن التطبيقي والمجسمات» من قبل رعاية الشباب دور كبير في تشجيع الفنانين على التوجه إلى هذا المجال. فقدمت أعمال كثيرة من الخزف أو النحت أو غيرها، استخدمت فيها خامات مختلفة كالحديد والمعادن والأخشاب، وتناولت موضوعات متنوعة. وتعززت المشاركات الداخلية والخارجية في مجال النحت والمجسمات، وحصل بعض الفنانين السعوديين على جوائز عالمية، مثل الجائزة التقديرية في «بينالي الشارقة الأول» التي حصل عليها الفنان علي الطخيس عام 1993م.

فبشكل عام، يمكن القول إن فناني الساحة التشكيلية في المملكة قد برزوا بأعمال فنية احتفظت بهويتها الشرقية، وتميزت بانتمائها الواضح إلى الموروث الثقافي إلى المكان والطبيعة والحرف والملامح والجدران، وحتى إلى الرائحة التي تشتم منها الروح العربية الأصيلة رغم حداثتها ومعاصرتها.

ديوان الأمس

ديوان اليوم



يستضيف هذا الباب المكرّس للشعر قديمه وحديثه في حلته الجديدة شعراء أو أدباء أو متذوقي شعر. وينقسم إلى قسمين، في قسمه الأول يختار ضيف العدد أبياتاً من عيون الشعر مع شروح مختصرة عن أسباب اختياراته ووجه الجمال والفرادة فيها، أما الثاني فينتقي فيه الضيف مقطعاً طويلاً أو قصيدة كاملة من أجمل ما قرأ من الشعر.. وقد يخص الضيف الشاعر القافلة بقصيدة من آخر ما كتب.



ضيف العدد

الشاعر أحمد علي المنعي

مهندس كهربائي من مواليد تبوك 1402هـ. حاصل على عدد من الجوائز الأدبية. شارك ضيفاً في إحدى أمسيات نادي المنطقة الشرقية الأدبي سنة 1425هـ، وفي الأحساء 1426هـ، وفي أمسية قصور الثقافة بكفر الشيخ بمصر عام 1428هـ. نشر في بعض الصحف المحلية.

ويسألونك.. عن روح الشعر

كلما أفقت من نشوة قصيدة، سألتُ سؤال المفتون الجاهل، أي شيء في الشعر يأخذ باللب فيأسره، ويعزف على وتر الروح فتخف وتتعب؟ ففي الشعر أسرار لم يكشف أستارها أحد، ولم يعرف كنهها أحد، وبعد كل سؤال، أجدني هارباً إلى حقيقة لا تجيبه لكنها تسكته عني.. فهل لي أنا أحاول الإجابة هنا؟

الشعر الحياة والموت.. وتعلق الكلمة بروح قائلها مسيراً ومصيراً، مات ابن زريق غماً -في قصته المعروفة- وترك بجانبه روحه مكتوبة في قصيدة، يناجي فيها زوجته التي أحب، وقد منعته من السفر فلم يطعها، يتيمة ابن زريق هذه كأنها السفود وكأن روحه القطن، تجد في طرف كل بيت منها علائق من روحه الممزقة:

لا تَعذَليه فَإِنَّ العَذلَ يُولِعُهُ   قَد قُلتِ حَقاً وَلَكِن لَيسَ يَسمَعُهُ
جاوَزتِ في لومه حَداً أَضَرَّبِهِ   مِن حَيثُ قَدرتِ أَنَّ اللوم يَنفَعُهُ
فَاستَعمِلي الرفق في تَأنيبِهِ بَدَلاً   مِن عَذلِهِ فَهُوَ مُضنى القَلبِ مُوجَعُهُ
قَد كانَ مُضطَلَعاً بِالخَطبِ يَحمِلُهُ   فَضُيِّقَت بِخُطوبِ الدهرِ أَضلُعُهُ
يَكفيهِ مِن لَوعَةِ التَشتيتِ أَنَّ لَهُ   مِنَ النَوى كُلَّ يَومٍ ما يُروعُهُ
ما آبَ مِن سَفَرٍ إِلّا وَأَزعَجَهُ   رَأيٌ إِلى سَفَرٍ بِالعَزمِ يَزمَعُهُ
كَأَنَّما هُوَ في حِلٍّ وَمُرتَحلٍ   مُوَكَّلٍ بِفَضاءِ اللَهِ يَذرَعُهُ

****

والشعر الغضب.. وأشد الغضب ما كان مزاجه القهر، انفجر به شاعر العرب الجواهري، راثياً أخاه جعفر إثر مقتله:

أتعلَمُ أمْ أنتَ لا تَعلَمُ   بأنَّ جِراحَ الضَّحايا فَمُ
فَمٌ ليسَ كالمُدَّعي قَولَةً   ولَيسَ كآخَرَ يَستَرحِمُ
يَصيحُ على المُدقِعينَ الجِياعِ   أريقُوا دماءَكُمُ تطعَمُوا
ويهتِفُ بالنَفَرِ المُهطِعينَ   أهينُوا لئامَكُمُ تكرمُوا

****

الشعر العراق.. تعانقا معاً قبل أن يعرف التاريخ نفسه، فثمّ حضارة الكلمة التي لا تموت، ولقد تفنن فيها أهل العراق فصاروا في ذلك قبلة، حتى كأن كلّ عراقي شاعرٌ طبعاً، ليحيى السماوي في إطلالته على السماوة بعد عقدين من اغترابه، من قصيدته (يا صابراً عقدين):

لا يُخطئُ القلبُ الترابَ.. شَمَمْتُه   فتَعَطَّرتْ بطيوبه نَبضاتي
وهناك بُستان «الإمامي» والذي   عَشقَتْ نُعومَةَ طينِه خطواتي
النَخلُ نَفْسُ النَخلِ..إلا أنَّه   مُستَوحشُ الأعذاقِ والسَعفاتِ
لكأنَّ سَعفَ النَخلِ حَبلُ مَشيمَةٍ   شُدَّتْ بِه رُوحي لِطينِ فُراتِ

****

والشعر الصورة.. أبصرها البردوني وهو الكفيف فكأنه بها أبصر العالمين :

وكأنّ رُوحي شُعلةٌ مجنونةٌ   تَطغَى فتُضرمُني بما تتَضرَّمُ
وكأنّ قلبي في الضلوعِ جَنازةٌ   أمْشي بها وَحْدي و كلّي مَأتَمُ
أبْكي فتبْتَسمُ الجِراحُ مِنَ البُكا   فكأنّها في كلِّ جارِحَةٍ فَمُ

****

وفي ذلك أيضاً، بيت بشار بن برد الأعمى كذلك، وهو يصور مشهده الخالد بـ «كاميرته»، ويرسمها بكلمته:

كأنّ مثارَ النَقْعِ فوقَ رُؤوسنا   وأسيافَنا لَيلٌ تهاوى كَواكبُهْ

****

والشعر الإحساس بالأرواح، عذاباتها وسرورها، تلبّس هاشم الرفاعي -وهو اليافع العبقري- روح اللاجيء الهرم، وهو يوصي ابنه:

أنا يا بُنيّ غداً سيطويني الغَسَقْ   لمْ يَبقَ مِنْ ظلّ الحياة سوى رَمَقْ
فإذا نَفَضْتَ غُبارَ قَبْري عَنْ يَدِكْ   ومَضيتَ تلتَمسُ الطريقَ إلى غَدِكْ
فاذكرْ وصيةَ والدٍ تَحْتَ التُرابْ   سلبُوهُ آمالَ الكهولةِ والشبابْ

****

والشعر إحياءٌ بعد موت، وانتصار بعد هزيمة، صُلب الوزير ابن بقية ميتاً، فكانت قصيدة الأنباري في رثائه حياة له بعد هلاك، وخلوداً بعد فناء، وما ذلك لولا عبقرية الأنباري، وهو يجعل لكل صورة معنى ممجداً، وقيمة كريمة:

عُلُوٌّ في الحياة وفي الممات؟! لحقّاً أنتَ إحْدى المُعجزاتِ
كأنّ الناسَ حَوْلَكَ حينَ قامُوا وفُودُ نَداكَ أيّامَ الصِّلاتِ
كأنّكَ قائمٌ فيهمْ خَطيباً وكلُّهُمُ قِيامٌ للصّلاةِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ احْتفاءً كمَدّهِما إليهمْ بالهِبَاتِ
ولما ضاقَ بَطْنُ الأرْضِ عنْ أنْ يَضُمَّ عُلاكَ مِنْ بَعْدِ الوَفاةِ
أصاروا الجوّ قبْرَكَ واستعاضُوا عَنِ الأكفانِ ثَوْبَ السّافياتِ

****

والشعر الفكرة.. لا شيء إلا الدهشة بين يدي ابتكار مُحدث، كالإلهام يلقيه الله في الشاعر فيخرج على الدنيا بما لم تسمع به من قبل من ظريف القول وجديده، وللعشاق في ذلك فن، من ذلك:

بَكَتْ عَيْني غَداةَ البَيْنِ دَمْعاً وأخْرَى بالبُكا بَخلتْ علينَا
فعاقبْتُ التي بالدمْعِ ضَنّتْ بأنْ أغمَضْتُها يَوْمَ التقيْنَا

****

والشعر ذكرى من التاريخ.. وأنسام الفراديس المفقودة، يقرأ القارئ من قصائد الأيام ودوائرها ما يأخذه إلى هناك، فهو من السيارة في سكك المدن، أو من الندماء في قصور الخلافة، يشهد ويسمع، لعمر أبي ريشة (غادة من الأندلس) فيه من نجواها:

وأجَابتْ: أنا منْ أندلس جنّة الدنيا سهولاً وجبالا
وجُدودي، ألمح الدهر على ذكرهمْ يطوي جَناحَيْه جَلالا
هؤلاء الصّيد قَومي فانتسبْ إنْ تَجِدْ أكرمَ منْ قَومي رجَالا
أطْرقَ الطّرْفُ، وغَامَتْ أعْيُني برُؤاها، وتَجَاهَلْتُ السُّؤالا

****

وأحسب أن نزار -وإن بدت ذات الفكرة والمشهد- كان أجمل وأبلغ:

ومَشَيْتُ مثل الطفل خلفَ دليلتي وورائيَ التاريخُ كومُ رَماد
الزّخرفاتُ.. أكادُ أسمعُ نبْضَها والزركشاتُ على السقوف تُنَادي
قالتْ: هنا «الحمراء» زَهْوُ جُدُودنا فاقْرأ على جُدْرانها أمْجَادي
أمجادُها؟ ومَسَحْتُ جُرْحاً نازفاً ومَسَحْتُ جُرْحاً ثَانياً بِفُؤَادي

يا لَيْتَ وارثَتي الجميلةَ أدْرَكَتْ أنّ الذينَ عَنَتْهُمُ أجْدَادي
عانَقْتُ فيها عندما ودّعْتُها رَجُلاً يُسَمّى: «طارقَ بنَ زيادِ»

****

والشعر الكبرياء.. أنفت به روح أبي فراس فكان منْ أنَفَه سنةً لأهل الهوى:

أرَاكَ عَصيّ الدّمعِ شيمَتُكَ الصّبرُ، أما للهوى نهيٌ عليكَ ولا أمرُ؟
نعم أنا مشتاقٌ وعنديَ لوعةٌ، ولكنّ مثلي لا يذاعُ لهُ سرُّ!
إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى وأذللتُ دمعاً منْ خلائقهُ الكبرُ
تَكادُ تُضيءُ النّارُ بينَ جَوانحي إذا هيَ أذْكَتْهَا الصّبَابَةُ والفكْرُ
معللتي بالوصلِ، والموتُ دونَهُ، إذا متّ ظَمْآناً فَلا نَزَلَ القَطْرُ!

****

والشعر الوفاء.. بلغ المتنبي منتهاه -وكم من منتهى بلغه أبو الطيب- إذ يقول:

خُلِقْتُ ألُوفاً لو رَجعْتُ إلى الصّبَا لفارقْتُ شَيْبي مُوجَعَ القلبِ بَاكيا

****

والشعر الفقد.. ينساب من قلب التهامي لوعة وحكمة في رثائه لابنه المتوفى شاباً:

أبكيه ثم أقولُ معتذراً لهُ وُفّقتَ حين تركتَ ألأمَ دارِ
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربّهُ شتّان بين جواره وجواري
أشكو بُعادكَ لي وأنت بموضع لولا الرّدى لسمعتَ فيه سراري
والشرقُ نحو الغرب أقربُ شُقّةً من بُعد تلك الخمسة الأشبارِ
هيهاتَ قد علقتك أشراكُ الردى واعتاقَ عمركَ عائقُ الأعمارِ
ولقد جريتَ كما جريتُ لغاية فبلغتها وأبوكَ في المضمارِ

****

ومن ذلك أيضاً مرثية ابن الرومي الشهيرة في ابنه:

بكاؤكُما يشفي وإنْ كانَ لا يُجْدي فجُودا فقدْ أودَى نظيرُكُما عندي
بُنَيّ الذي أهدَتْهُ كفّايَ للثّرَى فيا عزّةَ المُهدى ويا حسرةَ المُهدي
ألا قاتَلَ اللّهُ المنايَا ورَمْيَها منَ القوم حبّاتِ القلوبِ على عَمدِ
توخّى حِمامُ الموت أوسَطَ صِبْيَتي فلله كيفَ اختارَ واسطةَ العقدِ

****

وبعد..

هل في ذلك سعة من جواب لسؤال سألتُه؟

ذكريات على جدار الحي

أحمد المنعي

الشارع

وفي الشارعِ النائِمِ المستفيقْ ..
أحِسُّ برُوحِي كإِسْفلْتِهِ ..
نَدَاها تَسَرَّبَ بينَ الشُّقوقْ !
ولمْ يَكُ هذا الطريقُ كهذا ؛
لقد كانَ يحْمِل رُوحاً وقلباً ..
نُحسّ به ويُحسّ بنا ..
فنمشِيْ الهوينَا حَناناً عَلَيْهْ ..
ويَحْمِلُ خُطْوَتَنا بيَدَيْه!
وما زلتُ أذكرُ..
حينَ أمَازحُهُ: «يا صَدِيقْ»..
نَموتُ وتَبقَى ..
تُحَدِّث أحفَادنا عن خُطانا..
وهمْ يُنْصِتون..
كإنْصَاتنا حين حَدَّثَتَا عَنْ جُدُودٍ
حَفِظَتْ مَواطئَ أقدامِهِمْ ..
حين كانوا يَعسُّون في ظلماتِ
الدُّجَى لأداءِ الصلاةْ..
«نموتُ وتَبْقى»..!
كذلك مازَحْتُه، لَيْتَ شِعْرِيْ..
فأينَ صديقي الرحيمُ الرفيقْ..
وليس أمامي سوى قَطِرَانٍ وزَيْتٍ وقَارْ..
تغَيَّرَ هذا الزمانُ علينا
وماتَ الطريقْ..!

البيوت

على الجَانِبَين ..
تُرَصُّ البيوتُ..
كما رُصِفَتْ في العزاءِ الصُّفُوفْ ..
فيا للبيوتْ ..
تَمُرُّ بأبوابها الرِّيْحُ عَجْلَى ..
فتجْمَع منها غبَاراً قليلاً ..
وتذرو عليها غبَاراً قليلاً ..
وبينهما لُغَةٌ مِنْ سُكُوتْ ..!
أُسَائِلُ أبوابَها المُغلقَاتْ ..
وهُنَّ الأنيقات ..
في حُلّةٍ مِنْ نقُوُش ..
لماذا التزَيُّنُ للناظرينَ ..
إذا كانَتِ الرُّوحُ رُوحاً قبيحَةْ ..؟!
لِمَ الضِّيقُ يخنُقُ في كلِّ يَومٍ نُفُوساً ..
مَسَاكِنُها في البيُوتِ الفَسِيحَةْ ..؟
وبالأمْسِ ..
كلُّ المَصَاريعِ مُشْرَعَةٌ للضيوفْ ..
وكل المَجالس مشروحَةٌ كانْشِرَاحِ الصدورْ ..
تُحبُّ اجتماعَ الرِّجَالِ لدَيها ..
ودِفْءُ المَوَدةِ يطْغَى عَليها ..
تُعَطِّرُه قهوةٌ وبخُورْ ..
وما عاد مِنْ صِلَةِ الأمْسِ إلا ..
غَليلُ النُّفوس ..
وشُحُّ الكفوفْ .. !

الشبابيك

سُجونٌ ..
سُجونْ ..
وفي كُلِّ زِنزانةٍ ثَمَّ رُوحٌ ..
يُعَذِّبُها الصَّمْتُ حَدَّ الجنونْ ..
ويمتَصُّ منها رَحيقَ الحَياةِ ..
إلى أن تَجِفَّ ..
وتذوي كَمَا يَابِسَاتِ الغُصُونْ .. !
تُطِلُّ الشَّبابيكُ صَامتةً ..
فأقْرَأُ فيها كَلاماً أليماً ..
عَمِيقَ الشُّجُونْ ..
لأنّ الشبابيكَ مثلُ العُيُونْ ..!
وحِينَ تفيضُ الدموعُ بِها ..
وتهْمِيْ .. تَئِنُّ بأوصَابِها ..
إذا بالستائرِ تُرْخِي عليها قماشاً غَليظاً ..
لئلا تبوح ..
لأنَّ الستائرَ مِثلُ الجفونْ ..!

المسجد

وبينَ يَدَيْكَ وَقَفْتُ بِشِعري ..
وكلُّ الزمانِ بدارِكَ واقِفْ ..
مهِيبٌ وَقارُك يا شَيْخَنَا ..
إذا ما أَصَخْتُ السَّمَاعَ له ..
سَمعتُ صدىً فِيْ أقاصي كياني ..
له لحْنُ جُرْحٍ ..
وغُربَةُ رُوحٍ ..
وزَفرةُ نَازِفْ ..!

تُراكَ تَحِنُّ لأصْحَابِكَ الأقْدَمينَ ..
شُيُوخٌ قد اشْتَعَلَ الشَّيْبُ مِنْهُمْ ..
مَجَالِسُهُمْ في الصُّفُوفِ الأوَائل ..
تَسْبِيْحُهُمْ كهَدِيلِ الحَمَامْ ..
وفي كُلِّ عامْ ..
يَمُرُّ الفَنَاءُ ..
ويأخُذُ شَيْخاً نَقياً تَقياً ..
كثيرَ الدعاءِ قليلَ الكلامْ ..
لقد مَاتَ جَدِّي ..
وصَاحبُ جدي ..
وإذ بالمَصَاحِفِ تسألُني عَنْ أخِلاّئِها ..
«أما عَادَ فيكمْ خَليلُ المَصَاحِفْ ؟! »
لقد سَرَقَ الوَقتُ أخيَارَنا ..
وإذ بهديلِ الحَمَائِمْ يَخْفُتُ ..
شيئاً فشيئاً ..
ويعلو عليهِ رَنِينُ الهَوَاتِفْ ..!
أشَيْخِي الجَليل ..
أما زِلْتَ تذْكُرُ ذاك الحَصِيرْ ..
وقَدْ كَانَ يَرْفَعُنا للعُلَى ..
لأنَّ الحَصِيرَ غنيٌّ فَقِيرْ ..
ويَمْضِي الزمانُ ..
وتغْدُو المَسَاجِدُ مثلَ المَتَاحِفْ ..
ثَرِيَّاً ..
مَحَارِيبُ مَبنيَّةٌ مِنْ رُخَامْ ..
يلَوِّنُها صَخَبُ وزَخَارِفْ ..
وما كُنْتُ أعْرِفُ في مَسْجِدِ الأمْس ..
إلا الحَصِيرَ ..
وعُنْقُودَ نُورٍ يُدَلَّى مِنَ الخُلْدِ حِينَ نُصَلِّي ..
فتَمْتَدُّ تأخُذُه كَفُّ قَاطِفْ ..!

الرواية الثانية لمنذر القباني

«عودة الغائب»



قبل عامين، عرضت القافلة لرواية «حكومة الظل»، باكورة أعمال الروائي والطبيب السعودي الدكتور منذر القباني، الذي يعود ويطل علينا اليوم في روايته الثانية «عودة الغائب».

عبود عطية الذي عرض لنا سابقاً قراءته للرواية الأولى، يعود بدوره هنا ليقرأ الرواية الثانية، متناولاً أوجه الشبه والاختلاف ما بين الروايتين اللتين مهما قيل فيهما فستبقيان فريدتين في لونهما على الساحة الأدبية العربية، هذا اللون الذي حظي بمكانة عالمية على يد الروائي الأمريكي دان براون، والقائم على جمع بعض المعطيات والحقائق التاريخية إلى الخيال فيما صار يعرف باسم الرواية «البوليسية-التاريخية».





مـا أن يطالـع القارئ الفصل الأول من روايـة «عودة الغائب» وهو بعنوان «عام 1909» حتى يكتشف وجه الشبه الأول والأساسي مابين هذه الرواية وسابقتها للمؤلف نفسه الدكتور منذر القباني «حكومة الظل» التي يدور نصف أحداثها عام 1908م ونصفها الآخر في عصرنا الحالي.

وخلال صفحات قليلة يكتشف القارئ مزيداً من أوجه الشبه مـا بين الروايتيـن. فكلتاهما تدوران حـول الصراع ما بين منظمتيـن سريتين: «العروة الوثقـى» المستمرة حتى يومنا هذا فـي الدفاع عن مصالح بلاد العـرب والمسلمين، ضد «حكومة الظل» المؤلفة من الجمعيات السرية العالمية أو من بعض محافلها أو من تقاطع بعض هذه المحافل. وأكثر من ذلك فإن بطـل الروايتين هو نفسه: رجل الأعمال السعودي الناجـح والشاب نعيم الوزان.. كمـا أن أسماء كثيرة وردت في الرواية الأولى تعود إلى الظهور في الرواية الثانية.

إنه العالم نفسه. وهذا ما يشير إلى أننا لم نكن في «حكومة الظـل» أمام ومضــة استثنائية، بـل أمام ثمرة مـزاج أدبي راسـخ عند الكاتـب، ويتحتـم علينا التعامل معـه على هذا الأساس، الأمر الـذي يجعل الحديث عن هذه الرواية أسير المقارنة بالرواية السابقة.

أحداث الرواية

تـدور أحـداث هـذه الرواية التـي صدرت فـي طبعتين عن «الـدار العربية للعلـوم ناشرون»، قبل أشهـر، حول مؤامرة تعدها «حكومة الظل» لجر جيوش العالم الغربي إلى احتلال البـلاد العربيــة مجدداً. ويتنبـه قادة «العـروة الوثقى» إلى الأمر من خلال رسالة غامضة وجهها قبل مئة سنة شخص يُدعى نجم الدين غول قبيل مقتله على أيدي المتآمرين إلى المدعـو خليل الوزان. فتستنجد «العروة الوثقى» من مقرها في أحد بساتين قباء بالمدينة المنورة، بنعيم الوزان (حفيد خليل)، الذي سبق أن جردته من عضويته فيها قبل سنوات ثلاث، نظراً لمهارته في فك الرموز الغامضة.. فيغادر مقر إقامته في كوالا لامبور ليلبي النداء.. إنه الغائب الذي يعود في «عودة الغائب».

قـد يكون مـن حق القـارئ أن يشعـر أمام حبكة كهـذه أنه أمام خيال تجاوز حـدود المعقول أو المقبول. ولكن الكاتب استطـاع بمهارة أن يلقّم ذهن القـارئ فصول هذه الحبكة الضخمــة تدريجيـاً، مـن خـلال مجموعة أحـداث صغيرة واقعية الشكل مثل جريمة قتل هنا، أو اختفاء امرأة هناك.. ونجـح في ترجيح كفة «الواقعيـة» على كفة الخيال الجامح، مـن خلال ما يعرف بـ «اللون المحلـي»، أي الوصف الدقيق للمـكان الحقيقـي والواقعي الـذي يدور فيـه كل فصل من فصول الرواية.

المسرح الواقعي

تتـوزع فصول الرواية على مسرح يمتـد من كوالالامبور في ماليزيا إلى مدينة بوسطن في أمريكا، مروراً بمغارة جعيتا وفندق الفينيسيا وشارع الحمراء في لبنان، ودبي والشارقة، وجدة ولندن قبل استراحة المحارب نعيم الوزان في الفصل الأخير في المدينة المنورة حيث يسترد عضويته في العروة الوثقى، اعترافاً بأمانته وبفضله.

وعلـى امتداد هذه المساحة الواسعة جـداً جغرافياً، هناك وصـف دقيق للأماكـن المعروفة. لا بل يمكـن القول إن كل الأماكـن معروفـة وحقيقيـة. فلا مـدن متخيلـة (بما فيها مدينة حداد حيث ستنفذ المؤامرة)، ولا فنادق متخيلة، ولا شوارع متخيلة.. فكل من يعرف الأماكن التي ورد ذكرها في الكتاب يعـرف أن المؤلف قد زارها، وكان أميناً في وصفها وحتـى في سرد تاريخها إذا لزم الأمـر. ويعزِّز الكاتب هذا الطابـع «الواقعي» للأحـداث، بجمعها إلـى بعض الأحداث الحقيقيـة المعروفـة، مثل تزامـن وصول نعيم الـوزان إلى دبـي مع المهرجان التكريمي للإعلاميين الذي يقام سنوياً هناك، فيتقاطع جزء من مهمته الخيالية مع جزء من حدث حقيقـي معروف عند الجميع. وأكثر مـن ذلك، فإن الكاتب عندمـا يصف لنـا فنانة عربيـة مشهورة يلتقيها نعيم في دبـي، فإنه يذهب بخيالنا إلى بعضـ الفنانات الحقيقيات، ولكـن عندما يطلق عليها اسم «سمـر القلوب»، فكأنه يقول لنا من خلال هـذا الاسم المستعار بشكل واضح، إن روايته

تعرض من «الواقع» أقل مما يعرف من حقائق.. أليس فن الإقناع بصدقية المتخيل جزءاً أساسياً من فن الرواية؟

الحبكة في العمق

الرواية تتوجَّه بشكل خاص إلى أمزجة الباحثين عن خيوط المؤامرات الغامضة لتفسير ما لا يستطيعون تفسيره

من ضمن القرَّاء الشغوفين بالرواية البوليسية-التاريخية، تتوجه «عودة الغائب» مثل «حكومة الظل» وأيضاً روايات الأمريكي دان براون، بشكل خاص إلى أولئك الباحثين عن خيوط المؤامرات الغامضة لتفسير أحداث كبرى يصعب تفسيرها. وهؤلاء ليسوا قليلي العدد، ويغذّون مذهبهم في تفسير الغامض من الأحداث من وجود منظمات عالمية لا نعرف إلا القليل عنها غير أسمائها مثل الماسونية والبولدربرغ والمتنورين وما شابه ذلك.

ولكن بخلاف روايات دان براون الذي كان دقيقاً في تناوله لهذه المنظمات حتى أقصى حد ممكن تسمح به الثقافة العامة لغير المنخرطين فيها، فثمة ضبابية في «عودة الغائب». حيث نرى أن المؤامرة هي من حياكة «حكومة الظل» التي يجب أن نجتهد لنفهم أنها ليست مؤلفة ببساطة من جمعية الماسونيين، بل من بعض الجمعيات السرية القديمة جداً التي انخرطت في جمعية الماسونيين لتحتمي بها.

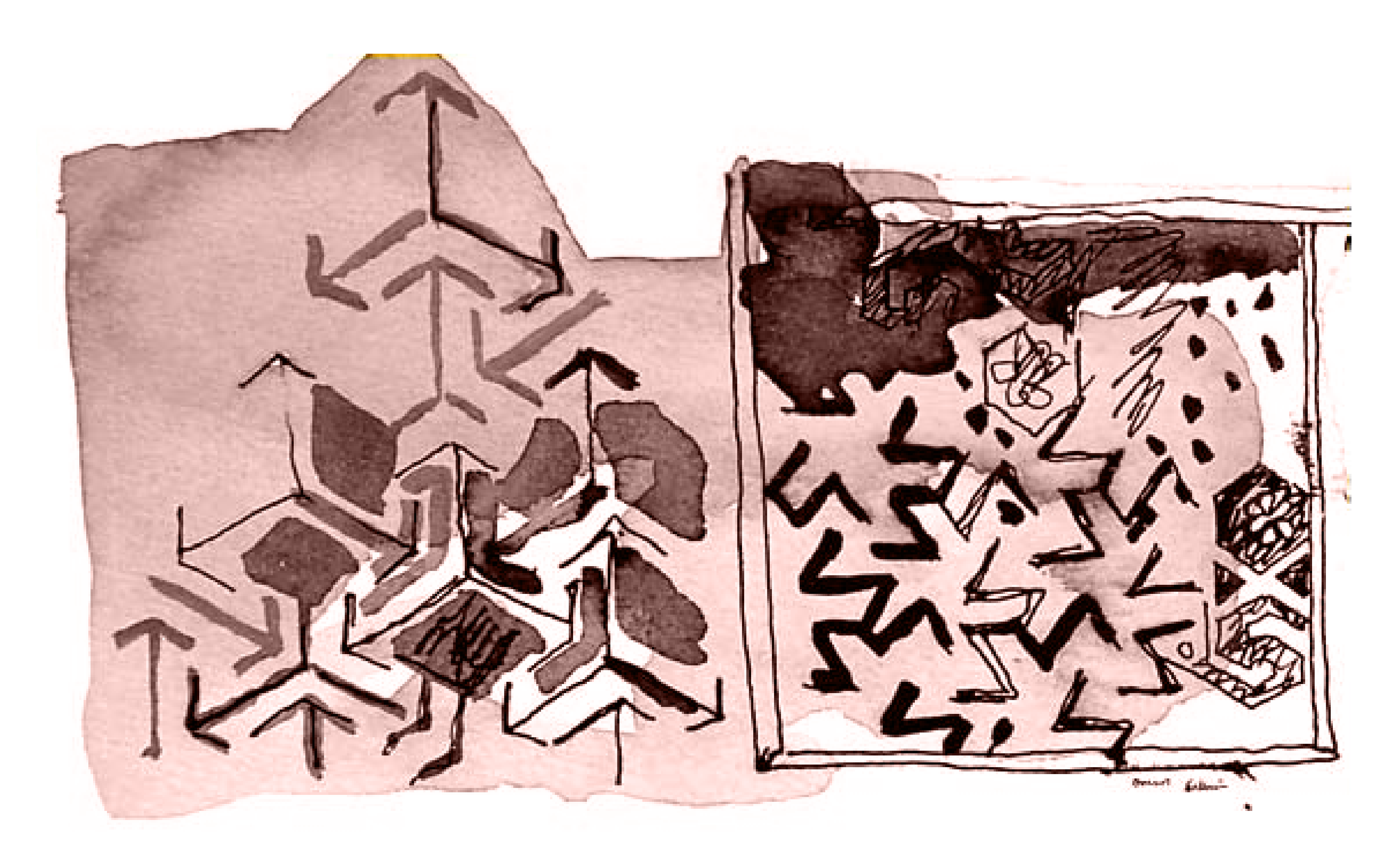
والرواية في عمق حبكتها تقترب جداً من مزاج القارئ المؤمن بنظريات المؤامرة. ومن المرجح أن المؤلف نفسه هو من هؤلاء، تدل على ذلك الاستطرادات الكثيرة التي تستشهد بأمثلة تاريخية معروفة لدعم تفسير فرضية غير مثبتة بالبراهين. ففي حديثه عن تغلغل بعض المنظمات السرية في أخرى، يعود بنا من خلال استطراد طويل، يكاد السياق لا يحتمله، إلى «تغلغل طائفة الحشاشين في صفوف الطائفة الإسماعيلية» على سبيل المثال.

إذن، للمؤلف خطاب «أيديولوجي» إذا جاز التعبير. وهذا الخطاب مقروء بوضوح في هذه الرواية. فأحياناً، يلقيه على مسامعنا بشكل متقطع البطل نعيم الوزان، مثل قوله: «النظر إلى الماضي بعين مجردة يساعد كثيراً في فهم ما يجري حولنا، وفي التنبؤ بما قد يحدث غداً..»، أو مثل الرسالة الهاتفية التي يوزعها على كل معارفه في نهاية الرواية وتقول: «إن الأمة العظيمة لا تُهزم من الخارج قبل أن يقضي عليها أبناؤها من الداخل».

ومن دون اللجوء إلى نعيم، نجد الكاتب مدفوعاً إلى عرض عدد ملحوظ من وجهات نظره الثقافية وبعض القناعات الفكرية (ربما تكون قناعاته الشخصية)، وغالباً ما يتم ذلك إما على لسان بعض أبطال الرواية، أو في مطالع فصولها، مثل بعض أوجه الشبه المشتركة بين بعض الأديان، وتقييم دور الدولة الفاطمية وغير ذلك..

من المرجح أن عرض الحقائق التاريخية في «عودة الغائب»، رغم دقته في بعض الموضوعات مثل تاريخ مغارة جعيتا في لبنان، هو أقل دقة في الزخارف مما هو الحال عند الأمريكي دان براون، وربما أيضاً أقل مما هو عليه الحال في رواية القباني الأولى «حكومة الظل». ولكن، بما إننا أمام «رواية»، فيمكن لكاتبها أن يفلت من أية محاسبة، علماً بأن القارئ يجد نفسه في مواضع كثيرة مدفوعاً إلى محاسبة الكاتب حول واقعية فكرة معينة، ليس أقلها مشروع احتفال في مدينة بعلبك في الخامس والعشرين من ديسمبر





2009م، يحضره عدد كبير من رؤساء دول العالم بمن فيهم الرئيس الأمريكي.. ومن يعرف حال بعلبك اليوم يعرف أن الحبكة تتجاوز الخيالي، لتصبح «سوريالية».

أصعب ما في الحبكة

ولكن أهم ما في رواية «عودة الغائب» على صعيد حبكتها، هو تقاطعها مع أحداث الرواية الأولى «حكومة الظل». فهي ليست تتمة للرواية الأولى، وإن كنا نجد فيها تفسيراً لبعض أحداث الرواية الأولى مثل مقتل الأستاذ المغربي الدكتور عبدالقادر بنوزّاني أو مقتل الصحافي اليهودي موشيه غولد. أو ظهور نعيم الوزان أولاً في كوالالامبور التي قرر الانتقال إليها في الرواية الأولى، وسعيه في هذه الرواية إلى الانتقام من رجل الأعمال المصري فؤاد شوكت الذي تسبب له في الرواية الأولى بخسارة مالية فادحة لمعاقبته على تطفله على شؤون حكومة الظل.

إن نسج العلاقات ما بين أبطال رواية متكاملة بناءً على رواية سابقة لا تشكل تمهيداً ضرورياً لها، هو من أصعب صيغ الحبكات الروائية. وفي هذا المجال، يمكننا القول إن القباني نجح بالفعل في مواجهة التحدي. وتميز فعلاً عن «عرَّابه» الأدبي دان براون، الذي لا نرى غير البطل يتنقل ما بين أكثر من رواية.

مما لا شك فيه أن القباني لم يفرغ من كتابة «حكومة الظل» حتى بعد نشرها. فقد ظلت حبكتها وعالمها في ذهنه. ومن المحتمل أن بعض خيوط هذه الرواية قد ظهر أولاً خلال العمل على «حكومة الظل»، فاحتفظ الكاتب بها جانباً لتوليفها في حبكة ثانية لرواية ثانية. لا يمكننا الجزم بشيء في هذا المجال. ولكن إن كانت كل تفاصيل «عودة الغائب» تعود إلى ما بعد صدور «حكومة الظل»، فهذا يعني أن هاجس حبكة الرواية الأولى لم يغادر يوماً ذهن الكاتب. ولذا لم يستطع الإفلات من ربط الأماكن التي زارها لسبب ما، أو عرفها في وقت ما، بمناخ الأحداث المتخيلة للرواية الأولى. فجاءت روايته الثانية ذات صلة قربى قوية جداً بروايته الأولى، ولكن تبدل الحبكة والمسرح والأحداث جعل منها رواية مستقلة تماماً.

ملاحظات أدبية أقل

ولو تابعنا مقارنة روايتي القباني ببعضهما، لقلنا إن روايته الثانية التي نحن بصددها خلت من بعض المنغصات التي كادت أن تفسد مزاج قارئ الرواية الأولى. فالحِكم والأقوال المأثورة و«المواعظ» رغم أنها تقفز قفزاً أمام القارئ، تبدو هنا مندمجة شكلاً في النص، بعكس ما كان عليه الحال في الرواية الأولى، حيث ظهرت هذه الحِكم وخلاصات الأفكار

بالخط الأسود العريض وكأنها لب الموضوع الذي لا بد أن يستوقف القارئ ليفكِّر فيه ويتأمل عمقه.

وفي حين أن «عودة الغائب» جاءت لغوياً وإملائياً «أنظف» بكثير من الأولى، فثمة ملاحظة لا يمكن إغفالها تتعلق بالحوارات الواردة فيها. فتارة ومن دون سبب معين يبدو الحوار أقرب إلى العامية مثل قول إحدى البطلات: «لا تكن بايخاً.. لماذا لا تريد مصاحبتي..». واعتماد العامية أو ما يشبهها في الحوارات الروائية هو أمر مقبول عند الكثيرين لأنه يقرِّب المسافة ما بين الحدث ونفس القارئ المعتاد على بساطة هذه اللغة. ولكن، فجأة، وفي بعض الأماكن يصبح الحوار مجرد كليشيه لغوي مستوحى مما هو مشترك بين آلاف الروايات والحكايات، مثل قول إحداهن: «يا لك من شقي»، أو قول آخر: «طب مساءً تيري، لقد أبليت بلاءً حسناً»، أو قول آخر: «لا تحسبن أني لم أكن على دراية..». فمثل هذه الكليشيهات تتعارض مع بساطة اللغة

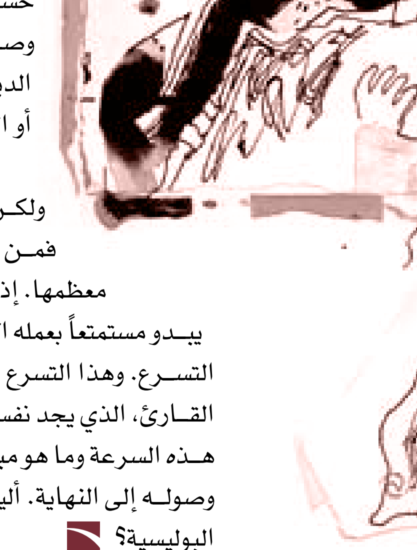
مهما طالت لائحة المآخذ، فإن جاذبية الحبكة وحماسة الكاتب تجرفان القارئ بعيداً عنها

المعتمدة في الحوار. لا بل، مع بساطة اللغة المعتمدة في الرواية عموماً، والبعيدة كل البعد عن الحواشي والتعقيد، حتى يمكن القول إنها عامية مقبولة إلى فصحى.. فلماذا هذه الازدواجية؟

هنا، يمكننا أن نستطرد لنشير إلى الحلقة المفقودة في عالم النشر الأدبي عربياً: المحرر المساعد للأديب الموجود في كل دور النشر الكبرى في الغرب، والذي يرافق الأديب خلال مراحل عمله، ويناقش معه تفاصيل كل جملة يرتأي أنها قابلة للنقاش، ومهمته الأساس لا تعني أبداً جر الأديب في اتجاه لا يريده، بل إزالة مثل هذه الشوائب والثغرات التي عادة يعجز الأديب عن رؤيتها بنفسه وتتطلب عيناً جديدة كي تصبح مرئية وتستدعي التعديل.

والواقع أن لائحة الملاحظات الصغيرة على رواية القباني يمكنها أن تطول، وبعضها شبيه بالملاحظات التي سبق أن أبديناها على روايته الأولى، مثل التعامل مع بعض المعلومات البسيطة على أنها من الاكتشافات المهمة التي تستوجب شرحاً مطولاً، وأيضاً قلة الوصف نسبياً، مثل وصف الأشخاص وأعمارهم وملابسهم والألوان والأضواء.. تعزيزاً لتلاحم خيال القارئ بمحتوى النص.

فبشكل عام، وعلى صعيد الأسلوب، يمكننا القول إن القباني كتب روايته هذه كمن يكتب سيناريو فلم سينمائي حسب تتابع الفصول والمشاهد، تاركاً وصف الأماكن في معظمه لمصمم الديكور، واختيار شكل الأبطال للمخرج أو المنتج.



ولكن مهما طالت لائحة الملاحظات، فمن الصعب على القارئ أن ينتبه إلى معظمها. إذ إنه ينجرف بحماسة القباني، الذي يبدو مستمتعاً بعمله الأدبي حتى حدود دفعته إلى ما يشبه التسرع. وهذا التسرع ينعكس (في جانبه الإيجابي) على القارئ، الذي يجد نفسه مشدوداً لمعرفة إلى أين ستؤدي هذه السرعة وما هو مبررها.. فيبقى ممسكاً بالكتاب حتى وصوله إلى النهاية. أليس هذا مقياس النجاح في الرواية البوليسية؟



مقتطفات

«عودة الغائب»..
مقتطفات من الرواية



توقفت السيارة أمام منزل في حي هادئ تملؤه منازل أنيقة متراصفة، أغلب سكانها من الطبقة ما فوق المتوسطة. على عكس باقي المنازل كان المنزل الذي توقفت أمامه السيارة مُنارة أضواؤه الداخلية، مُنِمَّة بأن ساكنه كان لا يزال مستيقظاً في ذلك الوقت من بعد منتصف الليل، وكأنه كان في انتظار مجيء ضيف ما.

– «تفضل أستاذ نعيم.. لقد وصلنا» قال السائق، بعدما ظل طوال الرحلة صامتاً لا ينبس بكلمة.

– «أتفضل إلى أين؟!... ما هذا الهراء؟ هل تعلم أن ما قمت به يعد اختطافاً؟!.. من أنت؟ وماذا تريد؟ ولصالح من تعمل؟».

– «أرجوك أستاذ نعيم، لا تضيِّع وقتك ووقتي، فأنا وظيفتي تنحصر في الإتيان بك إلى هنا. الإجابة عن جميع أسئلتك ستجدها في الداخل». قاطع السائق نعيم الذي كان في قمة انفعاله لما حدث..

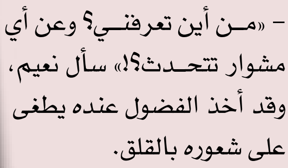
ساد الصمت ثواني معدودة، ثم فتح نعيم باب السيارة، واتجه نحو الباب الخارجي للمنزل الذي كان يقف بجواره حارس قوي البنيان، لا يقل حجمه عن حجم سائق السيارة التي أتى بالضيف المنتظر الذي سرعان ما أشير له بالدخول، بعدما فتحت البوابة.

أخذ نعيم يخطو بحذر نحو الباب الداخلي للمنزل، وقد امتلأ عقله بمزيج غريب من القلق، والفضول في آنٍ واحد، وأدرك بأنه لو كانت هناك رغبة لإيذائه في أثناء هذا الليل، لما كان بوسعه أن يفعل شيئاً الآن، خاصة بعدما أغلقت البوابة فور دخوله! استمر في خطواته حتى فُتح الباب، وخرج منه رجل في نهاية العقد الرابع من عمره، متوسط الحجم، يصعب ربط ملامحه ببلد، أو عرق محدد.

– «أهلاً وسهلاً أخ نعيم، شرفت منزلي المتواضع.. تفضل، تفضل». قال الرجل مرحِّباً، وقد بدا عليه السرور لقدوم الضيف المنتظر.

– «عفواً.. ولكن من أنت؟ ولِمَ أتيت بي بهذا الشكل؟ لقد فوَّت علي رحلتي!» قال نعيم رافضاً الدخول قبل تلقي بعض الإجابات عن تساؤلاته.

– «أخ نعيم، أنا لم أفوِّت عليك رحلتك، بل فقط قمت بتصحيح مسارها، فالوقت لم يحن بعد لكي تعود إلى ماليزيا.. مشوار بحثك لم ينته بعد!».



– «من أين تعرفني؟ وعن أي مشوار تتحدث؟!» سأل نعيم، وقد أخذ الفضول عنده يطغى على شعوره بالقلق.

– «مشوار الخطاب الذي عثر عليه رجب غول، والذي بحث أمره الدكتور عبدالقادر بنوزّاني، فهل لديك غيره؟».

ذهل نعيم لما سمعه من الرجل الذي كان يعلم أكثر مما توقع منه.

– «من أنت؟».

– «تفضل أولاً إلى الداخل، وسوف أجيبك على أغلب تساؤلاتك».

***

– «اسمي جعفر الأشعري؛ لا أعتقد أنك سمعت بي من قبل، ولكني سمعت عنك الكثير.» قال الرجل عند دخوله مع نعيم إلى صالة الضيوف.

– «وممن سمعت عني؟».

– «من عدة أشخاص، أحدهم الدكتور عبدالقادر بنوزّاني، رحمة الله عليه».

– «الدكتور عبدالقادر!» ردد نعيم وقد أدهشه سماع الاسم مرتين في أقل من خمس دقائق.

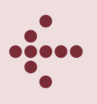
– «لا تتعجب.. لقد كانت تربطني علاقة قوية به استمرت، حتى بعدما تم فصلي من الجماعة».

– «الجماعة!!».

– «عفواً.. لقد نسيت إخبارك بأني كنت في يوم من الأيام عضواً في العروة الوثقى، وقد تم فصلي مثلك بسبب كثرة تساؤلاتي، وعدم انصياعي للأوامر على حد ما زعم بعضهم».

اندهش نعيم لما سمعه للتو، خاصة أنه كان يدرك أنه من النادر أن يتم فصل أحد أعضاء العروة الوثقى، كما تم معه. لوهلة أخذ يظن أنه قد تكون هذه مجرد مكيدة من جهة أمنية ما؛ لكي تحصل منه على ما يعلمه عن جماعة العروة الوثقى!

– «مهلاً، مهلاً.. عن ماذا تتحدث؟ أي عروة وثقى هذه التي...».



مقتطفات

- «أخ نعيم، أنا لا أحاول خداعك أو الإحاطة بما تعرفه عن العروة الوثقى.» قال جعفر، مقاطعاً، وكأنه قرأ أفكار نعيم، وأدرك الذي كان يدور في خاطره، ثم استطرد... «صدِّقني السبب الذي جعلني آتي بك إليَّ بهذا الشكل هو رغبتي في مساعدتك، ومساعدة نفسي من أجل الوصول إلى الحقيقة.. حقيقة مقتل صديقي الدكتور عبدالقادر، والسر وراء الخطاب. على العموم، وفقط لكي أزيدك اطمئناناً، سأخبرك بأمر لا يمكن لأحد أن يعرفه ما لم يكن على صلة وثيقة بالعروة الوثقى.. لقد كنت أحد النقباء، وكان مُرشدي هو نفسه مرشدك جاسم الفراج، قبل فصلي منذ سنوات ثلاث».

اندهش نعيم مما سمعه من الرجل، فما قاله كان لا يعلمه إلا قلة قليلة من كبار أعضاء الجماعة. فالهيكلة التي اتخذتها العروة الوثقى كانت تعتمد على مجموعة من النقباء حول العالم، يكون كل منهم مسؤولاً عن مجموعة من المساعدين، تحت كل مساعد عدد من عمداء الأسر، والأسرة تتكون من أبسط أعضاء الجماعة. هذه الهيكلة هي التي مكنت العروة الوثقى من المحافظة على سريتها عبر السنين، فقد كانت كل أسرة مستقلة عن الأخرى، وكل مساعد لا يعرف إلا نقيبه، وعمداء الأسر الذين يديرهم، كذلك الأمر بالنسبة للنقيب، فصلته فقط بمساعديه وبالقائد الذي كان يرشده. بل إنه من النادر أن يعرف النقيب اسم أحد القادة غير الذي كان يرشده، وكان نعيم أحد هذه الحالات النادرة، بل وبدا له أن هذا الاستثناء النادر، قد ينطبق أيضاً على جعفر الأشعري!

- «أخ نعيم، دعني أعود بك قليلاً إلى الماضي؛ لكي أتمكن من إيضاح بعض الأمور لك. في عام ألف وتسع مئة وتسعة بعد سقوط السلطان عبدالحميد الثاني، وتمكن حركة الاتحاد والترقي من زمام الدولة العثمانية، شعرت العروة الوثقى بالخطر، خاصة بعدما تبين لها الصلة الوثيقة بين الاتحاد والترقي، وبين يهود الدونمة والسبأيين، أو حكومة الظل، كما هو الاعتقاد».
- «ماذا تقصد بكما هو الاعتقاد؟» قاطع نعيم مستفهماً.
- «هذه النقطة بالتحديد هي لب الموضوع، ولكن لا أريد الخوض في تفاصيلها بعد؛ دعني أكمل لك أولاً ما بدأته.. أين كنا؟.. نعم، بعدما تبينت صلة الاتحاد والترقي مع يهود الدونمة، شعرت الجماعة بالتهديد، فقررت الانتشار في الأرض على أن يلتقي القادة مرة، على الأقل، كل عام في المدينة المنورة؛ لكي يناقشوا أهم القضايا دون أن يشعر بهم أحد. هذا الجزء من التاريخ أنت تعرفه جيداً، ولكن ما لا تعرفه هو أنه في نفس تلك السنة اقترح جدك خليل الوزان أن تتكون جماعة مصغرة، فرقة لا يتعدى عدد أفرادها الخمسة أو الستة، يكون هدفها هو الوصول إلى حقيقة حكومة الظل بمعزل عن العروة الوثقى، وذلك لما كان يشوب الأمر من مخاطر قد تهدد بكشف أمر الجماعة الكبرى ما إذا تم إسقاط الجماعة المصغرة؛ ومن جهة أخرى، فعزل تلك الفرقة، أو الجماعة المصغرة عن العروة الوثقى يمكنها من الاستعانة بأي أحد، ولو كان من خارج العروة الوثقى.. مع الأسف تلك الفكرة لم ترق لعدد من القادة، ولكن الشيخ أبو بكر الحسيني، أمين عام قادة الجماعة في ذلك الوقت، استطاع بحنكته أن يقنع الأغلبية بجدوى تلك الخطوة، وتحمل هو مسؤوليتها. تكونت تلك الجماعة المصغرة، والتي عرفت فيما بعد باسم جماعة الحسيني، واستمر أمرها إلى أن حُلَّت قبل سنوات ثلاث عندما تم القضاء على غالبية أعضائها، بمن فيهم القائد المسؤول في ذلك الوقت، الدكتور عبدالقادر بنوزّاني».
- «نعم، لقد قرأت في مذكرات جدي ذكره لجماعة الحسيني دون الدخول في التفاصيل، ولكني لم أكن أعلم أن تلك الجماعة قد استمرت إلى قبل سنوات ثلاث..».

في تلك اللحظة طرأ على ذهن نعيم أمر جعله يستعيد أحداثاً جرت في المدة نفسها التي قال جعفر إن أغلب أعضاء جماعة الحسيني قد تمت تصفيتهم فيها.

- «هل لمقتل موشي جولد علاقة بجماعة الحسيني؟» لم ينتظر نعيم الإجابة، فقد بدأ يدرك الأمر بمفرده.. «يا إلهي!.. إذاً موشي جولد كان أحد الأعضاء هو و..».
- «الدكتور أحمد عبدالوارث، ورجب غول، وصفاء الدين إسماعيل». أكمل جعفر، وقد أدرك أن نعيم فطن للأمر.
- «ولكنك قلت بأن أغلبهم، وليس كلهم قد تمت تصفيتهم، معنى ذلك أنه ما زال أحد أفراد تلك الجماعة على قيد الحياة».
- «نعم، بقي شخص واحد على حد علمي، هو أنا». رد جعفر على استفسار نعيم الذي بدا مندهشاً مما كان يتجلى له في تلك الليلة!
- «بعدما تم فصلي من العروة الوثقى، تلقيت اتصالاً من الدكتور عبدالقادر، حيث لم يكن مقتنعاً بذلك القرار المتعنت الذي اتخذه أغلب القادة، بناءً على توصية من

جاسـم الفراج، وقد طلب منـي أن أنضم معه إلى جماعة الحسيني التي كان يترأسها.. كان ذلك قبيل وفاته بأشهر قليلـة، وقبل الاجتمـاع السنوي للقادة، حيـث كان يعتزم إخبارهم بقرار انضمامي معه».

فجـأة شعر نعيـم بالرهبة، وقد بدأ يـدرك بفطنته إلى أين كان يسير الحديث.

- «نعيـم.. أريدك أن تفكـر في الأمر الآتـي: جميع أعضاء جماعة الحسيني تمت تصفيتهم ما عدا أنا.. وقادة العروة الوثقى كانوا على درايـة بجميع أعضاء جماعة الحسيني ما عدا أنـا؛ لأن الدكتور عبدالقـادر توفي قبل الاجتماع، وبنـاءً عليه لـم تتسنَّ له فرصـة إخبارهـم بشأني.. هذا يعني أمراً واحداً، وهــو أن افتضاح أمر جماعة الحسيني تـم من الداخـل! أحد قـادة العروة الوثقــى خائن، وعلى اتصال بحكومة الظل!».

- «ما تقولـه هذا هراء!.. لماذا لا تكـون أنت الخائن الذي وشى بالدكتـور عبدالقادر ورفقائه؟! لقد سمعت منك ما يكفي!».

قـام نعيـم من مجلسه، واتجـه نحو باب القاعـة، وقد عزم أمـره على الخـروج، حتـى ولو اضطـر أن يصـارع كل من يحاول منعه!

- «لماذا الهروب؟! هل صدمتك الحقيقة؟! هل ستتجاهلها؛ لكـي تريح رأسك كمـا يفعل أغلـب النـاس؟!» أخذ جعفر يصرخ نحو ضيفه الذي فتـح الباب، وهمَّ بالخروج.. «هل سألـت نفسـك لمـاذا طُلب منـك أن تتوقف عـن بحثك؟! مـا الـذي يوجـد فـي بوسطـن، ولا يريدونـك أن تكتشفه هناك؟!».

توقـف نعيم فجأة عن سيـره، وقد هاله ما سمع من صاحب المنزل الذي لم يكن فقط على دراية بأمر تعاونه السري مع العروة الوثقى، ولكنــه أيضاً كان ملماً بتفاصيل ما قد جرى لاحقاً من نقض لذلك التعاون!

استدار نعيم في مكانه، ناظراً إلى جعفر، ثم سأل:

- «من أين أتيت بكل هذه المعلومات؟».

- «مـا يهمك أن تعلمه الآن هــو أنني في صفك، وأننا نبحث عن نفس الأمر.. عن الحقيقة التي لا يرغب البعض في أن نصل إليها!» قال جعفر، وهو يمرر لنعيم ورقة مطوية.

- «ما هذا؟».

- «هذا هو أول الطريق الصحيح.. النسخة الكاملة لخطاب نجم الدين غول!».

- «نجم الديـن غول؟» تساءل نعيم بحيـرة، حيث لم يسمع بذلك الاسم من قبل.. «تقصد رجب غول».

- «عفواً، نسيت أنك لـم تُخَبَّر بكامل القصة من أولها!» رد جعفر الأشعري، مبتسماً.



قول آخر

كي يكتمل ديوان العرب

عبدالوهاب عبدالرزاق النوري*

قديماً، قيل إن الشعر هو ديوان العرب. والأمر صحيح، لأن العرب حمَّلوا شعرهم أقصى ما يمكن لأي فن رفيع أن يحمل: العادات والتقاليد والحوادث والمفاهيم والنظرة العامة إلى العالم من حول الإنسان. واليوم هناك من يرى أن الرواية هي التي أصبحت ديوان العرب، (وأذكر أن مجلة القافلة عرضت هذه الفكرة في أحد أعدادها السابقة). ونحن لا نعتقد أن مثل هذا القول ينتقص من قيمة الشعر المعاصر، بقدر ما يشير إلى نضوج الرواية العربية في العصر الحديث ومكانتها المرموقة بين ألوان الأدب.

وبشيء من رحابة الصدر يمكننا أن نضيف القصة والقصة القصيرة جداً إلى الألوان الأدبية المزدهرة من حولنا اليوم، حتى وإن كان المزاج الشخصي لبعضنا لا يتذوق لوناً معيناً من ألوان الكتابة الأدبية. إذ إن قبول حق الآخر في الاختلاف، شرط لا بد منه لسلامة التقييم الموضوعي.

ولكن نظرتنا إلى «الديوان» الشعري أو الروائي، تثير إشكالية تتعلق بحال الثقافة ككل. فثمة ما هو غير سوي في الثقافة التي يتطور فيها أحد فروعها ليبلغ مكانة رفيعة المستوى على صعيدي الكم والنوع، في حين تبدو الفروع الأخرى متخبطة في مكانها، عاجزة عن الارتقاء إلى مستوى ذلك الفرع المتطور.

يشير الباحث والناقد الفرنسي إتيان سوريو في دراسته القيِّمة حول «تراسل الفنون» إلى وجود ترابط وصلة قربى قوية ما بين كل الفنون في كل ثقافة. ومن صلة القربى هذه، نتوقع أن يكون ازدهار هذه الفنون، أو انحطاطها، عاماً ومشتركاً تحدده الظروف التاريخية والاجتماعية المحيطة بها.

ولو أخذنا الثقافة الأوروبية مثلاً، للاحظنا أن فن الرسم يشكِّل ديوانها الكبير. حيث لعبت اللوحة الزيتية في الحضارة الأوروبية الدور الذي لعبه الشعر عند العرب. فأرَّخت، وخطبت، ودوَّنت، وعبَّرت عن كل تلك الأمور التي أرَّخها الشعر العربي، وخطب فيها، ودونها وعبَّر عنها.

ولكن بموازاة اللوحة وتطورها، كان فن العمارة، والشعر والمسرح والرواية، والموسيقى وكل الفنون الكبرى والصغرى تتطور وتتكامل فيما بينها لتصوغ «الثقافة الأوروبية».

إن إشكالية الثقافة العربية المعاصرة تكمن في تركيزها الشديد على ديوانها، الذي مهما بلغ شأنه من رفعة المستوى، فسيبقى عاجزاً عن حمل هذه الثقافة برمتها. إذ إننا لا نجد اليوم قبالة «ديواننا» ما يوازيه نضوجاً وغزارة على مستوى باقي فروع المعرفة والثقافة والفنون. إذ ما من ناقد يجرؤ على القول إن الفن التشكيلي بلغ مستوى الرواية، ولا إن فن العمارة هو مجال ابتكار يوازي عندنا مجالي الشعر والقصة.. فكيف الحال إذا أضفنا المعارف العلمية التي تشكِّل إلى جانب الفنون أساس الثقافة العامة لأي مجتمع.

نحن مع الترحيب بأي إبداع، ومع الاعتزاز بديوان العرب الشعري والروائي.. ولكن هذا لا يُغنينا عن السعي إلى تطوير الفروع الأخرى في ثقافتنا. وإلا، فإن «ديوان العرب» سيبقى مجرد ديوان، وتأثيره لن يخرج من «الديوانيات» ليطال المجتمع ويطوره كما يفترض في الثقافة الحية أن تفعل.

* كاتب من الأردن



الملاكم

ظاهرياً، تبدو الملاكمة رياضة قاسية تحاكي الغرائز أولاً. ولكن ما من رياضة في التاريخ خاطبت الأدباء والفنانين كما خاطبتهم الملاكمة، فكتبوا حولها الكثير، وبعض عمالقتهم مارسها كهواية لبعض الوقت.

إنها أطول أنواع الرياضات عمراً في تاريخ الإنسانية. ظهرت أولاً في وادي الرافدين ووادي النيل. ومنذ ذلك الزمن، لم تغب الملاكمة عن معظم الحضارات.

تطورت قوانينها ببطء شديد، وتبدلت قليلاً فقط بين عصر وآخر وزمن وآخر. ولكنها بقيت في الأساس، صورة مصغَّرة عن مفهوم عملاق: الصراع بين طرفين، والاصطفاف الاجتماعي والنفسي خلف كل من هذين الطرفين.

فريق القافلة يجول بنا على أشهر حلبات التاريخ، وما أحاط بها من قراءات تتجاوز الرياضة لتغوص ثقافياً في أعماق الأحوال الاجتماعية والمقاييس الأخلاقية.

Reuters



عُثر في أوراق فريدرش نيتشه الفيلسوف الألماني، بعد وفاته سنة 1900م، على نص عنوانه: «اختبار هوميروس»، يعود به نيتشه إلى أفكار شغلت باله طويلاً، وعالجها في كتابه الأول: «مولد التراجيديا من روح الموسيقى» (1872م). في هذا النص يقول الفيلسوف الألماني: «ليس طبيعياً ألاَّ يقاتل المرء حتى الموت، ليتيح للكراهية أن تفيض كاملة من نفسه». وإن «الثقافة النبيلة» هي تلك التي اعتنقت عناصر الثقافة الإغريقية، وهي مستمدة من «تعويض النفس من غريزة القتل».

من هذا القول إلى القول بتمجيد العنف، أو تسويغه، خطوة لا تبدو كبيرة. لكن هذه الفكرة قد تفسِّر شيئاً ربما من انتشار حب الملاكمة، لما فيها من روح النزال والتحدي والقتال الفردي الشخصي، بين بطلين.

أما الأديب الفرنسي ألبر كامو، الذي كان ملاكماً هاوياً فقال إن طقوس الملاكمة «تبسِّط كل شيء. الخير والشر، الرابح والخاسر».

إن مقارنة الملاكمة بأنواع الرياضة الأخرى تؤيد هذا التفسير لمحبة الناس الملاكمة في حالات، وتخالفه في حالات أخرى. غير أن علم التحليل النفسي الذي ازدهر في القرن العشرين، لم يخالف كثيراً قول نيتشه بذلك النزوع الغريزي لدى البشر، فيما يمكن وصفه بأنه العنف للعنف. وقد تكون رياضة الملاكمة نموذجاً ممتازاً لذلك النمط من السلوك البشري، الذي يعوِّض غريزة مكروهة (العنف) برياضة محبوبة (الملاكمة)، على نحو يجعل للتعلق بالملاكمة أسباباً أعمق مما قد يبدو لأول وهلة.

تاريخ الملاكمة

أقدم ما عند البشرية من آثار تؤرخ للملاكمة، نقوش من وادي الرافدين ومن وادي النيل، يزيد عمرها على خمسة آلاف سنة. لكننا لا نملك الكثير عن ملاكمة تلك العصور. ومنذئذ لم يخلُ عصر ولا حضارة من مشاهد منقوشة أو مرسومة، يرفع فيها مقاتلون، وأحياناً مقاتلات، القبضات بقفاز أو من دون قفاز، أحدهم في وجه

قراءة في رمزية القبضة

قبل أن تكون رياضة، الملاكمة عراك جسدي، يعتمد كما هو معروف على اللكم بقبضة اليد المغلقة ككتلة متراصة.

إن قبضة اليد بشكلها هذا هي أول «شبه أداة» قتالية تخطر على بال الإنسان، يلجأ إليها قبل الاستعانة بأداة خارجية. وفي إغلاق قبضة اليد رمزية معينة، فأصابع اليد حين تتكتل وتتكاتف مع بعضها البعض تمثل رمز استنفار القوة الذاتية استعداداً للمواجهة.

ورفع اليد بالقبضة المغلقة من إشارات الإنذار والتهديد والتأهب للمواجهة. ويرفع القادة أمام مناصريهم القبضة تأكيداً على القوة في الاجتماع والاتحاد. وإغلاق قبضة اليد وأخذ وضعية الاستعداد للقتال يمثل في العادة الخطوة التي تلي تبادل التهديد الكلامي، والذي قد يكتفي برفع اليد أو اليد والسبابة متوعداً.

ومن المشاهد الرائجة شخص أخذ وضعية الوقوف الشبيهة بوقفة الملاكم وأغلق قبضته ورفعها أمام وجهه في موقف دفاعي بقدر ما هو هجومي، كي تكون قادرة على المناورة الحركية إذا جاز التعبير، استعداداً للمواجهة والبدء بتسديد اللكمات.

السؤال هو: ما الذي يجعل هذا الشكل من النزاع يتحول إلى رياضة ذات شعبية واسعة؟

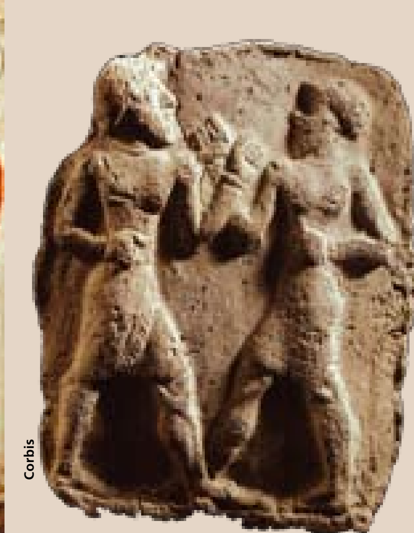
ويتبعه سؤال آخر: لماذا من بين الرياضات جميعها حازت الملاكمة هذا القدر من الاهتمام الفني في الأدب والرسم اهتماماً يصل إلى ذروته في السينما؟ وإذا كانت القبضة المتأهبة هي نقطة الانطلاق، فماذا يجري بعد ذلك؟

لكل مصارع قبضة، بل قبضتين، يرفعهما نحو بعضهما البعض وقد تجاوزا التهديد والوعيد عن بعد. وربما كان أحدهما قد فكر بحزم قبضته متحدياً فقط قبل الآخر، فحذا هذا الآخر حذوه مستشعراً الخطر. ولحظة أن يوجه أحدهما اللكمة الأولى، تدخل المواجهة مرحلة الاستنفار الكامل، بما في ذلك اللجوء إلى الحيلة.

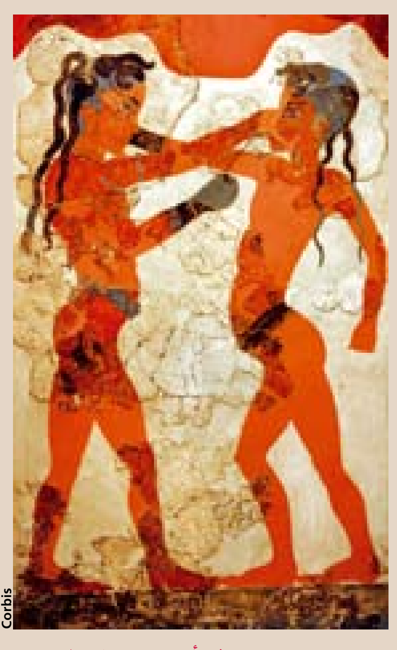

Corbis


Reuters

القبضة.. رمز قوة تتجاوز الملاكمة



نحت نافر من الفخار يصوّر ملاكمين



تفصيل من جدارية فن أكروتيري اليونانية تمثل صبيين يتلاكمان

الآخـر، في منازلة بعضها كان للرياضـة، وبعضها الآخر قتالاً حتى الموت.

وفـي أواسط الألف الثاني قبل الميـلاد (1600 – 1200 ق م) انتشرت الرياضـة في شـرق المتوسـط كله، إذ وُجـدت رسوم فـي قبرص على آنيـة فخار، ورسوم شديدة الدقـة والتفصيل، في أكروتيري من الحقبة نفسـها، تصور صبيين يتلاكمان. وقد وصفت الإلياذة والأوديسة، وهما ملحمتـا هوميروس اللتان كُتبتا فـي القرن الثامن قبل الميـلاد، ألعاباً رياضية عاصرت حروب طروادة، كان منها الملاكمة.

وورثـت روما عن الإغريـق حضارتهم ورياضتهم. وقـد وصف فيرجيل، أديـب الرومـان الكبير، ألعـاب الملاكمة في كتابتـه، وكان المتلاكمان يضعان فـي أيديهما قفازات جلد، تحمي يـدي الملاكم، ولا تخفف عن وجـه الخصـم أو رأسـه. وفي بعض الحـالات كان المتلاكمـان يضعان قفـازات فيهـا بعض المعدن، القـادر على قتـل الخصـم، حتى وصف فيرجيـل فـي إحدى قصائـده هذه القفـازات بأنها: «قفـازات الموت». كانـت حتى مشاهـدة الألعاب الرياضية محظورة علـى النساء، وكذلك

فالقبضتان اللتان ترتفعان تهديداً بالانقضاض هما نفسيهما تقفان حارساً يقظاً يحول دون وصول اللكمة الموجهة من الخصم. وهكذا نـرى أنفسنا فجأة وقد أصبـح أمامنا مشهداً لمباراة على حلبة، بدل زقاق الحي أو ساحة المدرسة.

اللكمـة القويـة تشد الانتباه بقوة. إنهـا حركةٌ انفعاليـةٌ فيها سرعة وانقضاض. وفي اللكمة المسددة بنجاح مـا يشبه وثبة مفاجئة من نمـر علـى فريستـه: تأهـب واستنفـار وترقـب ثـم انقضاض سريع. واللكمـة الناجحـة تحتـاج إلـى السرعـة لسببيـن: الأول هـو عنصـر المباغتـة حيث تحـول دون أن يقـوم الخصـم بعرقلـة وصولهـا إلى هدفهـا وصدّهـا فـي منتصـف الطريق، والثاني هـو التأكـد من قوة الارتطام، وتحقيق أكبر درجة إيلام ممكنة.

وتجمع حركة اللكمة ما بين القوة والرشاقة، وتحتاج إلى كفاءة عالية في المناورة الحركية. فالقوة المحضة لا تساوي شيئاً عند الملاكم، مـن دون الحـركة السريعة والرشيقة، بـل والحيلة التي يستفاد منها لتحقيـق تسديـدات «ذكية». وربما نستطيـع أن نجد هنا شبهاً ما بين الملاكمـة ولعبـة كرة القدم، فالفريقان المتباريـان يسددان ضربات لاحصـر لهـا تجـاه بعضهمـا البعض، لكـن الضربـات المؤثـرة التي تصنع تحولاً في مجرى المباراة قليلة نسبياً. والضربة القوية التي ينجـح أحـد الملاكميـن بتسديدهـا، والتي ينتـج عنها أحياناً ما هو معـروف بالضربـة القاضيـة، تشبه إلى حد بعيـد «الجول» أو الهدف في مرمى شباك الخصم.

وبقـدر مـا تمثل اللكمة المفـردة القوية التي تنجح فـي تجاوز دفاعات الخصـم نجاحاً يثيـر إعجـاب المشاهديـن وحماستهـم، كذلـك فـإن اللكمات السريعة المتتالية تمثل أحد أشد عناصر التشويق والحماسة في متابعة الملاكمين على الحلبة، فهي توصل الخصم إلى حالة تهاوٍ بالتقسيـط تحت وطأة تتابع اللكمات التي تنهال عليه كالسيل وتحولهً إلى فريسة شبه عاجزة عن أخذ أية مبادرة دفاعية مقابلة.

اللكمة الموفقة جذَّابة، والملاكم الماهر جذَّاب. ومشاهدة ملاكمين يحـاول كل منهمـا أن يستخـدم ذروة المهـارة مـع ذروة القـوة ضمـن قصة، أيضاً جذَّابة. ولكن إن فسر هذا شعبية رياضة الملاكمة، فهو لا يفسِّـر بمعـزل عـن عوامل أخرى كثيـرة في الأدب والفـن وخاصة السينما.

فـإذا عدنـا إلى حركـة اللكمة نفسها وما تثيره مـن مشاعر، فلا شك فـي أن الانفعـال أمـام مشهد اللكمـة يزيده كون اللكمـة موجهة إلى الوجـه والرأس كهدف رئيس. والمشاهد الذي يسقـط ما يراه على نفسـه نوعاً ما، تزيد هذه الناحية مـن انفعاله، خاصة وأن الضربات المتتاليـة التـي تصيـب الوجـه والرأس سـواء أكان فـي الملاكمـة الحقيقيـة أم فـي الأفلام، تنتج عنهـا لائحة من التشوهـات المؤذية والخطرة، تبدأ بجروح في الوجه وتنتهي بارتجاج المخ، مروراً بأذية العيـن أو كسر الأنف أو الفـك. وحين يصاب الملاكم «البطل» بحدة تتحـرك مشاعر المشاهديـن تعاطفاً معه، تريده أن يتوقف، وتريده أن يستمر كي ينتقم لنفسه ويرد الأذية بالأذية.

وقـد لعبـت هذه الناحيـة الإنسانية دوراً محورياً فـي كثير من أفلام الملاكمـة، وأصبحـت أيضـاً عنصراً من عناصر الرواية التراجيدية. إذ يقوم المقاولون الذين يديرون شؤون الملاكم التعاقدية والمالية بتشجيعـه على خوض المباريات، متجاوزاً مخـاوف إصابته بأضرار صحية لاشفاء منها، وتزداد عليه الضغوط حتى من أهله أو من ذاته لسد حاجات معيشية لديه أو لدى من يعيلهم.

وتتقاطـع النواحي الإنسانيـة بالنواحي الماليـة بالنواحي الغريزية مثـل حـب الثـأر والرغبـة فـي الانتصـار، لتجعـل من الملاكـم هذه الشخصيـة التراجيدية الثريـة بالاحتمالات. وتعبير القبضة يعطي اليـد خصوصيـة في جسم الإنسـان، إذ يتبـدل اسمهـا عنـد تبدل شكلها... ومهمتها.

خوضهـا بالطبـع. وكانت مهمة الأدب والشعر في هـذه المباريات، هي وصف جمال الملاكم المنتصر، وكلوم المنهزم.

القرون الوسطى

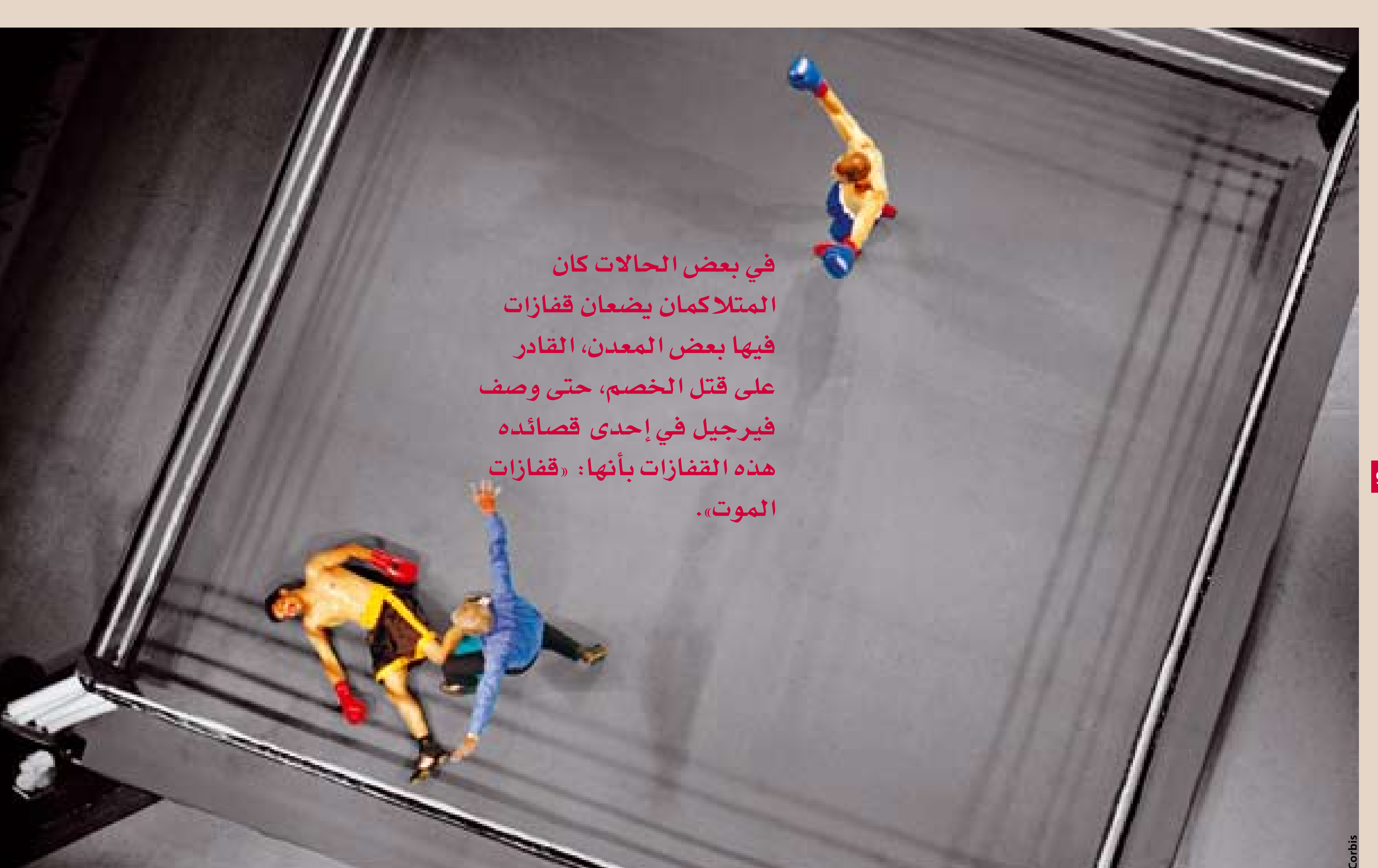
لكـن في بداية عصـر النهضة، ثمة نصوص مـن القرنين الثالث عشر والرابـع عشر في أوروبا تثبت أن بريطانيا في تلك الحقبة، كانت تشهد مباريات مصارعة وملاكمة. وأول ملاكمة ذكرتها صحيفة «ميركوري» شاهدهـا دوق ألبمارل سنة 1681م. كان الملاكمـون في ذلك العصر جزَّاريـن وحدَّادين وسقَّائين. وفي سنــة 1719م، أنشأ جيمس فيج أول صالة مقفلة للملاكمـة، في لندن. وبدا أن هذه الرياضة أخذت تزدهر فـي البـلاد. ففي سنــة 1723م، أمر الملـك جـورج الأول بإنشاء حلبة ملاكمـة في هايـد بارك. وأخذ النبـلاء يدعمون بعض أفـراد رعيتهم للنـزال، وانتشـرت المراهنة على اللعبة. وقد وضــع جون بروتون، وهو سقّـاء ملاكـم، قوانيـن للعبة، نحو سنــة 1743م. ثـم أنشـأ أكاديمية ملاكمـة سنة 1747م. وقيـل إن الملاكمة الحديثة تديـن له بأكثر مما دانـت أية لعبة لأي مؤسس من بعده. فقد نظَّم بداية المباراة ونهايتها، ودور الحكام فيها، وأسلوب تقاسم المال، وما إلى ذلك.

وسمي القرنان الثامن عشر والتاسع عشر: العصر الذهبي في الملاكمة البريطانية. وصارت اللعبة موضع فخر قومي. ففي أغنية بريطانية من تلك الحقبة، نقرأ:

الإيطاليون يطعنون الصديق في الظهر
في أحلك ساعات الليل المظلم
لكن البريطانيين أشداء ولطفاء
يلاكمون الصديق في وضح النهار
أبناء فرنسا يستخدمون المسدس
بوب بوب وتنتهي الحكاية
أما البريطانيون فيلكمون بقبضاتهم
ويهزأون من الهارب
لما كانت الملاكمة لعبة الرجال
وتسلية الترفيه عند البريطاني
فبها سنذيع شهرتنا في الكون
فوق شهرة كل الأمم الأخرى

الصعود الأمريكي

لكن العالَم الأمريكي الجديد كان في أواخر القرن التاسع عشر على وشك أن يـرث اللعبة ويحتل الصـدارة في تطويرها، مثلمـا ورث الإمبراطورية البريطانية ونفوذها في العالم فيما بعد. وكانت المباريات بين البريطاني تـوم كريـب، والأمريكي تـوم مولينو سنتـي 1810 و1811م، رمـزاً لبزوغ الطمـوح الأمريكي هذا، وعزز المعاني الرمزيـة فيها أن مولينو كان عبداً



Corbis

في بعض الحالات كان المتلاكمان يضعان قفازات فيها بعض المعدن، القادر على قتل الخصم، حتى وصف فيرجيل في إحدى قصائده هذه القفازات بأنها: «قفازات الموت».

الملاكمة السياسية..
في ذكريات الرئيس كارتر

بعدما رفض الزعيم النازي أدولف هتلر في عام 1936م مصافحة العدَّاء الأمريكي الأسود جيسي أوينز، تناست أمريكا، ظاهرياً المسألة العنصرية لبعض الوقت، والتفَّت حول بطلها في الملاكمة جو لويس الملقب بـ «قاذفة القنابل السمراء»، استعداداً لمباراته مع الملاكم الألماني ماكس شميلنج في العام 1938م. ويروى أن الرئيس الأمريكي استقبل لويس، وتحسس عضلات ساعده قائلاً: «إن أمريكا تعتمد على هذه العضلات».
دفع الأمريكيون 100 دولار (ثروة بمقاييس ذلك الوقت)، لمقاعد لم يجلسوا عليها. فبعد 124 ثانية من بدء المباراة سقط الملاكم الألماني بالضربة القاضية.

اندفع نصف مليون شخص في شوارع هارلم بنيويورك يحيون بطلهم بعبارة «ليحيا لويس» بالألمانية (هايل لويس)، نكاية بالزعيم النازي.
ويروي الرئيس الأمريكي جيمي كارتر في مذكراته، أن عائلته التي كانت مقيمة في جورجيا، استمعت إلى مجريات المباراة على الراديو، الذي وضعته على النافذة، ورفعت صوته كي لا يقتحم الجيران منزلهم.
وعند انتهاء المباراة، لم يسمع الوالد الذي كان يرتقب صيحات الفرح سوى صوت آتٍ من الخارج يقول بأدب: «شكراً سيد إيرل». أما الاحتفال الصاخب فكان في بيت رجل أسود توجه إليه الجميع على بعد مئة ياردة.

من فرجينيا، وأن حرباً كانت تدور بين لندن وواشنطن، بسبب محاولة الإنجليز منع الأمريكيين من الاتجار مع فرنسا نابليون بونابرت آنذاك.

كان كريب بطل بريطانيا، أي بطل العالم. وسافر مولينو إلى لندن لينازله. وكان النزال في 18 ديسمبر 1810م. وقد تضافر انحياز الحكام وتدخل الجمهور ليكسب كريب، في الجولة التاسعة والثلاثين، على الرغم من تفوق مولينو المستمر في المباراة، مع ان بعض المتفرجين من الجمهور كانوا صعدوا إلى الحلبة وكسروا له إحدى أصابعه.

وبعد خمسين سنة، تحدى أمريكي من أصل أيرلندي، هو جون هينان، بطل العالم البريطاني توم سايرز. كانت بريطانيا واللعبة أيضاً، قد بدأتا تتراجعان أمام الصعود الأمريكي. ولم يكن أصل هينان الإيرلندي خالياً من الرمز، في نزاله مع البطل البريطاني، حتى أن الخوف من الهزيمة دفع صحيفة «مانشستر جارديان» إلى انتقاد المباراة وطالبت بمنعها. لكن المباراة أقيمت في 17 أبريل 1860م، واستمرت ساعتين وعشرين دقيقة. وفي الجولة الثانية والأربعين، اقتحم الجمهور الحلبة وأوقف اللعب.

لم يكن تداول مرتبة الطليعة في الملاكمة بين الإنجليز والأمريكيين مستغرباً، إذ قال الكاتب فرانك نوريس سنة 1903م: «لدينا جميعاً ما يكفي من صفات الأنجلو سكسون، لنستمتع بالقتال».

منع اللعبة وإجازتها

لا شك في أن العبودية في أمريكا، ثم الحرب الأهلية التي ألغتها، كانت حافزاً قوياً على الترويج للملاكمة في الولايات المتحدة. ولم تكن شدة الإقبال على المباريات بين أسود وأبيض، أو بين إيرلندي وبريطاني أصلاً، سوى الدليل القاطع على الكوامن النفسية والسياسية التي كانت تحرِّك المشاعر في الملاكمين والجمهور على السواء. لكن بعض الولايات (ماساشوستس 1849م، ونيويورك 1859م) سنَّت قوانين، منعت بها المراهنة في الملاكمة. غير أن اللعبة ظلت شعبية جداً، حتى أن تيودور روزفلت الذي صار رئيساً في أوائل القرن العشرين، عدها رياضة الأمم القوية التي لا تليق بالأمم الضعيفة.

تأرجح مصير اللعبة في أمريكا، بين 1880 و1920م، لا سيما بسبب قوانين الحظر، التي لم تحل دون إدمان المتفرجين وإقبالهم الشديد على حلبات انتشرت رغم المنع. ويحفل تاريخ اللعبة في هذه الحقبة بكثير من الأسماء اللامعة والقصص الشهيرة.



Corbis

غير أن كُمون هذه النزعة الأمريكية بدا أشبه بالتحفز، انتظاراً للحظة تشريع الاحتراف والمراهنة في الملاكمة في عشرينيات القرن الماضي، ليحدث ما يشبه الانفجار، فتتحوّل الملاكمة إلى رياضة الأمريكيين الأولى بلا منازع تقريباً، بل انها لم تعد رياضة غيرهم! فالملاكمة أمريكية أولاً وأخيراً.

وبدأت منذئذ تتوالى الأسماء الأسطورية: جاك دمبسي، جو لويس، روكي مارشيانو، شوغر راي روبنسون، جيك لاموتا، فلويد باترسون، سوني لستون، محمد علي (كاسيوس كلاي)، جورج فورمان، مايك تايسون.

المسألة العنصرية.. منبت الأبطال السمر

إن معظم أبطال اللعبة التاريخيين كانوا من ذوي الأصول الإفريقية (أفرو أميركان)، يليهم الإيطاليون والإسبان. فما علاقة لون البشرة بهذا التفوق؟

مما لا شك فيه، يقول المؤرخون، إن الضغوط الاجتماعية التي واجهها السود في أمريكا بسبب سياسة التمييز العنصري ولَّدت لديهم طموحاً نفسياً إلى التفوق. وكذلك، فإن الفقر الذي عاناه هؤلاء إضافة إلى المهاجرين الإيطاليين والإسبان، أضاف إلى هذا الطموح محركاً شديد القوة، ظلَّ فاعلاً بوضوح في القرن العشرين.

وبلغ استخدام القبضتين في مواجهة المسألة العنصرية الذروة، مع كاسيوس كلاي، الذي اعتنق الإسلام وتسمّى: محمد علي. لم يكتفِ محمد علي بالملاكمة، بل أشهر إسلامه ورفض الخدمة العسكرية في فيتنام، ومُنع من الملاكمة وجُرِّد من لقبه، وتحوّل إلى رمز للتمرد على المؤسسة الحاكمة في عهدي لندون جونسون وريتشارد نكسون.

صحيح أنه أخذ يحوّل نفوذه وسمعته لخدمة واشنطن، بعدما دعاه الرئيس جيرالد فورد إلى البيت الأبيض، وقبل تكليف الرئيس جيمي كارتر ليجول في إفريقيا داعياً إلى مقاطعة ألعاب موسكو الأولمبية، ثم أيد رونالد ريجان للرئاسة، وسافر إلى العراق ليتوسط من أجل الإفراج عن أمريكيين احتُجزوا هناك في عهد صدام حسين، إلا أن حقوق السود ظلت قضيته في أي حال.

فقد كان صاحب الهتاف: «قلها بصوت عالٍ، أنا أسود وفخور بذلك». وحين عُرض عليه أن يلعب دور الملاكم الأسود جاك جونسون في فلم: «الأمل الأبيض الكبير» (The Great White Hope)، الذي أخرجه مارتن ريت، سنة 1976م، رفض الدور، مع قوله إنه يحب الملاكم جونسون. كان يمكن أن يلعب دور الأسود الذي يكرهه البيض، لكنه كان يأنف دور الأسود الذي يجري وراء امرأة بيضاء. وقال جيمس إيرل جونز الذي أخذ الدور، إن تمثيله استند إلى مراقبته محمد علي الطويلة.

الملاكمة في صميم الأدب

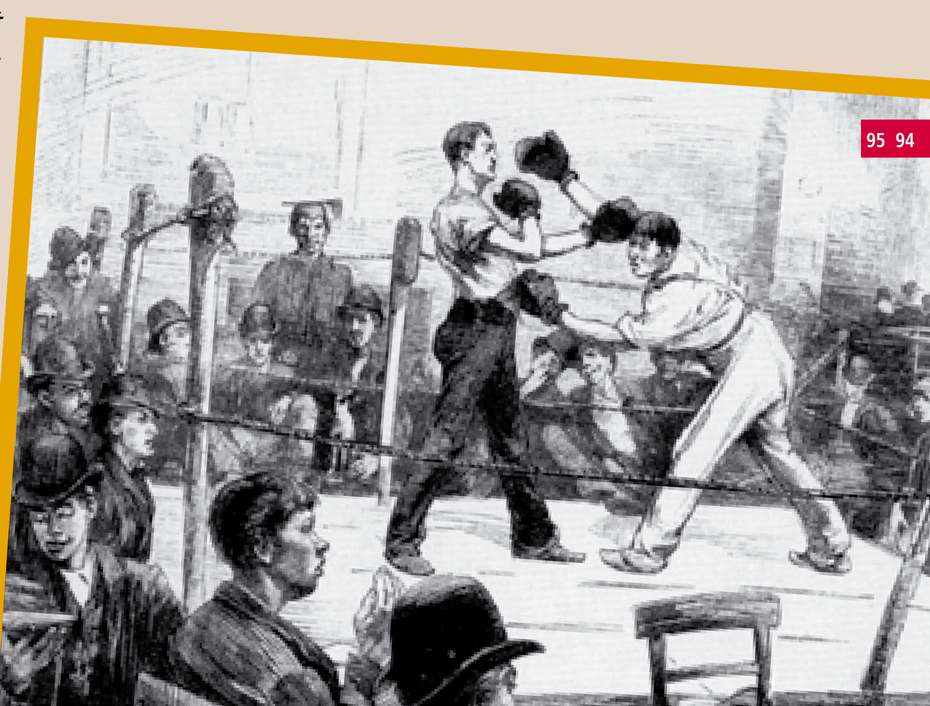
في العام 1964م، قال محمد علي إن «جميع الشعراء الكبار كان يجدر أن يكونوا ملاكمين. خذوا مثلاً كيتس أو شيلي، كانا شاعرين جيدين، لكنهما ماتا شابين. لماذا؟ أتعرفون لماذا؟ لأنهما لم يتمرنا».

ولكن، حتى ولو تركنا جانباً مناقشة صحة هذا القول ودقته، لا يمكننا إغفال عدد الأدباء الذين تورطوا في رياضة الملاكمة ممارسة ودراسة، قبل أن يقدِّم محمد علي نصيحته هذه.

فإضافة إلى الأديب الفرنسي ألبير كامو الذي أشرنا سابقاً إلى عشقه لهذه الرياضة وممارسته لها لبعض الوقت، كان الشاعر الإنجليزي الشهير اللورد بايرون ملاكماً في شبابه خلال مطلع القرن التاسع عشر. ويُروى أن علاقته العاطفية التي هزَّت المجتمع البريطاني آنذاك، مع اللايدي كارولاين لامب، بدأت بإعجاب هذه السيدة بالملاكم بايرون قبل إعجابها بشِعره.

ويُعد الأديب الأمريكي الشهير إرنست همنجواي أكثر الأدباء انغماساً في عالم الملاكمة. فقد كتب أول رسالة أدبية حول الملاكمة وهو لا يزال على مقاعد الدراسة الثانوية في التاسعة عشرة من عمره. ومارس هذه الهواية بعض الوقت، وارتاد حلبات الملاكمة في باريس خلال وجوده فيها. وكثيراً ما كان همنجواي يربط بين الأدب والملاكمة. فمن أقواله المعروفة مثلاً قوله إن الكتَّاب مثل الملاكمين، يغادر الجيل منهم مخلياً الساحة لجيل جديد. وكان يهوى مقارنة نفسه بالكتَّاب السابقين مثل تورجنيف وموباسان وتولستوي، لأنه كان يرى أن «الأمر يشبه منازلة معهم، مثل المنازلة بين الملاكمين». وثمة رسائل تبادلها مع زملائه، يشبِّه فيها المقارعة بين الكتَّاب على أنها نوع من الملاكمة.

والواقع أن الأدب المعاصر في أمريكا أنتج عدداً لا يُحصى من الروايات والأعمال الأدبية التي تتناول الملاكمة من أوجه مختلفة. وكان للمسألة العرقية حصة الأسد منها.





يطير مثل الفراشة..
ويلسع مثل النحلة

قال محمد علي إن «جميع الشعراء الكبار كان يجدر أن يكونوا ملاكمين. خذوا مثلاً كيتس أو شيلي، كانا شاعرين جيدين، لكنهما ماتا شابين. لماذا؟ أتعرفون لماذا؟ لأنهما لم يتمرنا».

وبسبب شعبية هذه الرياضة، واستيحاء معظم هذه الروايات من صميم الحياة اليومية، والطابع التصويري فيها، كان معظمها ينتقل فوراً إلى شاشة السينما، التي حملته إلى العالم بأسره.

الملاكمة في السينما الأمريكية

تتشابه شروط نجاح أفلام الملاكمة كثيراً مع شروط مباريات الملاكمة التي تنظم حقيقة بين الملاكمين. وهذا أمر قلما ينطبق على كثير من أنماط الأفلام الأخرى. ففي الأفلام الأخرى هوة قد تتسع أو تضيق بين الحقيقة والخيال السينمائي.

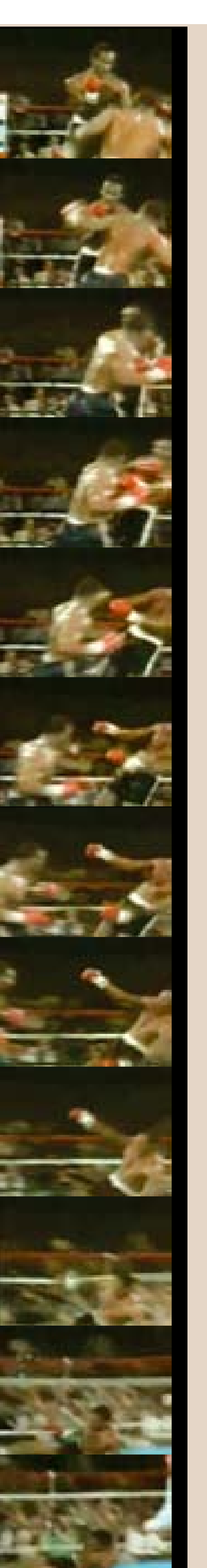
ففي مباريات الملاكمة يؤكد تاريخ القرن العشرين، أن أنجح المباريات وأشدها جذباً للمتفرجين والإعلان والانتباه الإعلامي، هي تلك المباريات التي كان الخصمان فيها ملاكماً محبوباً وسيماً خلوقاً في جانب، يقابله في الجانب الآخر ملاكم شرس كريه، وإذا أمكن، سيئ السمعة.

وتلك تماماً هي شروط نجاح أي فِلم من أفلام الملاكمة، على مر السنين التي عالجت فيها هوليوود وغيرها هذا الموضوع في رواياتها. فالناس تحب الانحياز للخير والجمال والخلق الرفيع في صراعها مع الشراسة والقبح وسوء السلوك. وقد كانت أفلام الملاكمة صورة واضحة ومباشرة للصراع، ولذا استعارت السينما ميزان القيم من على الحلبة، لأن الصراع الرياضي ها هنا صراع واضح بين شخصين لا أكثر، لكنه يمثل صراعاً معنوياً أعمق، يتواجه فيه الخير والشر في نفوس الناس.

وقد لاحظ هذا الأمر بعمق، سوني لستون (1928 – 1970م)، بطل العالم السابق في الملاكمة للوزن الثقيل، حين قال: «مباراة الملاكمة مثل أفلام الكاوبوي، يجب أن يكون ثمة أخيار وأشرار، والناس تذهب لترى الأشرار يُهزَمون».

ولكن المسألة وإن بدت سهلة بسيطة، إلا أنها في الواقع لم تكن كذلك دوماً، لأن على منظم المباريات، ومخرج الفِلم أيضاً، أن يختار: من الخيِّر ومن الشرير. صحيح أن بعض الملاكمين الأبطال ارتكبوا جرائم أو جنايات كرّهت الجمهور بهم، فكان الانحياز ضدهم إذن سهلاً. وصحيح أن السياسة تدخلت أحياناً لتجعل هذا الملاكم خيّراً عند أنصاره، وذاك شريراً، لكن مثل هذه الحالات التي تسهّل الاختيار، لم تكن متوافرة دوماً في تاريخ الملاكمة في القرن العشرين. ولقد كان المنظمون يختارون فيقولون لهذا: أنت الشرير، ولذاك: أنت البطل المحبوب، وكان عليهما أن يلعبا هذا الدور في المؤتمرات الصحافية التي كانت تسبق المباريات. حتى أن بعض التمثيليات المصطنعة هذه كادت تنقلب إلى قتال حقيقي في بعض الحالات.

روكي.. دفع الخيال إلى أقصى ما يسمح به الواقع



«مباراة الملاكمة مثل أفلام الكاوبوي، يجب أن يكون ثمة أخيار وأشرار، والناس تذهب لترى الأشرار يُهزَمون».

ويدل هذا الأمر كم ان السيناريو بين الحقيقة والأفلام في موضوع الملاكمة، يكاد يتطابق تطابقاً تاماً. لكن في أفلام الملاكمة ناحية أخرى تخاطب نفسية مشاهد الفِلم، مثلما تخاطب نفسية مشاهد المباراة الحقيقية، وهي غريزة العنف والتوق إلى رؤية صراع، أي صراع، وربما رؤية الدم يسيل، من دون أيما علاقة بخير وشر. وفي هذا أيضاً يلتقي الفِلم مع الحقيقة، على نحو يجعل للسينما دوراً مؤثراً حقاً في حياة الناس، لا من الناحية الأخلاقية، أو الناحية الثقافية والفنية وحسب، بل من الناحية الحسيّة والنفسية أيضاً.

إن عمق هاتين الغريزتين: غريزة الخير والتوق إلى رؤية الشر ينهزم، وغريزة التنفيس عن احتقان العنف في داخلتنا، جعل نمط أفلام الملاكمة نمطاً لا تنقضي سنة من دون أن تكون له فيها حصة من الإنتاج الجديد. وقد بلغ عدد أفلام الملاكمة حتى سنة 2007م، في إحصاء عالمي، 936 فِلماً منها الأفلام السينمائية والتلفزيونية وأفلام التوثيق.

وكان أول الأفلام صامتاً بالطبع، وظهر سنة 1926م في هوليوود، وكان عنوانه: قل هذا لمشاة البحرية (Tell it to the Marines). وفي السنة نفسها ظهر فِلم: كبير الخدم المقاتل (The Battling Butler)، الذي أخرجه باستر كيتون. وفي هذا الفِلم، يتخذ المخرج مسلكاً لا علاقة له أبداً بلعبة الخير والشر، إذ ان القصة تدور حول شاب يدخن، فيدفعه والده إلى رياضة الملاكمة، ليقلع عن التدخين. ويقع الشاب في حب فتاة، ولما كان في الأصل لم يولد ملاكماً، وكان في الوقت نفسه يريد أن يثبت لفتاته قوته وجدارته، يقع في مواجهة ملاكمين ليس في قوتهم. وتختلط في مشاهد الملاكمة مشاعر الشفقة والرغبة في الضحك، في عمق مثير للإعجاب. ويحتوي الفِلم على مشاهد لحلبة الملاكمة بعد المباريات، توحي الوحشة والفراغ، بعد الاحتفال الصاخب الحاشد الذي تشهده المباريات في العموم.

ثم أخذت تتوالى أفلام أخرى، حتى ظهرت في 1931م، تحفة تشارلي تشابلن: أضواء المدينة، وهي فِلم يروي قصة متشرد صعلوك نحيل الجسم، قصير القامة (تشابلن)، يقع في حب بائعة زهور ضريرة، فيقرر إعانتها على عيشها، ويدخل عالم الملاكمة ليكسب المال من أجل هذا، ويواجه الملاكمين العمالقة في قصة تختلط فيها دموع الضحك بدموع التأثر، لزخم العاطفة التي يبديها العبقري البريطاني في فِلمه الخالد.

ومن السيل الذي يضم قرابة الألف فِلم نذكر:

- كيد جالاهاد (Kid Galahad)، سنة 1937م، من روائع أفلام الملاكمة، أخرجه مايكل كورتيز. وهو يُدخل المشاهد في الجو الموبوء الذي ارتهن في أذهان الناس باسم آل كابوني، زعيم عصابات المافيا الشهير. ففي تنظيم مباريات الملاكمة مصالح، تحوّل الرياضة إلى تجارة، يدخل في حسابها رشوة الملاكمين لافتعال نتائج تناسب مراهنات معينة. في هذا الفِلم يبدع المخرج في تصوير لعبة إخضاع القوي الساذج (الملاكم) لأوامر الفاسد (منظم المباريات). ولا بد بالطبع من قصة حب بين الملاكم وحبيبته (بيتي دافيس)، التي



أفلام الملاكمة.. لم تغب عن السينما منذ أيام الأفلام الصامتة وحتى اليوم



المرأة على الحلبة؟!

فـي العـام 1889م، استغـرب الناس مجـرد قبول بطل الملاكمة جـون سوليفان بإجراء مقابلـة مع الصحافية نيلـي بلاي العاملة في صحيفـة «نيويورك وورلد». فحتى آنـذاك كانت المرأة مستبعدة عـن كل ما يمت إلى عالم الملاكمة بصلة. وعندمـا حضر عدد من النسوة مباراة بيـن نلسـون وبريت عـام 1905م، شكَّل الأمـر خبراً في صحيفة «سان فرانسيسكو إجزامنر».

ومع العلم أن حضور النساء لمباريات الملاكمة بدأ يباح عـام 1915م على نطاق ضيق في أمريكا، إلا أن مباريات النساء على حلبات خاصة بهن كانت قد بدأت تنظم منذ العام 1911م.

ولكـن، حتى اليـوم، لم تكتسـب الملاكمـة النسائية أية شعبية، لا بل لا تزال تبدو منفرة إلى الكثيرين. حتى وإن كان احتراف ابنة محمـد علي لهذه الرياضة قد أكسبها بعض المساحة في الصحف.

مـن جهتها صوَّرت السينمـا أكثر من فِلم حول دور بعض النساء في التدريب وإدارة أعمال الملاكمين، كان آخرها «ضد الحب» الذي قامـت ببطولته ميغ رايان. ولكن هذه الأدبيـات المتخيلـة، تبقـى ضمـن الجهـود الإعلاميـة للحـركات النسائيـة (وأمنياتها)، أكثـر مما هي حقيقة تستحق التوقف أمامها في عالم الملاكمة.




Getty Images


Getty Images


Getty Images

تترقب الوقت المناسب لإخراج حبيبها من هذا الجو سليماً في نفسه وفي جسده، قبل أن يقضي عليه فساد الجو.

- مدينة للغزو (City for Conquest)، سنة 1940م، إخراج أناتول ليتفاك. فِلم موسيقي، ضم عناصر قصة حب وقصة ملاكمة وروى في بعض مشاهده البذخ المفرط. وهو قصة داني كيني (جيمس كاغني)، الملاكم الذي يطمح إلى تسلق المجد من حي الفقراء في نيويورك، أما حبيبته فسلّمها إلى المجد هو الرقص، ويريد أخوه أن يكتب سمفونية عن الحياة في نيويورك، بجمالها وقبحها. وصار الفِلم نموذجاً اتبعته أفلام كثيرة بعدئذ.

- جسد وروح (Body and Soul)، سنة 1947م، إخراج روبرت روسن. فِلم آخر يروي ارتهان عالم الملاكمة بالغش والتجارة وتزوير النتائج سلفاً. يبرز فيه الممثل جون جارفيلد ببراعته في الملاكمة، وقوة ضرباته التي لا تصل إلى العنف الذي أبداه روبرت دي نيرو فيما بعد.

- البطل (Champion)، سنة 1949م، إخراج مارك روبسون. هي قصة شاب (كيرك دوجلاس) يقع في ورطة مالية، فيضطر إلى الملاكمة ليسدد الدين، ويتعثر في مبارياته الأولى، لكن موهبته سرعان ما تترسخ، ويبرز على الحلبة. روبسون أخرج فِلمين، هذا أحدهما، عن فساد مجتمع منظمي مباريات الملاكمة. ومع ان القصة عادية، إلا أن دوجلاس، الذي جعله الفِلم نجماً ساطعاً، أبدى شراسة ونهماً للشهرة، وطلباً للاحترام.

- الترتيب (The Set-Up)، سنة 1949م، إخراج روبرت وايز. فِلم آخر يروي جو الغش في دنيا تنظيم المباريات وترتيب النتائج فيها. وفيه مشاهد ملاكمة، ينقلب فيها التمثيل إلى صراع وقتال شبه حقيقي بين الملاكمين، لم يكن معهوداً في الأفلام. لكن المشاهدين في تلك السنة فضلوا عليه فِلم البطل.

- من هنا إلى الأبد (From Here to Eternity)، سنة 1953م. فاز بجائزة أوسكار. إخراج فريد زنمان لرواية جيمس جونز. حشد مجموعة نجوم على رأسهم مونتغمري كليفت وبرت لانكستر وفرانك سيناترا وديبورا كير. وهو يروي قصة جندي ملاكم خجول اسمه لي (كليفت)، في هاواي، قبيل هجوم بيرل هاربور. يحثه الضابط على الانضمام إلى نادي الملاكمة، لكنه يرفض بعناد. يكلف الضابط العريف ملتون (لانكستر) أن يحول حياة لي الجندي الملاكم جحيماً. ويرتبط لي بصداقة مع زميله الجندي أنجلو (سيناترا). وفي تتابع حوادث القصة يُضرب أنجلو حتى الموت، فينتقض لي في بقية القصة لينتقم لصديقه. الفِلم من تحف هوليوود الخالدة حتماً.

- كلما كان سقوطهم عظيماً (The Harder They Fall)، سنة 1965م، إخراج مارك روبسون. يشكو منظم المباريات من أن الشبان لم يعودوا يرغبون في الملاكمة، ويريدون الذهاب إلى الجامعة. يبحث عن مغمورين ليصنع منهم أبطالاً، فيعثر على مهاجر أرجنتيني، تورو مورينو، وهو عملاق لا يعرف من الملاكمة شيئاً. لكن ترتيب النتائج يجعل منه نجماً، فيكسب الجميع ثروات، إلا مورينو. هذا الفِلم يريدك أن تكره الملاكمة. لكن بعض النقاد يقول إنه يريد أن يفضح فساد التنظيم، من أجل تطهير السوق من الوحول التي علقت بها. بعد سنوات كان سوني ليستون وجيك لاموتا، وغيرهما من الملاكمين، يشهدون في اللجان الرسمية القضائية، في شأن الرشاوى والفساد هذه. لكن سرعان ما كان ظهور الملاكم الشاب كاسيوس كلاي (الذي اعتمد اسم محمد علي)، يقلب المقاييس، ويعيد إلى الملاكمة نضارتها وثقة الجمهور.

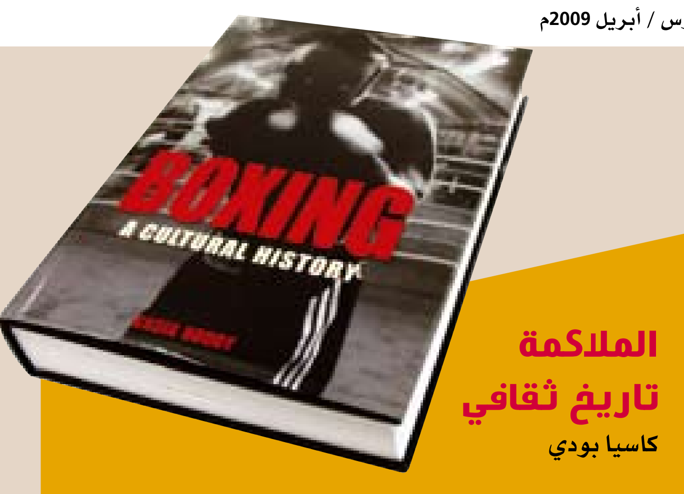


Corbis

- أحدهم فوق يحبني (Somebody Up There Likes Me)، سنة 1965م، إخراج روبرت وايز. بول نيومن يلعب دور بطل العالم الملاكم روكي غرازيانو، في فِلمه الثاني ببراعة مثيرة. والقصة تروي حياة بطل الملاكمة العاصفة. وقد درب غرازيانو نيومن على الملاكمة من أجل إتقان أسلوبه في الفِلم، الذي كان سبب شهرة نيومن الواسعة.

- الأمل الأبيض الكبير (The Great White Hope)، سنة 1970م، إخراج مارتن ريت. الفِلم مقتبس عن المسرحية التي كتبها هوارد ساكلر في العام 1967م، وتروي قصة حب بين ملاكم أسود وامرأة بيضاء. غير أن الفِلم لم يلقَ النجاح المنتظر لأن السود الأمريكيين رأوا فيه تعظيماً لقصة حب رجل أسود لامرأة بيضاء، في حين رأى فيه البيض مواعظ كثيرة ومساعي لتأنيب ضميرهم أكثر مما يتحملون.

- المدينة البدينة (Fat City)، سنة 1972م، تحفة المخرج جون هيوستون، لرواية ليونارد غاردنر. يكاد الفِلم ألا يكون فِلم ملاكمة، من عمق تحليل الشخصيات التي يتناولها. ولما كان هيوستون في



الملاكمة تاريخ ثقافي

كاسيا بودي

من نقوش القدامى في وادي الرافدين، إلى ملصقات الدعاية للمباريات على الطريقة الأمريكية، والصور الفوتوجرافية التي حفلت بها الجرائد في القرن العشرين، يروي الكتاب بالصورة والنص الجذابين، تاريخ هذه الرياضة النبيلة، وتاريخ الفنون التي احتفلت بها على مر العصور، رسماً وتصويراً وأفلاماً وحتى غناءً.

وضعت كاسيا بودي، في 478 صفحة ما قد يكون أهم المراجع عن الملاكمة باللغة الإنجليزية. فهي تشرح بتوسع في هذا الكتاب، قيمة الملاكمة في حياة البشر، في قضايا تراوح من الطبقية إلى العنف والتاريخ والاحتراف والترفيه والعقائد والسياسة والعنصرية والوطنية، وأمور أخرى على صلة وثيقة بهذه الرياضة الثرية بالمعاني.

Boxing – A Cultural History
By Kasia Boddy
Reaktion Books, London, 2008

Magnum Photos

شبابه ملاكماً هاوياً، فإن هذه الهواية ظهرت في معالجته اللعبة بمحبة واضحة.

- روكي (Rocky)، سنة 1976م، إخراج جون ج أفيلدسن. كتب القصة ولعب دور البطل سلفستر ستالوني، ويميل النقاد الجادون إلى رفض وضعه في المرتبة التي رفعها إليه المشاهد. إلا أن الفلم محطة لا تُغفَل في تاريخ أفلام الملاكمة. ذلك أن هذا الجمهور الذي أحبه، إنما أحب فيه أشياء، منها لا شك، النكهة الأمريكية المحلية. وعلى الرغم من أن هذا الفلم كان صادقاً ومقنعاً في تصوير قصة «البطل العائد»، إلا أن ترداد الفكرة ذاتها في أفلام ستالوني اللاحقة، أساءت إلى هذا الفلم الأول في سلسلته.

- البطل (The Champ)، سنة 1979م، إخراج فرانكو زيفيريلي: قصة مؤثرة حول ملاكم متقاعد يتولى تربية ابنه الصغير بعدما طلّق زوجته، ويسعى للعودة إلى الملاكمة ليؤمّن حياة أفضل لابنه، فيدفع حياته ثمناً لذلك. وهو من بطولة جون فويت وفاي دوناواي والطفل ريكي شرويدر الذي حاز جائزة غولدن غلوب كأفضل ممثل جديد في السينما..

- الثور الهائج (Raging Bull)، سنة 1980م، إخراج مارتن سكورسيزي. حبكة متخيلة حول حياة الملاكم جيك لاموتا، الذي كان عليه في بداية سيرته أن يلعب للهزيمة، قبل أن يسمح له منظمو المباريات، بأن يسعى في الفوز. يصور الفلم كل مكونات بيئة المهنة، من ترتيب النتائج إلى فكرة الصعود إلى المجد، إلى الفساد المستشري. ويبين الفلم قصة هذا الملاكم، الذي تفوق على كل العوامل في إلحاق الأذى بنفسه. يتفوق الفلم بالتقنية العالية، ويدهشك أن روبرت دونيرو زاد وزنه 25 كيلوغراماً، ليؤدي الدور.

- أنوف محطمة (Broken Noses)، سنة 1987م، إخراج بروس ويبر. فلم توثيق، يعتنق فكرة المخرج القائلة: «أحب أن أرى ولداً طيباً يقاتل». وهو يتناول الملاكم الصغير أندي منسكر، والنادي الذي يديره للملاكمين الفتية. والفلم توضيب ممتاز لمشاهد العضلات

بريطانيا تلاكم بقبضات يمنية وجمايكية

تحاول بريطانيا جاهدة إيجاد مكان لها في عالم الملاكمة، يعيد إليها ما خسرته لصالح أمريكا منذ أكثر من قرن. ولم تجد لهذه الغاية غير استقطاب الملاكمين من جنسيات مختلفة ومنحهم جنسيتها.

نسيم حميد.. إسهام عربي وحيد

في 12 أكتوبر 1994م، كان العربي اليمني الإنجليزي الجنسية، نسيم حميد الملقب «البرنس نسيم» أو «ناز»، يسجل أول إسهام عربي على قمة الملاكمة العالمية، ففي ذلك اليوم، لعب نسيم في مواجهة فريدي كروز، للفوز بلقب بطل العالم الذي يمنحه اتحاد الملاكمة العالمي في وزن الديك. قبل المباراة سمّى كروز خصمه المنافس نسيم: الولد الصغير، وكانت تلك غلطة أشعلت غضب الملاكم العربي، الذي صب جام غضبه هذا على كروز، وهزمه بوقف المباراة لعدم التكافؤ في الجولة السادسة. وصار نسيم «البرنس»، بطلاً للعالم.

ولد نسيم في 12 فبراير 1974م، من أبوين يمنيين، في شفيلد، وحمل الجنسية البريطانية، وأرسله أبوه وهو في السابعة، إلى نادٍ للملاكمة، فتدرج في اللعبة، حتى بدأ الاحتراف في مباراة أمام الملاكم ريكي بيرد، في 14 أبريل 1992م، كسبها بالضربة القاضية في الجولة الثانية.

ومنذئذ أخذ يكسب المباريات واحدة بعد الأخرى، كانت أهمها فوزه ببطولة العالم، اللقب الذي احتفظ به سنوات سبع، حتى خسره بالنقاط لصالح ماركو باريرا، في لاس فيجاس، في 7 أبريل 2001م.

وظل نسيم وفياً لحقيقة هويته العربية، ففي 21 أبريل 2002م، أعلن أنه سيتولى رعاية 3 آلاف عائلة فلسطينية من مخيم جنين الذي اجتاحته الدبابات الإسرائيلية، وتبرع بشراء المواد الغذائية لهذه الأسر. ودعا نسيم إلى توفير اللبن والماء للأطفال الناجين من المذبحة.

والجمايكي لينوكس لويس

أما الملاكم الثاني الذي يسهم في صنع تاريخ إنجلترا في عالم لعبة الملاكمة فهو لينوكس لويس، بطل العالم في الوزن الثقيل، بعد الفوز على الأمريكي هولفيلد. فقد خطف الإنجليز هذا الملاكم الجمايكي الأصل، ومنحوه الجنسية من أجل اللعب لهم، ووافق الملاكم الذي لعب تحت الجنسية الكندية لفترة، ولكنهم لم يمنحوه الاهتمام الكافي.

وفاز لينوكس لويس بلقب بطل العالم بعد تفوقه الواضح والطاغي على منافسه هولفيلد في مباراتين، انتهت واحدة بالتعادل في عدد النقاط، والثانية بالفوز بالضربة القاضية.

Corbis



لوحة جورج بيلوز.. تجاوزت الموضوع لتؤسس تياراً جديداً في الفن المعاصر

الفتيـة المفتولة والخصـور المرنة والأرجل المتحركـة. ويمتاز الفِلم بأنه خرج من جو الطمع والتجارة باللعبة، إلى جو محبتها.

– حين كنا ملوكاً (When We Were Kings)، سنة 1996م، إخراج ليون غاست. فِلم توثيق عن البطل محمد علي. الفِلم يصور عبقريته المقاتلة، وجاذبيتـه الطاغية، وسلطته فـي المجتمع الأمريكـي الإفريقي، حيث كانـت آراؤه الاجتماعية والسياسية محركاً للرجال والنساء في العالم. ويحتوي الفِلم على مشاهد من اللقاء التاريخي سنة 1974م بين محمد علي وجورج فورمان، الذي كان يُعتَقد أنه خطر ولا يُهزَم. وكانت المباراة فـي كنشاسا، أمام ناظري موبوتو سيسي سيكو، رئيس الكونجو آنذاك. ويحـب النقاد الفِلم لأنه يطغى بصورة الملاكمـة النظيفة التي تحظى بالاحتـرام، علـى صـورة الملاكمـة القـذرة التـي دخلتهـا الصفقات والجريمة.

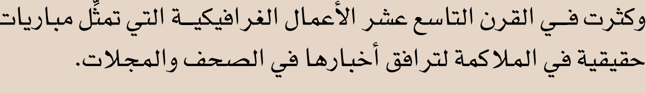
– طفلـة المليـون دولار (Million Dollar Baby): سنة 2004، إخراج كلينـت إيستوود، كتابة بول هاجنـز، وقد استوحى هذا الأخير الحبكة مـن مجموعـة القصـص القصيـرة «روب برنـز» (حـروق الحبال) لدجيري بويد. يدور الفِلم حول امرأة ثلاثينية تهوى الملاكمة، وحول مـدربٍ للملاكمـة كان قد قرّر من زمـن بعيد ألّا يعـود للتدريب، فإذ بـه يجـد نفسه وقد عاد عن قـراره لأجلها. ماغي، وهـو اسم البطلة، تشغـف بالملاكمة حـد الاحتراف والتألّـق، إلّا أن شغفهـا إيّاه ينقلب عليها مأساةً تؤدّي إلى موتها. نال الفِلم أربعة أوسكارات، منها جائزة أفضـل أداء نسائي في دور رئيس التي نالتها الممثلة هيلاري سوانك. الفِلـم، فضلًا عن جـودة إخراجه والعلاقة الأبويـة التي ينسجها بين الملاكمـة ومدربها، ينفرد في كونه يضع المـرأة وسط دائرة الضوء وعلى الحلبة في آن.

الملاكمة في الفن التشكيلي بين التوثيق والخطاب الاجتماعي

تقدِّم الملاكمة مشهداً متكاملاً جذاباً للرسم، من دون حاجة الرسام إلى شغـل نفسه في تعديل الوضعيات وإخراج المشهـد. فطالما أن موضوعها المواجهـة بيـن شخصيـن، يصبح تركيـب اللوحة محـدداً. البطلان في الوسـط. وطالما أن الجمهور يحيط بالحلبة، تصبح خلفية اللوحة جاهزة أيضاً. وما على الفنان إلا أن يتفرغ إلى التحدي على صعيد دراسة الأجسام في حركاتها، ورسمها بأقصى حد من الأمانة لتكوينها ولحركتها.

وبشكل عـام، يمكن القـول إن اللوحات التي تمثِّـل الملاكمين ومشاهد الملاكمة تنقسم إلى فئتين:

فئـة توقفت أمام الشكل فسعـت إلى تدوين جمالياتـه وتوثيقها. ومن أبـرز الأساتذة الذيـن درسوا رسماً فـن الملاكمة نذكـر الانطباعي الفرنسـي تيودور جيريكو، الـذي أنجز رسوماً كثيـرة وبعض الأعمال الليتوغرافية للملاكمين عام 1818م، تستمد قيمتها الفنية من الطابع الدراسي لجسم الإنسان أولاً، وتخلو إلى حد بعيد من أي خطاب نفسي أو اجتماعي.



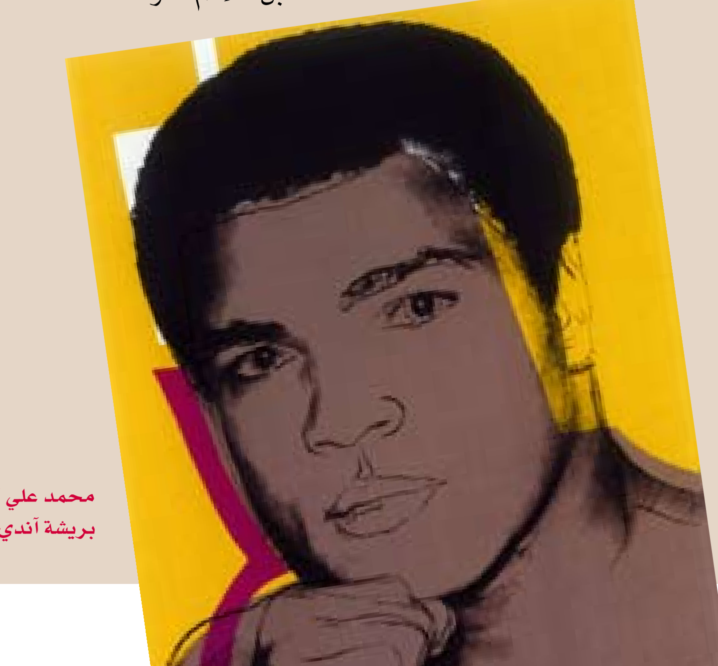
وكثرت في القرن التاسع عشر الأعمال الغرافيكية التي تمثِّل مباريات حقيقية في الملاكمة لترافق أخبارها في الصحف والمجلات.

ومع أن التركيز على الشكل الجمالي لمشهد الملاكمة أو الحلبة ظَلَّ الدافع الأساس عند الفنانين الذين رسموه، فمنذ مطلع القرن العشرين، ونتيجة لتلاحم أحوال هذه الرياضة بالأحوال الاجتماعية والاصطفاف الذي تثيره، ظهرت في المدرسة الأمريكية بشكل خاص، فئة من لوحات الملاكمة التي لا تخلو من خطاب اجتماعي أو أخلاقي في غاية الوضوح. ومن أبرز الرسامين في هذا المجال نذكر جورج بيلوز.

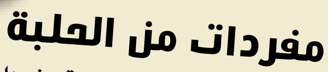
في العام 1909م، رسم بيلوز لوحته الشهيرة «ستاغ آت شاركي»، وفيها نرى ملاكمين والحكم على حلبة تحيط بها من الأسفل وجوه الجمهور المشاهد.

فنياً، تجاوزت هذه اللوحة كل المدارس الرائجة آنذاك، بتقنيتها ونظرتها إلى ماهية الواقع. فالرسام على حد قوله بنفسه: «لم يرسم أجساماً، بل رسم الحركة». والحركة في هذه اللوحة عنيفة صاخبة بشكل يبعث على الصدمة. أما وجوه الجمهور فتختلف عن وجوه جماهير الملاكمة كما كانت تظهر في لوحات الفنانين الآخرين. إنهم هنا أشبه بمسوخ، وذوي تعابير على وجوههم غير قابلة للقراءة بوضوح.

وفي العام نفسه، رسم جورج بيلوز لوحة ثانية تمثِّل ملاكمين على الحلبة أحدهما أبيض والآخر أسود. ويكمن خطابها الصريح في اسمها: «كلاهما عضو في النادي». ففي إطار سعي الحكومة الأمريكية آنذاك إلى منع الملاكمة، وضعت شروطاً من ضمنها أن على الجمهور أن يكون عضواً في النادي الذي تقام فيه المباراة. ولكن كانت هناك قوانين تمنع الاختلاط العِرقي في الأندية، كان لابد من التحايل عليها لإبقاء الملاكمة ممكنة. واستمر بيلوز حتى العشرينيات أكثر الرسامين انغماساً في رسم الملاكمة على ضوء التحولات الاجتماعية، وصولاً إلى لوحته «الأمل الأبيض» التي تمثِّل ملاكماً أبيض طُرح أرضاً من قبل ملاكم أسود.



محمد علي كلاي
بريشة آندي ورهول



مفردات من الحلبة

خرجت من حلبة الملاكمة مفردات ومصطلحات بدت صالحة للتعبير عن أمور بعيدة كل البعد عن هذه الرياضة. فشاع استعمالها في مجالات مختلفة. ومن هذه المصطلحات نذكر:

- **الضربة القاضية**: للإشارة إلى حسم خلاف أو شجار أو حتى مجرد تضارب في وجهات النظر، عندما ينتصر أحد على آخر بشكل مفاجئ لا يترك للآخر مجالاً للاستمرار في ما هو عليه من موقف أو رأي، بعبارة أخرى عندما يقضي شخص على شخص آخر ويخرجه من المواجهة، سواء أكانت هذه المواجهة نقاشاً أم مسيرة مهنية..

- **القبضة الحديدية**: للإشارة إلى إحكام السيطرة على أمر أو شيء معين. ويستخدم هذا التعبير بشكل خاص في عالم السياسة للإشارة إلى ضبط الأمور العامة بالقوة، كما يستخدم في الحديث عن المؤسسات وحتى على صعيد مجموعة صغيرة من الأفراد كالعائلة.

- **الضرب تحت الحزام**: لأن الضرب تحت الحزام ممنوع في الملاكمة، راج هذا التعبير للإشارة إلى كل تجاوز للحدود المقبولة من قبل أي شخص في تعرضه كلامياً أو عملياً لشخص آخر.

ومنـذ ذلك العصر، ظل فن الرسم يرصد عالـم الملاكمة بكل ما فيه، وصولاً إلى صورة محمد علي كما رسمه الفنان اندي ورهول عام 1977م، وفق مذهبه الفني الخاص برسم أبرز الشخصيات التي صاغت الثقافة الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين.

كمـا وجد فنانون كثيـرون قبل ورهول فـي عالم الملاكمة مـادة دسمة لمواضيع مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال «المتآمرون» التي رسمها ارشيبالـد موتلي عـام 1933م، لتعكـس وجود شكوك حـول طبخ نتائج بعض المباريات سلفـاً. وفيها نرى أربعة رجال يحيطون بخامس جالس إلـى الطاولة وأمامه ورقة لشرح الخطـة. ولتوكيد نوعية المؤامرة، نجد على الحائط خلف الرجال لوحة زيتية تمثل مشهد ملاكمة.

وأخيـراً، نشير إلـى أن بعض الفنانيـن استخدم الملاكمـة للتعبير عن وجهة نظره الشخصية في البطل والبطولة، كما هو الحال في لوحة بني أندروز «البطـل» التي نرى فيها ملاكماً يجلس في ركن الحلبة وقد تورم وجهـه حتى تشوهت ملامحه، وقد غطَّـى رأسه (دليلاً على حساسيته) بمنشفة بيضاء ملطخة بالدماء.. بعبارة أخرى، البطل الذي ليس فيه ما يدعو إلى الإعجاب أو الانبهار.



Google

... أغنية للملاكم

يجعل الثنائي الأمريكي سايمون و غارفونكل من الملاكم رمزاً للإنسان في صراعه مع الحياة، وذلك في أغنية «الملاكم» التي صدرت لهما عام 1969م، والتي حققت نجاحاً لا بأس به في الولايات المتحدة آنذاك.

وتمزج الأغنية نمط الروك بنمط الغناء الشعبي الأمريكي، ويميِّزها تحديداً كورسها الحزين المستعيض عن الكلمات بنغمة «لاي لا لاي» متكررة، تصحبها نقرات متقطعة على الطبل تذكِّر السَّامع بخبط قبضة الملاكم على كيس الرمل، أو حتى على وجه خصمه. هذا، ولكلمات الأغنية عمومية تجعل أياً كان قادراً على التواصل معها.

والأغنية هي حكاية فتىً يرويها بنفسه، قدم إلى نيويورك تاركاً أهله وبيته وراءه، وباحثاً عن رزقه وسط الأغراب، ليجد نفسه وقد داهمه العمر، وقد بسط ألبسته الشتوية أمامه، وكأنَّه يستعد لحزمها. المفارقة تأتي في المقطع الأخير من الأغنية، حيث يتحول السرد إلى ضمير الغائب، ليصف ملاكماً، ألا وهو الفتى آنف الذكر، قد أعيته الضربات وقرر مغادرة حلبة الملاكمة، دون أن يفعل ذلك فعلاً. اشتهر الثنائي بالغناء الإنساني، ولهما أغنية معروفة، في فِلم «الخرِّيج» (The Graduate)

كلمات أغنية **الملاكم**

سايمون وغارفونكل

أنا مجرد ولد فقير، ومع ذلك فإن قصتي غالباً ما تُروى..
بددت قواي من أجل حفنة من الترهات والوعود..
مجرد أكاذيب وسخريات، ويظل الإنسان يسمع ما يود سماعه ويهمل الباقي

عندما تركت بيتي وأسرتي، كنت مجرد فتى برفقة غرباء..
في محطة القطار، كنت أركض خائفاً وأختبئ..
راجياً الوصول إلى مناطق أفقر، يقصدها البؤساء..
الباحثون عن أماكن يمكنهم أن يرتاحوا إليها.

طلبت بدل أتعاب عامل فقط، فقد جئت أبحث عن وظيفة،
ولكني لم ألقَ أي عرض،
مجرد «تعال» من ساقطات الجادة السابعة..
وأعلن أنه كانت هناك أوقات من الوحدة
وجدت فيها بعض الراحة هناك.

إن السنوات تمر بجواري الآن..
أصبحت أكبر سناً مما كنت في الماضي،
وأصغر سناً مما سأكونه، وليس في الأمر أية غرابة.
لا ليس غريباً بعد توالي التغيرات أن تكون، إلى حد ما، ما كنَّا عليه.
بعد كل التغيرات، نبقى، إلى حد ما، ما كنَّا عليه..



مايك تايسون.. المسألة الأخلاقية

لم يعد هناك من يجرؤ على الادعاء أن العقد الأول من القرن الحادي والعشرين هو واحد من العقود الذهبية (أو حتى الفضية في تاريخ الملاكمة). فالآمال التي انتعشت في أواخر الثمانينيات ومطلع التسعينيات من القرن العشرين، بظهور أبطال تاريخيين يرثون محمد علي ويحفظون لهذه الرياضة وهجها، تبددت وانتهت إلى خيبة. ولهذه الخيبة اسم واضح: مايك تايسون.

حقق تايسون في حياته كملاكم انتصارات باهرة، بدأت بفوزه عام 1982م، وهو في السادسة عشرة بالميدالية الذهبية في الألعاب الأولمبية للناشئين، ومرت بكونه أصغر رجل يفوز ببطولة العالم للوزن الثقيل عام 1986م، وكان عمره عشرين سنة وأربعة أشهر تحديداً، لتنتهي بعد سلسلة من الانتصارات بأكثر الأشكال إثارة للجدل على الصعيدين الرياضي والأخلاقي.

فعند بدايات انتقاله إلى الاحتراف، فاز تايسون بتسع عشرة مباراة متتالية بالضربة القاضية، (اثنتا عشرة مرة خلال الجولة الأولى)، الأمر الذي أثار وسائل الإعلام والجمهور من خلفها، فعلقت عليه الآمال الكبيرة ليكون وريث محمد علي كبطل تاريخي لا يُقهر.

وبالفعل، يعترف أبطال الملاكمة الذين نازلوه أنهم كانوا يخشون لكمه بسبب قوته الجسمانية التي يضيف إليها النقاد سرعة الخاطر واليد، الدقة، التنسيق، القوة، وحسن التوقيت.

في العام 1998م، صنَّفت مجلة «رينغ» المتخصصة مايك تايسون في المرتبة الرابعة عشرة بين «أعظم الملاكمين من الوزن الثقيل في التاريخ». وقبل ذلك بسنوات ثلاث، تم تصنيفه وفق برنامج كمبيوتر يأخذ بعين الاعتبار عوامل عديدة، على أنه الرابع بين أبطال آخر خمسين سنة، والسابع بين كل أبطال الملاكمة عبر تاريخها. ولكن هذا التقدير الرياضي الكبير، ظل من دون الهالة التي تحيط عادة بأبطال أقل شأناً من تايسون.

ففي العام 1992م، أدين تايسون بجريمة اعتداء جنسي، وسُجن لمدة سنوات ثلاث. وبعد خروجه من السجن، حاول استعادة مكانته الرياضية، فنجح بذلك جزئياً قبل أن يُهزم على يد إيفاندر هوليفلد عام 1996م. أما المباراة المعادة بين البطلين في العام التالي فقد انتهت بشكل صدم العالم بأسره، عندما أطلق تايسون غرائزه من عقالها وقضم قطعة من أذن خصمه، فصدر الحكم عليه بعدم الأهلية للفوز.

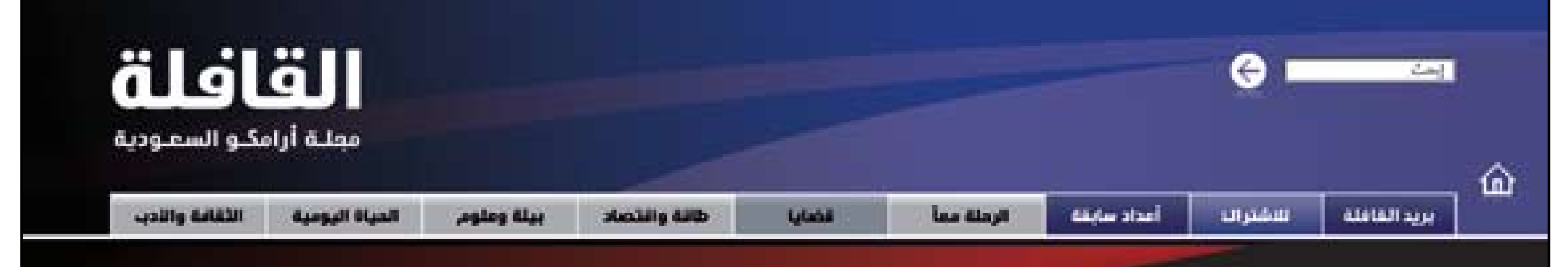
ولم تنجح مساعي تايسون في استرداد لقبه، فخسر أمام لينوكس لويس عام 2002م وأمام داني وليمس وكيفن ماكبرايد عام 2005م، تاريخ اعتزاله وهو في الحضيض.

في الحضيض.. لأن قسماً كبيراً من الجمهور انفضَّ من حوله. فبعدما كان يحظى الرجل بألقاب مثل: «فتى الديناميت»، أو «مايك الحديدي»، صار يلقَّب بـ «أسوأ رجل في العالم»..

وبموازاة إعلانه إفلاسه عام 2003م، على الرغم من أن مداخيله بلغت 300 مليون دولار خلال حياته المهنية، كانت وسائل الإعلام تنقب في طفولة الرجل، إمعاناً في تحطيم صورته، لتكشف أن هذا البطل اعتقل من قبل الشرطة 38 مرة قبل أن يبلغ الثالثة عشرة من عمره. وبعد أن تجاوز الأربعين من عمره، اعترف أمام المحكمة بأنه يتعاطى الممنوعات.. ناهيك عن سلسلة المشكلات والمشاكسات مع جهات عديدة. بحيث أن صورته أمام الجمهور في العالم بأسره باتت تقتصر في أحسن الأحوال على إثارة الشفقة عليه. والشفقة، على الرغم من طابعها الإنساني، هي نقيض الشعور الذي يفترض بصورة البطل أن تثيره في جمهوره.

إذ على الرغم من مخاطبتها للغرائز الكامنة في النفس البشرية، تبقى الملاكمة وبطولاتها وأبطالها مقيدين بشروط أخلاقية. وقد فشل مايك تايسون فشلاً ذريعاً في الارتقاء أخلاقياً إلى مكانة محمد علي، أما الذين انتصروا عليه بقوا أقل شأناً من أن ينسبوا إلى أنفسهم مهارات الأبطال التاريخيين.

وقد أسهم هذا السلوك المنفّر، مع مشكلات صحية تصيب دماغ الملاكم، إلى حد وفاة بعض الملاكمين، مع اشتداد النزوع إلى العنف غير الرياضي على الحلبة، في أفول الكثير من وهج نجم هذه الرياضة، التي ارتهن تاريخها بالنبل... فيما مضى.







* لحظة إطلاق خالد الفالح رئيس أرامكو الجديد موقع القافلة و بجانبه الرئيس السابق الأستاذ عبدالله جمعة.

www.qafilah.com

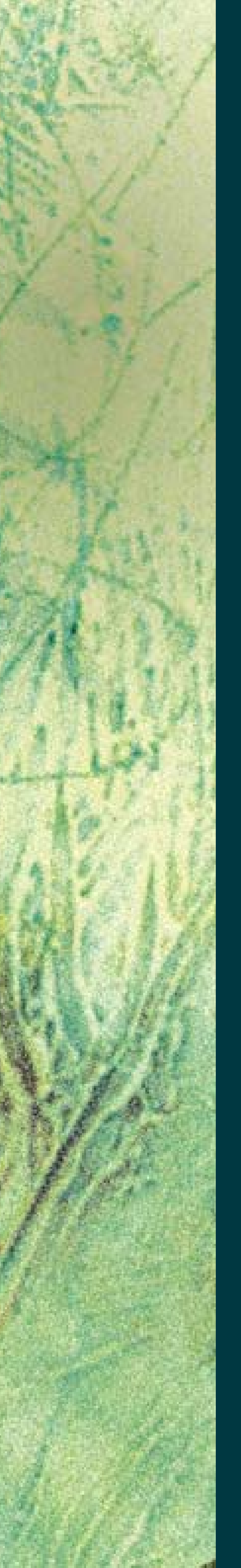


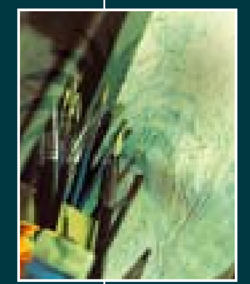


ارامكو السعودية
Saudi Aramco

طاقة للعالم.. للوطن طاقات

www.saudiaramco.com





القافلة

مجلة ثقافية تصدر كل شهرين
عن أرامكو السعودية
مارس - أبريل 2009
المجلد 58 العدد 2

ص . ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية
www.saudiaramco.com